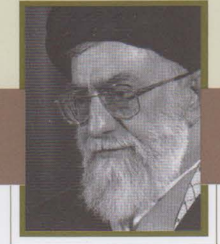


ن
نصر ونهضة

أدبيّات النّهوض

دراسات في فكر
الإمام الخامنئي

# الفكر السياسيّ
## عند الإمام الخامنئي

مجموعة من الباحثين



مكتبة
مؤمن قريش




دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

# الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي

اســـم الكتـــــاب: **الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي**

المـــــؤلّـــــــف: **مجموعة من الباحثين**

النـــاشـــــــــر: **دار المـعـارف الحكميّـة**

إخـــراج الكتـــاب: Idea Creation

عــدد الصفـحـــات: ١٩٦

القيـــــــــــاس: ٢١,٥*١٤,٥

تـــاريـــخ الطبــــع: ٢٠١٣

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

[١٤٣٤ هـ. - ٢٠١٣ م.]






دار المعارف الحكمية
Dar Al maaref Alhikmiah

العنوان: حارة حريك - الشارع العريض - سنتر صولي - ط٢ شمالي
تلفاكس: ٥٤٤٦٢٢ - ٠١ - Email: almaaref@shurouk.org

بسم الله الرحمن الرحیم

## الفهرس

## باسمه تعالى

## كلمة المعهد

تُطالع العالم الإسلاميّ، في كلّ يوم، طوارئ وحوادث تمسّ أركان وبُنى مرتكزاته الثقافيّة. وتتعدّد، بناءً لذلك، مساعي ذوي الشأن والاضطلاع - من علماء، ومفكّرين، وباحثين مسلمين - في تقويض هذه المعترضات والإجابة عن أحدث ما ينبت في الواقع الثقافيّ من إشكالات.

ولمّا كان الإمام عليّ الخامنئي - المرشد الأعلى للثورة الإسلاميّة في إيران - أحد أبرز المنظّرين للواقع الثقافيّ في العالم الإسلاميّ، من خلال آرائه وطروحاته التي يبثّها في خطبه، وكلماته، ورسائله، ونصوصه، كان لزامًا على من يبتغي إنصاف ذوي الحقّ الاطّلاع على هذه الطروحات بشكل جدّيّ ومدروس. ولمّا لم يكن قد صنّف - لأسباب تعود إلى اعتبارات تخفى في نفسه حفظه الله - طروحاته هذه في مؤلّفات تحمل اسمه، يعمد الباحثون اليوم إلى استيضاحها من خلال استقصاء كلماته، ومواقفه، وخطبه، في مختلف المحافل والمناسبات.

وفي هذا المجال، يلتزم معهد المعارف الحكميّة للدراسات الدينيّة والفلسفيّة مسؤوليّة بثّ طروحاته (الإمام الخامنئي) هذه بأساليب علميّة ممنهجة، وذلك من خلال استحداث سلسلة متفرّعة عن ما يُصدره من مؤلّفات بعنوان «سلسلة أدبيّات النهوض»، تحمل عنوان «دراسات في فكر الإمام الخامنئي»، تعنى بتأليف الدراسات، أو استكتاب الباحثين،

أو ترجمة الأبحاث المخطوطة باللغة الفارسيّة، وتتناول إصداراتها رؤى الإمام وأفكاره في موضوعات فكريّة مختلفة تتعدّد بتعدّد ميادين الثقافة والفكر في يومنا هذا.

ولعلّ ميدان الفكر السياسيّ وإشكالاته هو، من بين عموم الميادين الثقافيّة والفكريّة، أوّل ما يجب على أصحاب الباع والفكر في الإسلام التصدّي لمعالجته، وإبداء الوجهة الصحيحة التي قد تنتهجها الدول والمجتمعات الإسلاميّة في صدده، لما لذلك من إسهامٍ في تفعيل دورها الإنسانيّ في الواقع العالميّ المعيش، ودورٍ محوريٍّ في بلورة الأصول التأسيسيّة في سبيل بناء أمّة إسلاميّة تنتهج نهج النبيّ (ص) وآله الكرام (ع)، وحثٍّ بذلك على ترقّي هذه المجتمعات لما فيه صلاحها.

وفي خضمّ ما يحيط بالواقع الثقافيّ من اعتبارات، يأتي كتاب **الفكر السياسيّ عند الإمام الخامنئي** واحدًا في السلسلة المذكورة أعلاه، ويُدرج، في ستّة مقالات، بعض الأسس الرؤيويّة للإمام الخامنئي فيما خصّ حقول الفكر السياسيّ. فيبدأ، في المقالة الأولى، باستعراض الفهم العمليّ لمفهوم الثقافة السياسيّة عند الإمام الخامنئي؛ متابعًا، في المقالتَين الثانية والثالثة، بتناول مباني الفلسفة السياسيّة عنده وقضاياها؛ معالجًا بعدها، في المقالة الرابعة، أبرز مبادئ الكلام السياسيّ عند الإمام، من خلال استقصاء بعض مفرداته من وجهة نظره؛ ثمّ محدّدًا، في المقالة الخامسة، إطار الكلام، ليخُصّ بالمعالجة موضوعة الولاية والتولّي في فهمه؛ ويُصارَ في الختام، في المقالة السادسة، إلى سردٍ لأبرز أبعاد وأسس المدرسة الفكريّة السياسيّة عند الإمام الخامنئي.

وفي الختام، لا تدّعي الجهة الناشرة أنّ الكتاب قد شمل في طيّاته كلّ مبادئ الفكر السياسيّ وأسُسِه عند الإمام الخامنئي، إلّا أنّها ترجو للكتاب

هذا فوائدَ جمّةً في سبيل ازدهار الحالة الثقافيّة الإسلاميّة؛ فوائدَ ليس أقلّها حثّ ذوي الرؤية على دراسة أفكار الرجل دراسةً جدّيّةً، بالنظر إليه كمفكّر ومنظّر فذّ، بعيدًا عن أيّ اعتبارات عاطفيّة أو معنويّة.

والله من وراء القصد

**معهد المعارف الحكميّة**

**حسين السعلوك**

# المقدّمة

## الدين وسؤال السياسة

السيّد عليّ عبّاس الموسوي

لم يعد البحث في علاقة الدين بالسياسة يمتلك الأهمّيّة التي كانت له في السابق، فهو بحث تجاوزه الزمن وتجاوزته الأحداث، فنحن الآن أمام تجربة رائدة من ديانة هي عين السياسة وسياسة هي عين الديانة.

ولذا كان على البحث أن يتّجه نحو ما هو مفيد ومثمر، فكانت عناوين هذا الكتاب عن الثقافة السياسيّة الدينيّة، والفكر السياسيّ الدينيّ، وفلسفة السياسة في الإسلام.

عندما نعالج مسألة الثقافة السياسيّة مع شخصيّة كالإمام الخامنئي، فإنّنا نعالجها مع من يتحدّث من عمق التجربة، تجربة عصر الثورة وتجربة عصر الدولة، وتجربة عصر الأمّة. فالجمهوريّة الإسلاميّة في إيران عاشت تجربة الثورة التي بدأت مع حراك الإمام الخميني إلى زمان عودته في شباط من عام ١٩٧٩ إلى طهران، وعاشت تجربة بناء الدولة في بدايات التكوين، وعاشت تجربة أن تتحوّل إلى أمّة في ظلّ السياسة الدوليّة والاهتمام العالميّ الذي تبديه تجاه قضايا على مستوى الأمّة الإسلاميّة جمعاء.

وفي التجارب جميعًا تجاربُ من فكرٍ كان الإمام القائد فيه صاحب القدم الراسخة في التنظير وفي الممارسة، ومن هنا تكتسب دراسة فكره أهمّيّةً خاصّةً.

ونشير، في هذه المقدّمة، إلى بعض الخصائص التي تميّز بها الخطاب السياسيّ للإمام الخامنئي والتي تتكفّل صفحات هذا الكتاب بشرحها وبيانها:

١. البصيرة السياسيّة: يؤكّد الإمام الخامنئي في خطابه السياسيّ على أهمّيّة البصيرة السياسيّة، ويعتبر أنّ على من يرغب في خوض العمل السياسيّ أن يمتلك، مضافًا إلى الإيمان والتقوى والإخلاص، عنصر البصيرة، وذلك لأنّه يشكل عنصرًا ضامنًا له من الوقوع في خطر الانحراف وتضييع بوصلة العمل السياسيّ. والبصيرة ترتبط ببعد النظر تجاه المجريات السياسيّة لئلّا يقع الإنسان في شرك النظر إلى ظاهر الأمور، والشعارات البرّاقة.

٢. السياسة المقارنة: يعمد الإمام القائد في خطابه السياسيّ إلى تقديم صورة مقارنة بين النظام السياسيّ الإسلاميّ، بما له من خصائص، وبين سائر الأنظمة السياسيّة، سواء ما كان منها سابقًا على إقامة الدولة الإسلاميّة، أي النظام الشاهنشاهي الاستبداديّ، أو المعاصر منها الغربيّ بكلّ ما يحمله من رونق يصوّر به من قبل بعض المستغربين، أو المحيط الإقليميّ بما يحويه من نُظم سياسيّة بعيدة عن أسس الإسلام.

٣. السياسة الإلهيّة: يؤكّد الإمام القائد على خصوصيّة الفكر السياسيّ الإسلاميّ باعتباره يحتوي عنصرًا إلهيًّا، فمفهوم الولاية، المرتبط بالعبوديّة الخالصة لله، يعطي الإنسان حرّيّة الانعتاق من كلّ قيد سياسيّ لا يرجع إلى علاقة الإنسان بالله. ومن هنا لا يمكن أن يُتصَوَّر الاستبداد في علاقة الحاكم بالمحكوم لأنّ العنصر الإلهيّ في الفكر السياسيّ لا يراد منه إضفاء القداسة على الحاكم البشريّ، بل ربط العلاقة بين الحاكم والمحكوم بعلاقة الإنسان بربّه. فالولاية، ومهما سعى الكثيرون لتصويرها بشكل سلبيّ، هي من أكثر العناصر إيجابيّة في الفكر السياسيّ الإسلاميّ.

وينعكس مفهوم الولاية هذا على شخصيّة الحاكم، ذلك الشخص الذي عهد الله إليه أمر إدارة أمور الناس، فإنّه ينبغي أن يحقّق نموذجًا متواضعًا وشعاعًا من تلك الولاية الإلهيّة، وأن يُظهر أنّ لديه خصوصيّات الولاية الإلهيّة.

٤. السيادة الدينيّة الشعبيّة: تبتني الديمقراطيّات الحديثة على أنّ الشعب هو الحاكم باعتباره صاحب الحقّ الأساسيّ في أن يختار من يحكمه. ويطلق الإمام القائد في خطابه السياسيّ مفهوم السيادة الشعبيّة الدينيّة، ويعتبر أنّ لهذا المفهوم تأثيره العميق على الممارسة السياسيّة للشعوب المسلمة، وأنّ مفهوم السيادة الشعبيّة لا يمكن أن يُطرح مجرّدًا عن الدين لدى الشعوب المسلمة، كما ويضع لهذا المفهوم أسُسَه وأصوله المتمثّلة بالعناصر التالية: محوريّة الفضيلة، ومحوريّة الهداية، والحاكميّة الإلهيّة، والإيمان الدينيّ، والانتخاب الشعبيّ، والقيم أو النزعة القيميّة، ومحوريّة التكليف [أداء الوظيفة]، ولياقة الحكم [الكفاءة]، ومحوريّة القانون والنظام، والرضا والقبول.

ولذا يستنكر مقولة أنّ الديمقراطيّات والسيادة الشعبيّة هي حكومات غير دينيّة، وأنّ الحكومة الدينيّة لا يمكنها أن تكون حكومةً ذات سيادة شعبيّة. بل الحكومة الدينيّة يمكنها، في عين أنّها حكومة إلهيّة، أن تكون حكومةً شعبيّةً أيضًا. ونموذج ذلك في صدر الإسلام زمن النبيّ الأكرم محمّد (ص) والخلفاء في البدايات، ونموذجها الآخر، حاليًّا، حكومة الجمهوريّة الإسلاميّة التي هي حكومة الشعب؛ حكومة مشاعر الناس، وحكومة آراء الناس، والحكومة المنتخبة من الناس، وحكومة العناصر الشعبيّة في هذه الحكومة.

٥. القيم السياسيّة: تحكم المصالح العمل السياسيّ غير الإسلاميّ. وأمّا في فلسفة السياسة الإسلاميّة، فتحضر القيم إلى جانب المصالح،

ولا يمكن أن تكون المصالح هي المحدّد الأساسيّ للعمل السياسيّ، بل للقيم هيمنتها، فلا يصحّ قراءة المصالح مجرّدةً عن القيم. بل يرى الإمام القائد أنّ النظام الإسلاميّ هو نظام قيم وليس نظام أفراد. وهذا ما تعكسه التجربة السياسيّة للجمهوريّة الإسلاميّة في إيران طيلة عقود ثلاثة.

٦. المعنويّات السياسيّة: لا يتجرّد الفكر السياسيّ الإسلاميّ عن إحدى أهمّ خصائص الدين، وهي الارتباط بالمعنويّات. ويؤكّد الإمام القائد على الارتباط المعنويّ للعاملين في الحقل السياسيّ، لأنّ للمعنويّات تأثيرها على السلوك السياسيّ. إنّ المجتمع الذي يمكن تصويره هدفًا لشعب حيٍّ، واعٍ، ومستيقظ، هو ذاك الذي يذخر بالمعنويّات، والعدالة، والعزّة، والاقتدار، والثروة، والرفاهيّة. وإذا ما أردنا لمجموعة المفاهيم هذه أن تأتلف مع بعضها، فذلك ممّا يتعذّر دون المعنويّات، ودون المبادئ المعنويّة، ودون الأخلاق، ودون التوجّه نحو الله، ودون الجهاد في سبيله.

هذه بعض من مفردات الخطاب الخامنئيّ، وندع القارئ يستحضر من خلال طيّات صفحات هذا الكتاب معالم الفكر السياسيّ للإمام الخامنئي.

والحمد لله رب العالمين

# الثقافة السياسيّة في فكر الإمام الخامنئي(دام ظله)

الدكتور آيت مظفّري (قنبري)

ترجمة فاطمة شوربا

الثقافة هي هويّة المجتمع وأساسه وروحه، وتنقسم إلى أنواع عديدة. تتمتّع الثقافة السياسيّة Political culture من بين هذه الأنواع بمكانة خاصّة، ولها دور بارز جدًّا في صناعة أفكار الشعوب، وأحاسيسهم، وميولهم، وتعلّقاتهم، وسلوكهم. بناءً على هذا، تبحث المقالة التي بين أيدينا الموضوع من وجهة نظر قائد الثورة الإسلاميّة، لكي يتّضح أيّ ثقافة من بين الثقافات السياسيّة، التشاركيّة Participant، والانقياديّة/ الإذعانيّة Subject، والمحدودة Parochial، تشكّل محطّ اهتمامه.

## مقدّمة

لا يُنكَر التأثير الأساسيّ للثقافة على المجتمع. فالثقافة هي هويّة المجتمع وأساسه وروحه. وكثير من النجاحات والإخفاقات تعود في جذورها إلى الثقافة. وينبغي تقصّي تسامي حضارة مجتمع ما وانحطاطها في ثقافتها. وظهور الدول والأمم له جذور في ثقافتها أيضًا. إنّ تأثير الثقافة على المجتمع غير محسوس، عميق وطويل الأمد. وإذا ما تقرّر اعتماد أساس لبنى المجتمع السياسيّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والعسكريّة، فإنّ هذا الأساس سيكون الثقافة. وإذا ما أردنا تصنيف شؤون المجتمع ومسائله حسب الأولويّة، فلـ«الثقافة» الأولويّة المطلقة. وبحسب تعبير آية الله العظمى الخامنئي: «من أيّ جهة ننطلق، نرى أنّنا نصل إلى الثقافة،

وأنّ الطرق تنتهي، في الواقع، بالثقافة»[1]. وفي كلام هامّ آخر، يبيّن دور الثقافة وأهمّيّتها بما يلي: «الثقافة هي المصدر الأساسيّ لهويّة الشعوب. وثقافة شعب ما يمكنها أن تجعل ذلك الشعب متطوّرًا، عزيزًا، قادرًا، عالمًا، ماهرًا، مبدعًا، ومحترمًا على الصعيد العالميّ»[2].

من ناحية أخرى، يُرى سرّ انهيار الأمم وزوالها، أيضًا، في ضعف الثقافة[3]. فمسألة الثقافة، من وجهة نظر القائد، هامّة جدًّا، ذلك أنّ الخسائر الثقافيّة لا تُدرك بسرعة كالتضخّم الاقتصاديّ الذي يمكن قياسه كلّ يوم، ولا هي كالتراجع الاقتصاديّ أو العمرانيّ الذي يمكن قياس وجهه السلبيّ أو الإيجابيّ بعد أربع أو خمس سنوات. فالمشاكل الثقافيّة تؤثّر على المدى الطويل، ولا تُدرك إلّا متأخّرًا، ولذا هي صعبة العلاج[4].

وعن دور الثقافة في مواجهة الأعداء، يعلن قائد الثورة الإسلاميّة المفدّى أنّه إذا ما جعلنا أنفسنا في المسائل الثقافيّة إسلاميّين وثوريّين تمامًا، فلن نفشل في مواجهتنا العسكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة مع الأعداء[5]. وسوف نؤمن بأهمّيّة الثقافة، ومنزلتها، ودورها، إلى الحدّ الذي يرى فيه قائد الثورة الإسلاميّة المعظّم أنّ استقلال شعب ما لا يتأتّى سوى من الاستقلال الثقافيّ[6]، وأنّ: الثقافة في الحقيقة هي رأسمال المجتمع، وأنّ أيّ بنيان اجتماعيّ واقتصاديّ لا يتشكّل من دون الاستناد إلى الثقافة[7].

---

(1) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٩/٩/١٩هـ.ش.
(2) كلام للإمام الخامنئي في العاملين في التلفزيون، بتاريخ ١٣٨٣/٢/٢٨هـ.ش.
(3) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع أعضاء المجلس الأعلى للثورة الثقافيّة، بتاريخ ١٣٧٣/٩/١٩هـ.ش.
(4) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٥/٩/٢٠هـ.ش.
(5) كلام للإمام الخامنئي سنة ١٣٦٢، في: **في فكر القائد**، برنامج إلكترونيّ، الصفحة ١٧٨.
(6) كلام للإمام الخامنئي في لقاء عامّ ومع الأطبّاء والعاملين في المراكز الصحّيّة، بتاريخ ١٩٦٨/٩/١٥.
(7) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٣/٩/١٦هـ.ش.

من الواضح أنّ الثقافة تنقسم إلى أنواع مختلفة؛ سياسيّة، واجتماعيّة، وعسكريّة، واقتصاديّة، لكنّ ما يحوز الأهمّيّة الكبرى في هذه الأثناء هو الثقافة السياسيّة Political Culture.

غالبًا ما يكون لكلّ شعب سياسته الخاصّة به. والثقافة السياسيّة تؤثّر في الأبعاد العلميّة المختلفة للمجتمع؛ العمليّة والنظريّة، وهي تروّج للمعتقدات وحتّى العلوم الخاصّة في المجتمع وبين الأفراد، وتحدّد نمط التفاعل والخبرات السياسيّة لمواطني المجتمع، الأعمّ من رجال الدولة وسائر الأفراد، في الأمور السياسيّة-الاجتماعيّة، وتبعث المشاعر، والإرادات والميول، والعواطف، والتصرّفات المحدّدة والمعيّنة. الثقافة السياسيّة، في الواقع، مظلّة تحمي وتغطّي التوجّهات، والأهداف، والرؤى، والميول، والسلوكيّات في المجتمع. بناءً على هذا، فالثقافة السياسيّة لمجتمع ما غاية في الأهمّيّة، وهي الأخطر من بين سائر الثقافات، وبحسب تعبير قائد الثورة الإسلاميّة المفدّى: «القضيّة قضيّة الثقافة؛ في الدرجة الأولى الثقافة السياسيّة، الثقافة السياسيّة!»[8].

الجدير ذكره أنّ الثقافة والثقافة السياسيّة لا تعود فقط إلى التاريخ الماضي، كما أنّ دورها الخطير لا ينحصر بالزمن الحاضر، بل ينبغي القول إنّ باعثيّتها على التغيير في المستقبل تكون أشدّ. وذلك بحسب قول الشهيد مرتضى مطهّري: «الإنسان المستقبليّ، هو حيوان ثقافيّ وليس حيوانًا اقتصاديًّا»[9]. على الرغم من الأهمّيّة والدور والمكانة للثقافة، وخاصّةً الثقافة السياسيّة، في الماضي والحاضر والمستقبل، يسعى الهجوم الثقافيّ للأعداء إلى إزواء ثقافة مجتمعنا السياسيّة، وأحيانًا، يُتصوّر أنّنا لا نمتلك ثقافةً سياسيّةً مستقلّةً؛ وضعف سعينا في مجال إحباط سعي الأعداء

(٨) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الهيئة العلميّة لمؤتمر الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٧٨/١١/٤هـ.ش.

(٩) مرتضى مطهّري، مجموعة آثار، الجزء ٢، الصفحة ٢٨.

هذا، مشهود أيضًا. والخلل الموجود يحثّنا على السعي الحثيث لمعرفة أبعاد الثقافة السياسيّة للإسلام وتبيانها. وعلى هذا الأساس، جعلت هذه المقالة الثقافة السياسيّة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلاميّة المعظّم آية الله الخامنئي محطّ اهتمامها.

بعد تعريف المفاهيم، سوف تُبيَّن، من خلال الإشارة إلى علاقة الدين بالسياسة كمبنًى للثقافة السياسيّة الإسلاميّة والإيرانيّة، الممهّدات، وأنواع الثقافات السياسيّة في إيران، وأبعادها من وجهة نظر القائد. وسيشكل تأثير الثورة الإسلاميّة في إيران في الثقافة السياسيّة على المستوى الوطنيّ، والعالم الإسلاميّ والدولي الأبحاث الختاميّة لهذه المقالة.

## أوّلًا: المفاهيم

### ١. الثقافة Culture

تتضمّن كلمة الثقافة في نفسها مفاهيمًا عديدةً، لذا تجد لها تعاريفًا متنوّعةً. والمعاني المختلفة للثقافة تحكي عن مدى كونها معقّدةً وسيّالة. فقد عُرّفت الثقافة بمفهوم العلم بالآثار العلميّة والأدبيّة لقوم أو شعب، ومعرفتها، وتعليمها وتربيتها؛ كما عُرّفت بمجموعة الآداب، والرسوم، والعقائد، والأفكار، والقيم، والسنن لشعب ما؛ كما اعتُبرت مجموعةً من العناصر الذهنيّة والعينيّة السائدة في البنى الاجتماعيّة والتي تُتَوارث من جيل لآخر[١٠].

يرى بعض المفكّرين أنّ الثقافة نسيج اعتباريّ يحيكه البشر ويتعلّقون به. ومن هذه الرؤية، تُفهم الثقافة كرمز أو نظام من المعاني يقوم البشر عن طريقه بالارتباط ببعضهم البعض، ويضفون الدوام والتطوّر على

---

(١٠) غلامرضا علي باباني، **فرهنك علوم سياسي**، الطبعة ٢ (طهران: ١٣٧٦هـ.ش.)، الجزء ١، الصفحة ٤٥٩.

معارفهم وأنماط تفكيرهم عن الحياة[11].

لقد تناول قائد الثورة موضوع الثقافة في مواطن كثيرة، ومن خلال الفصل بين أبعادها، قدّم تعريفًا دقيقًا لها[12]:

> إنّ ثقافة أيّ مجتمع أو شعب أو ثورة [تُطلق] على مجموعة من الإنجازات الفكريّة لذلك المجتمع، والتي تشمل العلم، والأخلاق، والسنن، والآداب، والأمور التي تصدر عن أمثال هذه الأمور. وبشكلٍ عامّ، تشكّل الذهنيّة الحاكمة على مجتمع ما بمعناها الواسع ثقافة ذلك المجتمع، الأعمّ من أن تكون هذه الذهنيّة نابعةً من داخل المجتمع نفسه ونتيجةً لتجاربه وأفكاره، أو أنّها سلكت سبيلها إلى ذلك المجتمع من الخارج، لكنّها صبغته بصبغتها، فألفها وذاب فيها[13].

وفي تعريف تطبيقيّ للقائد أيضًا، يرى أنّ الثقافة تشمل اللغة، والأدب، والفنّ، والعقائد، والآداب والسنن والأخلاق لمجتمع ما[14].

## ٢. الثقافة السياسيّة Political Culture

إذا أُطلقت الثقافة على مجموع النتاجات العقليّة العميقة، تكون الثقافة السياسيّة عبارةً عن القناعات والأفكار والعقائد المرتبطة بسياسة المجتمع، وسلطته وقيادته. ولإدراك هذا المفهوم، يلزم الالتفات أيضًا إلى معنى الرأي العامّ Public Opinion. فالثقافة السياسيّة والرأي العامّ يرتبطان بالميول السياسيّة في المجتمع، وكلاهما يؤثّران في أعمال المواطنين وردود أفعالهم، لكنّ اختلافهما في المستوى والعمق. الرأي العامّ مرتبط بالتوجّهات، والميول، والأعمال السياسيّة الحاليّة، ولا يتحلّى بالثبات، فيمكن أن ينبعث تيّار فيستاء المواطنون مؤقّتًا من عمل سلطة حكوميّة

---

(١١) برتران بديع، **فرهنك وسياسيت**، ترجمة أحمد نقيب زاده (طهران: دادكستر)، الصفحات ٢٢ إلى ٢٥.

(١٢) راجع، في هذا المجال، خطابات القائد في التواريخ التالية: ١٣٧٢/٩/٢٩هـ.ش.؛ ١٣٨٣/٢/٢٨هـ.ش.؛ ١٣٧٤/٤/١٩هـ.ش.؛ ١٣٨٣/٤/١٥هـ.ش.؛ و١٣٧٣/٩/١٩هـ.ش.

(١٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٠/١٢/١٥هـ.ش.

(١٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٢/١٠/٢٤هـ.ش.

ما، ليظهر تيّار آخر ويحوّل هذا الاستياء إلى رضا. ومحبوبيّة رئيس الجمهوريّة، التي هي اليوم إيجابيّة لدى الرأي العامّ، قد تتغيّر غدًا لتصبح سلبيّةً، بناءً على هذا، فالرأي العامّ للمجتمع هو في حالة تغيّر وتحوّل من وقت لآخر. أمّا الثقافة السياسيّة، فتتحلّى، تقريبًا، بالثبات النسبيّ. وهي بطيئة التغيير وتتطلّب وقتًا لذلك. على سبيل المثال، الاستياء من الحكومة، أو التعاطي الاستبداديّ في تصرّفات الأفراد، هو من خصائص الثقافة السياسيّة، التي يمكن أن تكون موجودةً في عمق تفكير الأفراد بالرغم من تغيير الحكومة الاستبداديّة، فإذا ثبت الرأي العامّ حول موضوع سياسيّ معيّن لمدّة طويلة، ونفذ إلى عمق أفكار الأفراد، سوف يتحوّل إلى ثقافة سياسيّة.

الثقافة السياسيّة هي في الواقع توزيع خاصّ للمواقف، والقيم، والمشاعر، والمعلومات، والخبرات السياسيّة التي تؤثّر على سلوك المواطنين(١٥)، وأيضًا على سلوك الحكّام والقادة. الثقافة السياسيّة تحدّد القيم السياسيّة للمجتمع، وتوضّح أسس مشروعيّة النظام السياسيّ، وتؤثّر في مستوى المطالب السياسيّة لأفراد المجتمع وأحزابه وفي نوعيّتها. يمكن أن تنتج أفراد مجتمع مشاركين Participant، مؤثّرين أو متأثّرين، منقادين Subject، سلطويّين، ديمقراطيّين، مستبدّين، قوميّين، توافقيّين Consensual أو متخاصمين Conflictual(١٦)، وبناءً على هذا، يمكن تقسيمها إلى الأقسام الثلاثة المذكورة(١٧).

لقد تعرّض قائد الثورة الإسلاميّة آية الله الخامنئي إلى الحديث عن

---

(١٥) غابريل آلموند، وج. بينكهام باول جونيور، وروبرت ج. مونت، جار جوبي نظري براي بررسي سياست تطبيقي، ترجمة عليرضا طيب، الطبعة ٢ (طهران: مركز آموزش مديريت دولتي، ١٣٧٧هـ.ش.)، الصفحة ٧١.

(١٦) المصدر نفسه، الصفحات ٧١ إلى ٧٨.

(١٧) التشاركيّة Participant، أو الانقياديّة/الإذعانيّة Subject، أو المحدودة Parochial.

الثقافة السياسيّة في أحيان كثيرة، فمواضيع أمثال أهمّيّة الثقافة السياسيّة، وأنواع الثقافة السياسيّة، وميّزات الثقافات السياسيّة المختلفة، واختلاف الثقافة السياسيّة الإسلاميّة عن الثقافة السياسيّة الاستبداديّة والغربيّة، ودور الثورة الإسلاميّة في ثقافة إيران والمسلمين السياسيّة هي من جملة مباحثه. يقول حفظه الله، في إشارة إلى قضايا الثقافة السياسيّة: «أدب القادة، وأخلاق القيادة في بلدنا، هو أحد مسائل الثقافة السياسيّة»[١٨]. وفي موضع آخر، يطرح السلطة الثقافيّة بصفتها مسألة ثقافة سياسيّة[١٩]، ويقول عن الثقافة السياسيّة في العالم المعاصر: «إنّ الثقافة السياسيّة للعالم اليوم، هي ثقافة الهيمنة والانتهازيّة»[٢٠]. كما يذكر الولاية، وإكرام الشعب، وسيادة الشعب الدينيّة، ونفي حاكميّة القوّة والسلطة، والحرّيّة والتحرّر، كمباني للثقافة السياسيّة في نظام جمهوريّة إيران الإسلاميّة[٢١]. كما اقترح تشكيل مؤتمر مستقلّ حول ثقافة إيران السياسيّة الإسلاميّة، لتبيين نقاطها الأساسيّة[٢٢].

بالاستلهام من كلام آية الله الخامنئي نعرّف الثقافة السياسيّة بمجموعة النتاجات العقليّة الثابتة نسبيًّا التي يكون التجلّي العينيّ لها في مجال السياسة، والتي لها جذور في عقائد الفرد والجماعة أو الشعب، وقيمهم، وأدبهم، وأخلاقهم، وعلمهم، وسننهم، وعاداتهم، وفنونهم،

---

(١٨) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع سفراء إيران في العالم العربي والشرق الأوسط، بتاريخ ١٣٦٤/٨/٦هـ.ش.

(١٩) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الهيئة العلميّة لمؤتمر الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٧٨/١١/٤هـ.ش.

(٢٠) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع أعضاء الحزب الجمهوريّ في جرجان وكنبد وإمام جمعة قزوين، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٥هـ.ش.

(٢١) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع موظفي الدولة بمناسبة عيد الغدير، بتاريخ ١٣٧٠/٤/١٠هـ.ش؛ وكلام له في لقاء المسؤولين والعاملين في وزارة الخارجيّة، بتاريخ ١٣٨١/٥/٢٧هـ.ش؛ وكلام له حول الدولة في نهج البلاغة، بتاريخ ١٣٦٠/٢/٣١هـ.ش.

(٢٢) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع سفراء إيران في العالم العربيّ والشرق الأوسط، بتاريخ ١٣٦٤/٨/٦هـ.ش.

وأحاسيسهم وميولهم. ويبيّن قائد الثورة الإسلاميّة من ناحية، ميّزات الثقافة السياسيّة الإيجابيّة والمطلوبة، ومن ناحية أخرى ميّزات الثقافة السياسيّة السلبيّة على الشكل التالي:

أ. ميّزات الثقافة السياسيّة الإيجابيّة:

الإيمان بالله، الإذعان للحقّ(٢٣)، معرفة الحقّ، أدب الحكّام وأخلاق القادة، الاستقلال، عدم الميل إلى الشرق أو الغرب(٢٤)، حاكميّة الأتقياء، محوريّة الولاية(٢٥)، حكومة الشعب الدينيّة، إكرام الشعب، العدالة والحرّيّة(٢٦)، إحياء القيم(٢٧)، الأصوليّة والسعي نحو المثل(٢٨)، الثقة بالنفس(٢٩)، الوجدان المسلكيّ(٣٠)، الاحتكام إلى القانون(٣١)، تحمّل المسؤوليّة(٣٢) وأداء الأمانة(٣٣)، الإشراف(٣٤)، ومعرفة الفرص(٣٥).

---

(٢٣) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع أعضاء الحزب الجمهوريّ في جرجان وكنبد وإمام جمعة قزوين، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٥هـ.ش.

(٢٤) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع سفراء إيران في العالم العربيّ والشرق الأوسط، بتاريخ ١٣٦٤/٨/٦هـ.ش.

(٢٥) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع موظّفي الدولة بمناسبة عيد الغدير، بتاريخ ١٣٧٠/٤/١٠هـ.ش.

(٢٦) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع مسؤولي التلفزيون، بتاريخ ١٣٨١/١١/١٥؛ وكلام له في لقائه السفراء والعاملين في وزارة الخارجيّة، بتاريخ ١٣٨١/٥/٢٧هـ.ش.؛ وكلام له في لقائه المتخرّجين من جامعة تربيت مدرس، بتاريخ ١٣٧٧/٦/١٢هـ.ش.

(٢٧) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع موظّفي الدولة بتاريخ، ١٩/بهمن/١٣٦٨هـ.ش.

(٢٨) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الحكومة، بتاريخ ١/شهريور/١٣٦٩هـ.ش.

(٢٩) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الحكومة، بتاريخ ٨/شهريور/١٣٧٥هـ.ش.

(٣٠) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الأسرى المحرّرين، بتاريخ ١/شهريور/١٣٦٩هـ.ش.

(٣١) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الحكومة، بتاريخ ٢/شهريور/١٣٧٦هـ.ش.

(٣٢) كلام للإمام الخامنئي في حفل تنصيب الشيخ هاشمي رفسنجاني رئيسًا للجمهوريّة، بتاريخ ١٣٧٢/٥/١٢هـ.ش.؛ وكلام له في لقاء شعبيّ، بتاريخ ١٣٨٣/١/٢٦هـ.ش.

(٣٣) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع موظّفي الدولة في عيد الغدير، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش.

(٣٤) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الحكومة، بتاريخ ١٣٧٠/٦/٣هـ.ش.

(٣٥) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الحكومة، بتاريخ ١٣٧٦/٦/٢هـ.ش.

ب. ميّزات الثقافة السياسيّة السلبيّة:

الهيمنة، الانتهازيّة، الألاعيب الحزبيّة، بناء الشخصيّة الكاذبة[٣٦]، النزوع إلى السلطة[٣٧]، عدم الاهتمام بالشعب، تمييز الطبقة الحاكمة[٣٨]، تقبّل نظام الهيمنة العالميّ[٣٩]، حاكميّة القوّة والتسلّط[٤٠]، إذلال البشر واستعبادهم[٤١]، الاستبداد والتفرّد[٤٢]، عدم الاهتمام بشخصيّة المرأة[٤٣]، الفساد السياسيّ[٤٤]، المادّيّة وإنكار المعنويّات[٤٥]، استعداء القيم والفضائل الإنسانيّة[٤٦]، فصل الدين والأخلاق والمعنويّات عن السياسة[٤٧].

## ثانيًا: علاقة الدين بالسياسة

لقد أشرنا سابقًا إلى هذه الملاحظة، وهي أنّ لكلّ مجتمع وشعب ثقافةً سياسيّةً خاصّةً به، وأنّ للثقافة السياسيّة أيضًا جذورًا في الثقافة الأصيلة

---

(٣٦) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع أعضاء الحزب الجمهوريّ في جرجان وكنبد وإمام جمعة قزوين، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٥هـ.ش.

(٣٧) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الهيئة العلميّة لمؤتمر الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٧٨/١١/٤هـ.ش.

(٣٨) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع مدراء التلفزيون، بتاريخ ١٣٨١/١١/١٥هـ.ش.

(٣٩) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع السفراء والعاملين في الخارجيّة، بتاريخ ١٣٨١/٥/٢٧هـ.ش.

(٤٠) كلام للإمام الخامنئي حول الدولة في نهج البلاغة، بتاريخ ١٣٦٠/٢/٣١هـ.ش.

(٤١) كلام للإمام الخامنئي في لقاء له مع الدكتور حدّاد عادل، بتاريخ ١٣٦١/٩/٣٠هـ.ش.

(٤٢) المصدر نفسه؛ وكلام له بتاريخ ١٣٦٣/١١/١٠هـ.ش.

(٤٣) كلام للإمام الخامنئي في المؤتمر العالميّ للمرأة، بتاريخ ١٣٦٦/١١/١٧هـ.ش.

(٤٤) كلام للإمام الخامنئي في حفل تنصيب السيّد محمّد خاتمي رئيسًا للجمهوريّة، بتاريخ ١٣٨٠/٥/١١هـ.ش.

(٤٥) في تفسير سورة البقرة، تفسير الآيتان ٤٨ و٥١، في: في فكر القائد، برنامج إلكترونيّ، الصفحة ٣٠٥.

(٤٦) كلام للإمام الخامنئي في لقاء عامّ ومع الأطبّاء والعاملين في المراكز الصحّيّة، بتاريخ ١٩٦٨/٩/١٥.

(٤٧) كلام للإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة لرحيل الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٨٣/٤/١٤هـ.س.

للمجتمع والشعب، وأنّ في كلّ ثقافة مجموعة أصول أساسيّة يميّز نوع تفاعلها مع بعضها الآخر شكلَ الثقافة السياسيّة وبناءَها عن سائر الثقافات السياسيّة. من أهمّ هذه الأصول نوع العلاقة بين الدين والسياسة في تلك الثقافة. وحيث إنّ المعرفة الصحيحة بالثقافة السياسيّة من وجهة نظر قائد الثورة لا يتيسّر من دون فهم علاقة الدين بالسياسة من وجهة نظره، كان من الضروري في هذا القسم الإشارة إليه ضمن الحدّ اللازم.

ما عدا الماركسيّين الذين يعدّون الدين والسياسة كما الأخلاق والحقوق وأمثالها تابعين للاقتصاد، وينظرون نظرةً سلبيّةً وإلحاديّةً للدين، هناك فئتان تقولان بالتباين والتضادّ بين الدين والسياسة، هما المتنوّرون العلمانيّون وبعض المتقدّسين. إنّ قائد الثورة، الذي لا يقبل أيّ واحدة من النظريّات الواردة، ويثبت بوضوح من خلال الاستدلال وحدة الدين والسياسة، يتساءل: ألم يتفكر الساسة الذين يتشدّقون دومًا بفصل الدين عن السياسة، وبعض مدّعي التديّن الذين يهبّون إلى مساعدتهم ويكرّرون الكلام نفسه أبدًا في آيات القرآن وتاريخ الإسلام وأحكام الشريعة؟ هل فكّروا لو أنّ الدين كان منفصلًا عن السياسة، فلِمَ ربط القرآن، إذًا، جميع الأمور السياسيّة، أي الحكومة، والقانون، والاصطفافات الحياتيّة، والحرب والسلم، وتحديد الصديق والعدوّ وسائر مظاهر السياسة، جميعًا بالله ودين الله وأولياء الله(٤٨)؟

ويُستدلّ على ارتباط الدين بالسياسة من وجهة نظر القائد المفدّى بالأدلّة الأربعة التالية:

١. السيرة السياسيّة لأنبياء الله:

وتشير إليها محاربة أنبياء الله لطواغيت زمانهم والطبقات المترفة

(٤٨) المكتب السياسيّ لوزارة الدفاع، الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد (طهران: ١٣٨٢هـ.ش.)، الصفحة ٨.

والملإ، تشكيل النظام السياسيّ وقيادة المجتمع، التصدّي للأمور السياسيّة في المجتمع وإقامة الحكومة الدينيّة وخاصّة من قبل رسول الله محمدّ بن عبد الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في المدينة المنوّرة(٤٩).

٢. طبيعة الآيات القرآنيّة:

فآيات القرآن الكريم تبيّن بوضوح ارتباط الدين بالسياسة بنحو لا يقبل الإنكار. ويسأل قائد الثورة الأشخاص الذين يفصلون الدين عن السياسة: هل فكّرتم وتأمّلتم في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾(٥٠)، والآية ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾(٥١)، أو الآيات المعرّفة لحزب الله وحزب الشيطان، أو آيات الولاية، وآيات الحكم بغير ما أنزل الله(٥٢)؟

وهل أنّ أعمال البشر وممارساتهم السياسيّة والاجتماعيّة التي تشكّل الجزء الأكبر من حياتهم تبقى بلا جزاء؟ إذًا ما معنى ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾(٥٣) و﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾(٥٤)؟ كما يسأل عن مئات الآيات والأحاديث المسندة حول الجهاد والحياة الطيّبة القرآنيّة، ويصرّح أنّ هذه الأمور غير ممكنة الإجراء من دون الحكومة الدينيّة وولاية الله. لذا، لا يمكن التقليل من دور السياسة

---

(٤٩) كلام للإمام الخامنئي في لقائه العاملين بمجلّة كيهان، بتاريخ ١٣٨٠/٦/٢٥هـ.ش.؛ وخطاب له بتاريخ ١٣٧٥/٩/١٩هـ.ش.

(٥٠) سورة الممتحنة، الآية ١.

(٥١) سورة الشعراء، الآيتان ١٥١ و١٥٢.

(٥٢) الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد، مصدر سابق، الصفحتان ٨ و٩.

(٥٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٥٤) سورة الزمر، الآية ٧٠.

وأهمّيّتها في الدين أو التغاضي عنهما[٥٥].

٣. هدف الأحكام الإلهيّة:

بناءً على هذا، يسعى النظام الإسلاميّ ضمن أهدافه إلى تحقيق العدالة، والرفاه المادّي والمعنويّ، والتوزيع العادل للثروة، ونشر الدين على مستوى العالم، وتطبيق الأحكام الفقهيّة، والسياسيّة، والعسكريّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، وأمثالها. ومن الواضح أنّ تطبيق هذه الأمور بالشكل الصحيح غير ممكن من دون وحدة الدين والسياسة، ومن دون امتلاك القدرة السياسيّة-العسكريّة المتأتّية عن الحكومة الدينيّة القويّة، لا يمكن تطبيق «ما أنزل الله»[٥٦].

٤. ولاية الأئمّة الأطهار عليهم السلام وسيرتهم:

يشير القائد في هذا المجال إلى فلسفة عيد الغدير، وتشكيل النظام الإسلاميّ من قبل بعض الأئمّة المعصومين عليهم السلام، والعمل على استقرار هذا النظام من قبل سائر أئمّة الشيعة عليهم السلام. يعرّف قائد الثورة الولاية كأهمّ مسألة من مسائل الدين، ذلك أنّ الولاية علامة التوحيد ولازمته. الولاية بمعنى الحكومة، هي الأمر المختصّ، في المجتمع الإسلاميّ، بالله، وينتقل من الله سبحانه إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومنه إلى ولي المؤمنين[٥٧]. يقول حفظه الله حول النشاط السياسيّ للأئمّة عليهم السلام:

لقد استمرّ طريق جهاد الأئمّة عليهم السلام ومواجهتهم [...] بأشكال متنوّعة طوال فترة المئتين والخمسين سنةً، وكان الهدف منه، أوّلًا؛ تبيين الإسلام الأصيل، والتفسير الصحيح للقرآن، وتقديم صورة واضحة عن المعرفة الإسلاميّة، وثانيًا؛

(٥٥) حديث ولايت (سازمان تبليغات إسلامي، ١٣٧٦هـ.ش.)، الجزء ١، الصفحتان ٢٢٠ و٢٢١.
(٥٦) **الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد**، مصدر سابق، الصفحات ٤٣ إلى ٥٥.
(٥٧) **حديث ولايت**، مصدر سابق، الجزء ٧، الصفحة ٤٥؛ **الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد**، مصدر سابق، الصفحتان ٣٥ و٣٦.

تبيان مسألة الإمامة والحاكميّة السياسيّة في المجتمع الإسلاميّ، وثالثًا؛ العمل والسعي لتشكيل ذلك المجتمع وتحقيق هدف رسول الإسلام الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم وجميع الأنبياء؛ أي إقامة القسط والعدل وإطاحة أعداء الله عن ساحة الحكم وإيلاء زمام قيادة الحياة إلى خلفاء الله وعباده الصالحين[٥٨].

لقد نتجت أطروحة فصل الدين عن السياسة في الغرب، من وجهة نظر القائد، عن أعمال الكنيسة السلبيّة ومحاربتها لآراء العلماء والمفكرين الجديدة، ومن ثمّ رُوّج لهذه الفكرة في العالم الإسلاميّ بين المتنوّرين. لقد كان الحكّام المستبدّون، والمتنوّرون المرتبطون بالخارج، وعلماء البلاط، من جملة المروّجين للفكر العلمانيّ في المجتمعات الإسلاميّة[٥٩]، بغية الحفاظ على مصالحهم اللامشروعة إلى جانب المستعمرين[٦٠].

كما يشير القائد إلى الدور المجدّد لثورة الإمام الخميني الإسلاميّة في إعادة اللّحمة بين الدين والسياسة، وبتعبير أدقّ، إحياء الوحدة بين الدين والسياسة. ويذكر أيضًا النتائج الهامّة لحاكميّة هذا النموذج على الشكل التالي:

١. إحياء الإسلام في العالم الحديث.

٢. عودة روح العزّة الإسلاميّة إلى المسلمين.

٣. إسقاط النظام الشاهنشاهي البهلوي الطاغوتيّ.

٤. إقامة الحكومة الإسلاميّة في إيران.

٥. الاستقلال، والحرّيّة، ومبدأ اللاشرقيّة واللاغربيّة.

٦. تقديم المذهب السياسيّ للإسلام وتبيين أبعاده.

---

(٥٨) حديث ولايت، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ٢٣٤؛ الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد، مصدر سابق، الصفحتان ٤١ و٤٢.

(٥٩) جريدة كيهان، ١٣٨٠/٦/٢٥هـ.ش.

(٦٠) الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد، مصدر سابق، الصفحات ٧٢ إلى ٧٨.

٧. تبيين الوجه الأصيل للدين في العالم المعاصر.

٨. إحياء الثقة بالنفس والصحوة الإسلاميّة في العالم[٦١].

بالالتفات إلى رؤية القائد في تفاعل الدين والسياسة، ينبغي القول إنّ الثقافة السياسيّة الإسلاميّة لها جذور في وحدة الدين والسياسة، وكلّ نوع من أنواع الفصل عن الدين يفرّغها من هويّتها الأساسيّة، ويجعلها بلا قيمة. الثقافة السياسيّة المتأتّية عن العلمانيّة هي ثقافة مستوردة، غربية وغير إسلاميّة. والعلمانيّة متضادّة مع روح الإسلام، ويظهر ذلك من خلال النظر في سيرة الأنبياء، والأئمّة المعصومين، وأهداف الدين الإسلاميّ، وطبيعة الآيات القرآنيّة.

تلك الثقافة السياسيّة التي تعطي الأصالة للقوّة، وللمادّيّات والدنيا، وتبرّر من خلال إنكار المعنويّات، وإقصاء الدين، وفصل الدين والأخلاق عن السياسة والحكومة، حاكميّة الطبقات المتموّلة والفاسدة واستعمار الأمم الأخرى، وتتشدّق بالكلام عن الديمقراطيّة وحقوق البشر ومحوريّة الإنسان، لكنّها في مقام العملِ تتصرّف خلاف ذلك، وتبرّر وتؤيّد إذلال الإنسان وعبوديّته ونظام التسلّط العالميّ، كيف يمكنها أن تكون متوائمةً مع روح الإسلام. تلك الثقافة السياسيّة التي لا معنى للعدالة فيها، والتي تعتبر العدالة أسطورةً، وتعدّ نظام اللامساواة الاجتماعيّ والفجوات الهائلة بين الثروة والفقر أمورًا طبيعيّةً، والمرأة ألعوبة لأهوائها السياسيّة والاقتصاديّة، وتروّج للانحلال والفساد الأخلاقيّ، والتي لا تقرّ بنتيجة الديمقراطيّة في البلدان الإسلاميّة لأنّها ترى ضررها فيها - كما حصل في إيران، والجزائر، وانتخابات المجلس الوطنيّ الفلسطينيّ بفوز حماس - ولا تذعن وتخشع أمام الله، كيف يمكن تقبّلها من قبل المسلمين المؤمنين بالله وقيم الوحي؟!

---

(٦١) الدين والسياسة في رؤية الإمام القائد، مصدر سابق، الصفحات ٨٦ إلى ١٠٦.

الثقافة السياسيّة الإسلاميّة لها جذور في المجال الدينيّ، وفهمها من وجهة نظر قائد الثورة مشروط بفهم هذا المبدإ ونظريّة وحدة الدين والسياسة.

## ثالثًا: ممهّدات الثقافة السياسيّة في إيران

تتعدّد العوامل المهيّئة للثقافة السياسيّة في بلد ما والممهّدات لها، فمن جهة تلعب المعتقدات، والقيم، والعادات المتعارفة والمقبولة، والسنن، والآداب والرسوم الدينيّة دورًا مؤثّرًا في تشكّل الثقافة السياسيّة، ومن جهة أخرى يكون النظام السياسيّ الحاكم في الماضي، والتاريخ السياسيّ لذلك البلد، والنجاحات والإخفاقات، وحتّى الموقع الجغرافيّ، والموقع الاستراتيجيّ، والاقتصاد السياسيّ، والثقافات الأجنبيّة المؤثّرة، والهجوم الثقافيّ، هو الممهّد لتشكّل الثقافة السياسيّة. يقول قائد الثورة المعظّم في كلمة له أنّ ثقافتنا هي صنيعة تاريخنا وديننا وثورتنا[٦٢]. بناءً على هذا، يمكننا أن نذكر ثلاثة عوامل ممهّدة للثقافة السياسيّة في إيران وهي:

١. الثقافة القديمة:

لهذه الثقافة جذور في إيران القديمة، ونماذجها مستمرّة في التراث الإيرانيّ، بعضها لا زال رائجًا كالنوروز والأربعاء الأخيرة من السنة الهجريّة الشمسيّة.

٢. الثقافة الإسلاميّة:

لقد بدأ تأثير هذه الثقافة على إيران قبل فتحها بقليل على أيدي المسلمين، وقد استمرّت من حين حاكميّة الإسلام إلى اليوم. مع فارق هو أنّ ميول هذه الثقافة كانت إلى عهد قريب من حكم

---

(٦٢) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع وزير الثقافة والمستشاريّين الثقافيّين في إيران والخارج، بتاريخ ٣/٢/١٣٧٠هـ.ش.

الصفويّين لمذهب أهل السنّة، وبعد ذلك أصبحت شيعيّةً إثنَي عشريّةً.

٣. الثقافة الغربيّة:

منذ ثورة المشروطة، وتزامنًا مع التحوّلات الثقافيّة الواسعة في أوروبا، مع ظهور المذاهب السياسيّة كالليبراليّة، والإشتراكيّة، والماركسيّة، والفاشستيّة، تأثّرت إيران أيضًا بالثقافة الليبراليّة، والإشتراكيّة، والماركسيّة، وأثّرت معتقدات هذه الثقافات السياسيّة على طبقات من عامّة الشعب في إيران، وخاصّةً المتنوّرين. في العهد البهلويّ، عمل رضا شاه جاهدًا، بمعونة المتنوّرين العلمانيّين والإنكليز، لإلغاء الثقافة السياسيّة القديمة، وتطبيق العلمانيّة في إيران، وقد استمرّ محمّد رضا بهلوي، أيضًا بمعونة أمريكا والإنكليز، على هذا النهج، إلى أن عادت الحياة مجدّدًا، بظهور الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه لدين الإسلام وثقافته السياسيّة، وانتصر في تحدّيه الثقافتَين المذكورتَين. وهكذا، بانتصار الثورة الإسلاميّة في العام ١٣٥٧هـ.ش. (١٩٧٩م.)، أضحت الثقافة السياسيّة الحاكمة في مجتمعنا هي ثقافة الإسلام السياسيّة. في الواقع، تاريخنا يحكي عن التحدّي بين الثقافات الثلاث؛ الإيرانيّة، والإسلاميّة، والغربيّة. فقد أحاط مستوًى متدنٍّ من الثقافة القديمة ليس بذلك القدر من الضخامة، بمعيّة مستوًى ناعم وسطحيّ من الثقافة السياسيّة الغربيّة، بالمستوى الضخم والعميق للثقافة السياسيّة الإسلاميّة. وقد سعى بعض المعاندين والمعارضين لثقافة الإسلام السياسيّة إلى إحياء المعتقدات القديمة البالية من جهة، ونشر قيم الثقافة السياسيّة للغرب وعاداتها بغية محاربة ثقافة الإسلام السياسيّة، غافلين عن أنّ ثقافة الإسلام

السياسيّة كشمس ترسل نورها دومًا وتبعث بدفئها إلى هذه الأرض، وأنّ الطبقات الخفيفة للغيوم السوداء القديمة والغربيّة لا يمكنها أن تحجب نورها.

لقد جعل آية الله الخامنئي، في نظرة جامعة وشاملة، أنواع الثقافات المؤثّرة في تاريخنا القديم إلى اليوم موضع اهتمامه، وعمد من خلال نقدها ودراسة أبعادها إلى إثبات حقّانيّة ثقافة الإسلام السياسيّة. ونشير فيما يلي بالاستفادة من خطاباته إليها:

١. الثقافة الشاهنشاهيّة:

وقد ذُكرت هذه الثقافة في خطاباته بأسماء متعدّدة كالثقافة الاستبداديّة، والطاغوتيّة، والسلطويّة. يقول قائد الثورة حول تأثير وتمهيد هذا النوع من الثقافة:

> الحاكم المستبدّ على رأس المجتمع، يحوّل جميع الناس إلى دمى مستبدّة، وتسري ثقافة الاستبداد من الأعلى إلى الأسفل، ليصبح الجميع مستبدّين، وغير مكترثين لآراء الآخرين، وليصبح الجميع متمحورين حول ذاتهم، تابعين لأهوائهم ولرغباتهم النفسانيّة. أمّا الحاكم المتّقي، الحاكم العادل، فيجعل المجتمع تقيًّا(٦٣).

والثقافة الشاهنشاهيّة، برأي القائد، هي ثقافة امتهان الإنسان واستعباده من قبل الإنسان، هي ثقافة إضعاف البشر، وإخضاعهم وإذلالهم، هي ثقافة النفاق، والاختلاف، والفرقة بين الناس وعدم تواؤمهم، بخلاف ثقافة الثورة الإسلاميّة، التي هي ثقافة العبوديّة لله والحرّيّة والاستقامة، ثقافة الحميميّة، والوحدة، والانسجام والمودّة(٦٤).

---

(٦٣) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٦/١٠/١٣٦٢هـ.ش.

(٦٤) كلام للإمام الخامنئي في لقاء له مع الدكتور حدّاد عادل، بتاريخ ٣٠/٩/١٣٦١هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ٨/١١/١٣٦٣هـ.ش.

ومن خلال ما يقدّمه حفظه الله في هذا المجال يؤكّد على أنّنا خرجنا من مستنقع ثقافة طاغوتيّة، يعدّ التفرّد والنزوع إلى الهيمنة ميزتَين أخريَين لهذا النوع من الثقافة السياسيّة التي كانت سائدةً لقرون متماديّة من التاريخ الماضي[٦٥].

ويحذّر قائد الثورة من:

أن نكون متأثّرين بالثقافة الطاغوتيّة الماضية، أو أن تُجعل موضع تأثير علينا بحيث إذا ما دَعَيْنا، ظاهرًا وبالعنوان، إلى المعايير الإسلاميّة وتحرّكنا نحوها، نكون في الواقع نسير بحركة لاشعوريّة نحو المعايير الجاهليّة والطاغوتيّة[٦٦].

٢. الثقافة الغربيّة:

الثقافة الغربيّة، برأي قائد الثورة، هي ثقافة التخطيط لفساد الإنسان، ثقافة العداوة والحنق على القيم والإشراقات والفضائل الإنسانيّة، ثقافة أرباب القوّة والمال والحكام المتسلّطين، ثقافة الغفلة عن ذكر الله والمعنويّات، ثقافة التعرّي، والاختلاط والعلاقات المتفلّتة بين الرجل والمرأة[٦٧]، هي ثقافة لا تريد من الليبراليّة (التحرّريّة) سوى حرّيّة أصحاب رؤوس الأموال، وتطالب بالحرّيّة المطلقة لتفعل ما تريد[٦٨]. الثقافة الغربيّة هي ثقافة التسلّط، وميزتها إفراغ المفاهيم، كحقوق البشر، والحرّيّة، ومحاربة الإرهاب، وغيرها، من معانيها، أو تفسيرها طبقًا لرغبات الحكّام المتسلّطين. هي ثقافة التمييز أو تمايز الحكّام عن الشعب، ثقافة تقبّل الظلم والظالم، ثقافة المنّ، والتملّق، والمجاملات الكاذبة

(٦٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٣/١١/١٠هـ.ش.
(٦٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٢٧هـ.ش.
(٦٧) كلام للإمام الخامنئي في لقاء عامّ ومع الأطبّاء والعاملين في المراكز الصحّيّة، بتاريخ ١٩٦٨/٩/١٥؛ وكلام له في حرم الإمام الرضا، بتاريخ ١٣٨٢/١/١هـ.ش.
(٦٨) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مع مسؤولي مؤسّسة كفا، بتاريخ ١٣٨٠/٤/٢٤هـ.ش.

للتقرّب من الحاكم[٦٩].

من الخصائص الهامّة للثقافة السياسيّة الغربيّة النزوع إلى الهيمنة، وبتعبير أفضل، أصالة القوّة. يكتب المفكرون والمنظرون الأمريكيّون، ويعلنون صراحةً، أنّ قيادة العالم من حقّنا. ويعتبر الإمام الخامنئي هذه النظرة مرفوضةً[٧٠]، وينطلق في رفضها من وجهة النظر الإسلاميّة:

لأنّني أمتلك القوّة السياسيّة، فإنّي أمتلك هذا الحقّ، أي لا مكان لمقولة أصالة القوّة في الإسلام. اللعبة السائدة اليوم في معظم دول العالم هي لعبة السلطة. والثقافة السياسيّة للعالم اليوم هي ثقافة تحصيل السلطة والانتهازيّة [...] فالحكومات تتشكل من خلال الانتهازيّة ومن أجل الانتهازيّة، ولعبة الأحزاب تحصل من خلال الانتهازيّة ومن أجلها، والتعيينات أيضًا هي من أجل أهداف انتهازيّة. والسبب في ذلك يعود إلى أنّهم لا يؤمنون بالله، ولا يخضعون له، ولا يعرفون قدره، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٧١].

الروح الحاكمة على الثقافة الغربيّة، من وجهة نظر قائد الثورة، هي الروح الماديّة والدنيويّة. في البلدان الأوروبيّة حتّى قضيّة حقّ المرأة في الانتخاب لم تُطرح إلّا عندما اقتضت ذلك مصالح الشركات الاقتصاديّة–السياسيّة[٧٢].

وفي انتقاد للغربيّين الذين يصفون المسلمين بالتحجّر والتعصّب، والتقليديّين، والرجعيّين، وهذا هو مقصودهم من الأصوليّة، يقول القائد:

إنّهم أنفسهم المتعصّبون والمتحجّرون بهذا المعنى. فعندما تصل القضيّة إلى المسائل

(٦٩) كلام للإمام الخامنئي في افتتاح المؤتمر الخامس للفكر الإسلاميّ، بتاريخ ١٣٦٥/١١/٩هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ١٣٦٨/٨/٧هـ.ش.

(٧٠) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مع رئاسة مجلس الشورى الإسلاميّ، بتاريخ ١٣٧٩/٣/٢هـ.ش.

(٧١) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع أعضاء الحزب الجمهوريّ في جرجان وكنبد وإمام جمعة قزوين، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٥هـ.ش.

(٧٢) كلام للإمام الخامنئي في المؤتمر العالميّ للمرأة، بتاريخ ١٣٦٦/١١/١٧هـ.ش.

الهامّة بالنسبة للغرب، لا يتخلّون عن شيء. إنّهم مستعدّون للتضحية بأرواح كثيرة من البشر في سبيل ذلك الشيء الذي هو جزء من أركان الثقافة الغربيّة وأصولها[٧٣].

ورغم تسليم قائد الثورة بالتطوّر المادّيّ للحضارة الغربيّة، والثروات، والعلوم، والاختراعات، يذكّر أنّ الغربيّين، بالرغم من كلّ هذا التطوّر، ليسوا سعداء بالمعنى الإنسانيّ للكلمة، ولا يتمتّعون بالاستقرار الروحيّ والعدالة الاجتماعيّة[٧٤]. إنّهم يتكلّمون عن التساهل والتسامح، ولكنّهم في مقام العمل متعصّبون ومتحجّرون، يطلقون شعار الحرّيّة الفكريّة، لكنّهم عمليًّا يفرضون ثقافتهم على الآخرين[٧٥]. فاكتساب العلم، كما رأينا في مسألة الملفّ النوويّ، ليس حرًّا، فهم يريدون حصر العلم بهم.

الجدير بالذكر، أنّ قائد الثورة المعظّم، وكما ورد سابقًا، لا يتغاضى عن أيّ نكتة إيجابيّة في الثقافة الغربيّة، أو يرفض كلّ نوع من أنواع التفاعل السليم:

لا يمكن لأحد أن يدّعي أنّ الثقافة الغربيّة سيّئة بتمامها، لا، فهي حتمًا تتضمّن أشياء جميلة [...] هي جملة من الأمور الحسنة والقبيحة، والشعب العاقل، والجماعة العاقلة تأخذ ما هو حسن منها، تضيفه إلى ثقافتها، وتغنيها به، وتترك ما هو قبيح[٧٦].

على كلّ حال، إحدى العوامل المؤثّرة في ثقافة إيران السياسيّة

---

(٧٣) كلام للإمام الخامنئي في لقائه الضيوف الأجانب المشاركين في الذكرى السنويّة لرحيل الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٧٤/٦/١٧هـ.ش.، وكلام له في لقائه نوّاب مجلس الشورى، بتاريخ ١٣٧٢/٣/٨هـ.ش.

(٧٤) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع إدارة الأنشطة الإعلاميّة في منظّمة المؤتمر الإسلاميّ، بتاريخ ١٣٧٧/٣/٤هـ.ش.

(٧٥) كلام للإمام الخامنئي في حوار مع ضيوف عشرة الفجر، بتاريخ ١٣٧٠/١١/٤هـ.ش.

(٧٦) كلام للإمام الخامنئي في لقائه بمجموعة من الشباب، بتاريخ ١٣٧٧/١١/١٣هـ.ش.

هي الثقافة الغربيّة، التي أحدثت خدشًا في ثقافتنا الإيرانيّة، والمحلّيّة، والإسلاميّة الأصيلة. يقول آية الله الخامنئي في هذا الصدد:

على هذا الأساس أضاعونا، أي هي ما أراه العامل الأصليّ، والميكروب الأساسيّ للانحطاط الثقافيّ وضياع ثقافتنا، وقد أضاعونا واقعًا من الناحية الثقافيّة [...] أوّلًا: لقد أنسونا ماضينا المنبعث بغالبيّته من الإسلام، والصادر عن الإسلام والتعاليم الإسلاميّة، ومحوه من الذاكرة، ثانيًا: لقد جاءوا بالنسق الغربيّ، والطراز الغربيّ بتمامه، مع الثقافة الغربيّة نفسها، بشكلها المحلّيّ، وحتّى البدويّ ليحقنونا به(٧٧).

## رابعًا: أنواع الثقافة السياسيّة

يمكن تقسيم الثقافة السياسيّة، بحسب الرؤى، إلى أنواع مختلفة؛ وطبقًا لإحدى الرؤى، هناك ثلاثة أنواع من الثقافة السياسيّة نفصّلها على الشكل التالي:

١. الثقافة السياسيّة التشاركيّة Participant:

أي الثقافة التي يبدي الناس فيها مشاركةً فعّالةً في الأمور السياسيّة للمجتمع، والتي يدرك فيها المواطنون حقوق المواطنيّة خاصّتهم، ويؤيّدون نظامهم السياسيّ، ويلعبون دورًا في اتّخاذ القرارات، ويشاركون في العمليّة السياسيّة بالقوّة والفعل، ويعون المسائل السياسيّة في المجتمع، ويمكنهم طرح مطالبهم السياسيّة، ويجعلون دعمهم السياسيّ للقيادات السياسيّة التي يريدونها(٧٨).

٢. الثقافة السياسيّة الانقياديّة Subject:

يمكن أن نطلق على هذا النوع من الثقافة اسم الثقافة الإذعانيّة

---

(٧٧) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع مجموعة أدب المقاومة في سازمان تبليغات إسلامي، بتاريخ ١٣٧٢/٧/١٢هـ.ش.

(٧٨) راجع، **جار جوبي لظري براي بررسي سياست تطبيقي**، مصدر سابق، الصفحة ٧٣.

أو التبعيّة. في مثل هذا النوع من الثقافة، تكون مشاركة الناس في السياسة، على الرغم من اعتبار أنفسهم مواطنين، ووعيهم للمسائل السياسيّة في المجتمع، إنفعاليّةً، لا يرضون كثيرًا عن النظام السياسيّ للبلد، لا يشعرون كثيرًا بالمسؤوليّة السياسيّة والالتزام بالنسبة للمشاركة فيها، يشعرون بعدم القدرة على اتّخاذ القرار والتأثير على مراكز القوّة، وتكون إطاعتهم للقيادات الحكوميّة ومشاركتهم في الانتخابات والعمليّة السياسيّة انفعاليّةً[٧٩].

٣. الثقافة السياسيّة المحدودة Parochial:

في المجتمعات التي يسيطر عليها مثل هذا النوع من السياسة، لا يدرك الأفراد حقوقهم المواطنيّة، لا يحبّون الخوض في السياسة، يعتبرون أنفسهم فاقدين للكفاءة السياسيّة، وغير قادرين على المشاركة في المؤسّسات السياسيّة واتّخاذ القرارات، يمكن إطلاق اسم القبليّة أيضًا على مثل هذا النوع من الثقافة السياسيّة، وهي غالبًا ما تختصّ بالمجتمعات المتخلّفة سياسيًّا. وأفراد هذا النوع من المجتمعات ليس لديهم، في الواقع، معرفة بالسياسة والحكومة، وهم بشكل عامّ، وتقريبًا، مرتبطين بالأسرة وبمجتمعاتهم المحلّيّة. يُطلَق على الأفراد الذين يمتلكون هذه الثقافة اسم قاصري النظر Parochial[٨٠].

ويُستفاد من مجموع خطابات آية الله الخامنئي أنّه - من بين الثقافات السياسيّة - يوصي ويروّج للنوع التشاركيّ والفعّال منها، وهو يطلب مرارًا في الانتخابات المختلفة، الأعمّ من انتخابات مجلس خبراء القيادة، ورئاسة الجمهوريّة، ومجلس الشورى، ومجالس المدن والقرى، من عموم

---

(٧٩) المصدر نفسه، الصفحتان ٧٣ و٧٤.

(٨٠) المصدر نفسه.

أفراد الشعب أن يحضروا أمام صناديق الاقتراع من خلال المشاركة الواعية والفعّالة والمتبصّرة، ويؤدّوا دورهم العظيم في تحديد المصير السياسيّ للبلد. وهو يعتبر المشاركة السياسيّة في الانتخابات، حتّى عندما يقتضي الأمر الانتقال إلى جولة ثانية منها، واجبًا شرعيًّا وسياسيًّا[٨١]:

يوجد طرز من التفكير المتقدّم، المتحضّر كثيرًا، ويستحقّ الدفاع في النظام الإسلاميّ لحقّ الشعب في الاقتراع والممارسة السياسيّة. بالطبع، الممارسة السياسيّة لا تنحصر بحقّ الاقتراع. فالحرّيّات السياسيّة، وحقّ الاقتراع، وحقّ الانتخاب، وحقّ العمل السياسيّ، وحقّ الأنشطة السياسيّة، أمور كانت رائجةً في المجتمعات الإسلاميّة منذ القدم، وقد أتى بها الإسلام[٨٢].

بالتأمّل في هذا الحديث نستنتج أنّ الكلام في الثقافة السياسيّة التشاركيّة، وبنوعها الإسلاميّ طبعًا، الذي يهدف إليه القائد، ليس فقط عن التكليف، حتّى يشارك الناس في العمليّة السياسيّة لمجرّد الوجوب الشرعيّ، ويدخلوا الميدان السياسيّ بصورة انفعاليّة، بل يُطرح الحقّ أيضًا إلى جانب التكليف. المشاركة السياسيّة حقّ للناس، الحرّيّة السياسيّة في نطاقها الإسلاميّ هي حقّ للشعب. الحرّيّة السياسيّة من وجهة نظر قائد الثورة الإسلاميّة بشكلٍ عامّ هي بمعنى أنّ لأفراد المجتمع الإسلاميّ دورًا وأثرًا في تشكيل النظامِ السياسيّ للمجتمع وكذا في إدارته[٨٣].

وفي لقاء له بشباب أصفهان، يطلب منهم أن ينظروا للحرّيّة كمطلب دائم لهم: «عليهم أن يعتبروا الحرّيّة الإسلاميّة بمفهومها الإسلاميّ السامي جدًّا، سواءً الحرّيّة الفرديّة، أو الحرّيّة الاجتماعيّة والسياسيّة، أو الحرّيّة المعنويّة والروحيّة، من جملة مطالبهم الدائمة»[٨٤]. ويرى القائد أنّ أساس الثقافة السياسيّة التشاركيّة في الحكومة الإسلاميّة ومنشأها في

(٨١) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٢/٩/١٣٦١هـ.ش.

(٨٢) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ٢٢/٣/١٣٦٦هـ.ش.

(٨٣) كتاب السنوات الأربع الثانية (الولاية الثانية لرئاسة الجمهوريّة)، الصفحة ٢٢٠.

(٨٤) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع مجموعة من شباب أصفهان، بتاريخ ١٢/٨/١٣٨٠هـ.ش.

العناصر الأربعة التالية:

١ . آيات القرآن الكريم.

٢ . الروايات، ومن جملتها عهد الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر.

٣ . أسلوب الحكم في صدر الإسلام.

٤ . وصايا مسلمي صدر الإسلام الأوّل، وتعاطيهم مع عامّة المسلمين وحتّى غير المسلمين[٨٥].

ويذكّر حفظه الله بأنّ توجّه الثقافة السياسيّة التشاركيّة ومباشرة العمل السياسيّ، حتمًا لا يكون ضدّ الدولة والمسؤولين والنظام، فالفعاليّة السياسيّة لا تحصل عن طريق الشتم والسباب والإهانة لهذا وذاك؛ وهذا [الأسلوب] نوع من الاحتيال والألاعيب السياسيّة[٨٦]. بهذه التذكرة، تجد الأخلاق مكانتها العالية في قلب الثقافة السياسيّة التشاركيّة من النوع الإسلاميّ، التي تقع في موقع الضدّ للثقافة التشاركيّة العلمانيّة[٨٧].

يرى قائد الثورة المعظّم أنّ القوّة تكمن في الثقافة السياسيّة التشاركيّة بالالتفات إلى أبعادها المعرفيّة، الميوليّة والعمليّة: القوّة الحقيقيّة عبارة عن قوّة الشعب الذي يكون، أوّلًا، واعيًا لما يجري حوله. ثانيًا؛ مؤمنًا بالحقّ وبطريقه. ثالثًا؛ مصمّمًا على المضيّ في طريقه. إذا ما تميّز شعب بهذه الخاصّيّة، فلن تفوقه أيّ قوّة في العالم قوّةً[٨٨].

بالالتفات إلى المطالب المذكورة، يتّضح أنّ آية الله الخامنئي يرفض الثقافة السياسيّة التبعيّة أو الانفعاليّة، فأن يعتبر الحكّام أنفسهم أربابًا للناس،

---

(٨٥) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٦٢/٣/٢٧هـ.ش.

(٨٦) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع طلّاب (طرح ولايت)، بتاريخ ١٣٨١/٥/١٧هـ.ش.

(٨٧) كلام للإمام الخامنئي في حوار أسئلة وأجوبة مع طلاب جامعة طهران، بتاريخ ١٣٧٧/٢/٢٢هـ.ش.

(٨٨) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٦٨/٤/٢٣هـ.ش.

وأن يطلبوا منهم الطاعة المطلقة فقط، ولا يعترفوا للشعب بأيّ حقّ في الحاكميّة، أو أن يعتبر الشعب نفسه تابعًا ومطيعًا بالمطلق للسلطة، ويظهر من نفسه تعاطيًا باردًا إزاء إبداء الرأي السياسيّ والتحاليل السياسيّة، وأن لا يكون ميّالًا للعمل السياسيّ كثيرًا، وأن يتصوّر الإسلام أو الدين منفصلًا عن السياسة، ويكون له دور انفعاليّ في تخطيطات المسؤولين، أو أن يتنحّى جانبًا؛ هو أمر غير مقبول في الثقافة السياسيّة الإسلاميّة. يُروّج لهذا النوع من الثقافة في الأنظمة الاستبداديّة والطاغوتيّة، وفي رفضه لهذه الثقافة يشير قائد الثورة المعظّم إلى ما قبل انتصار الثورة الإسلاميّة ويقول:

> لم يكن يُنظر للشعب على أنّه الصاحب الأصليّ لهذا البلد مطلقًا. في هذه المملكة الواسعة، كان يحكم ملك واحد كـ«ناصر الدين شاه»، يعتبر عموم أفراد هذا الشعب خدمًا له؛ الأعمّ من خدّامه الرسميّين الذين يبدأون من رئيس الوزراء إلى الوزراء كافّة. عموم أفراد الشعب الذين كانوا أيضًا من رعاياه. هذه السياسة والعقليّة الحاكمة، كانت هي الذهنيّة الحاكمة على كلّ البلد، و لم يكن للشعب دور لقرون متمادية[٨٩].

ويقول في موضع آخر: «لقد خرجنا من مستنقع ثقافة طاغوتيّة، إنّنا لسنوات طويلة بل لقرون متمادية، وجيلًا بعد جيل، حيثما نظرنا، رأينا التفرّد في المسؤوليّات الاجتماعيّة، وشاهدنا المسؤوليّة الاجتماعيّة كقاعدة للسلطة فقط»[٩٠].

إنّه يعرّف هذه الثقافة بثقافة امتهان الإنسان وعبوديّته للإنسان، وبثقافة الجاهليّة التي يرفضها الإسلام[٩١]: «يذكّرهم أمير المؤمنين عليه السلام بحقّ كبير لهم، ويفهمهم بأن ليس لأمرائكم وحكّامكم حقّ التحكّم بكم والتفرعن عليكم، ولا يحقّ لهم أخذ شيء من أموالكم»[٩٢].

---

(٨٩) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع مدراء التلفزيون بتاريخ ١٥/١١/١٣٨١هـ.ش.
(٩٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/١١/١٣٦٣هـ.ش.
(٩١) كلام للإمام الخامنئي في لقائه الدكتور حدّاد عادل، بتاريخ ٣٠/٩/١٣٦١هـ.ش.
(٩٢) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ٧/١/١٣٦٠هـ.ش.

وكما مرّ سالفًا، كما يرفض قائد الثورة المعظّم الثقافة السياسيّة التي رُوّج لها من قبل الأنظمة الشاهنشاهيّة، والطاغوتيّة، والاستبداديّة، يطلب أيضًا من عموم أفراد الشعب، من خلال التوصيات والتشجيع على المشاركة في ميادين السياسة، والتأثير في أركان الحكومة، العمل بخلاف الثقافة السياسيّة الانقياديّة. كما أنّ الثقافة السياسيّة المحدودة أو القبليّة مرفوضة أيضًا، لأنّها ثقافة مقفلة، جامدة، قصيرة النظر، وخاصّةً بالمجتمعات المتخلّفة، يفتقد الشعب فيها للوعي السياسيّ اللازم، وغالبًا ما يكون مشغولًا بمسائله العائليّة، والقبليّة، والقوميّة والمحلّيّة. والقائد حفظه الله يرفض الثقافة السياسيّة الإقطاعيّة، المتحكمة، القبليّة، والثقافة السياسيّة المقفلة والمتحجّرة، ولا يقبل بها.

وبرأيه، إنّ الإدراك والوعي السياسيّ ضروريّ للشعب[٩٣]، ينبغي أن يتحلّى الشعب بالقدرة على التحليل السياسيّ، والمطالبة بحقوقه، أن يكون عارفًا لعدوّه، وأن يشارك مشاركةً فعّالةً في تحديد المصير السياسيّ للمجتمع[٩٤]، وأن يحصّل مكانته الرفيعة في أبعاد الثقافة السياسيّة التشاركيّة من حيث العلم والفكر السياسيّ، والميول والأنشطة السياسيّة، وأن يجعل مؤشّرات الثقافة السياسيّة الإسلاميّة نصب عينَيه.

## خامسًا: أبعاد الثقافة السياسيّة

تُطرح الثقافة السياسيّة في ثلاثة أبعاد؛ الوعي والإدراك السياسيّ، النزعات والميول، والمباشرة العمليّة أو المشاركة. وقد بيّن قائد الثورة المعظّم رأيه تمامًا في الأبعاد الثلاثة للثقافة السياسيّة[٩٥]، نشير إليها باختصار:

---

(٩٣) المصدر نفسه

(٩٤) كلام للإمام الخامنئي في لقائه جماعة خطباء طهران، بتاريخ ١٣٦٥/٢/١٤هـ.ش.؛ وكلام له في خطبة عيد الفطر، بتاريخ ١٣٨٢/٩/٥هـ.ش.

(٩٥) ملحق اطّلاعات السياسيّ/الاقتصاديّ، (خرداد وتير، ١٣٨٤هـ.ش.)، العدد ٢١٣/٢١٤، الصفحة ٢٧.

١. الوعي، والفهم، والتحليل السياسيّ:

لقد أكّد آية الله الخامنئي كثيرًا على ضرورة اكتساب العلم والفكر السياسيّ وتحليل الأحداث من قبل الشعب، وقد أوضح جيّدًا، على وجه الخصوص، تأثير هذا البعد من أبعاد الثقافة السياسيّة في أحداث فترة حكومة الإمام عليّ عليه السلام، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وواقعة كربلاء[٩٦]. وكمثال، يقول عن وقائع ثورة الإمام الحسين عليه السلام:

> ما إن رأى أهل الكوفة رجلًا ملثّمًا راكبًا على فرس، آتيًا بالعتاد والتجهيزات وأمثالها، حتّى ظنّوا أنّه الإمام الحسين عليه السلام، فتوجّهوا إليه وراحوا يسلّمون عليه قائلين: السلام عليك يا ابن رسول الله. هذه هي ميزة الإنسان العاميّ. فالناس الذين ليسوا من أهل التحليل، لا ينتظرون معرفة الحقائق، وما إن يروا شخصًا واردًا بفرسه ومعدّاته، ومن دون أن يتكلّموا معه ولو كلمةً واحدةً، يقول أحدهم هذا هو الإمام الحسين عليه السلام، فيردّد الجميع الإمام الحسين، الإمام الحسين عليه السلام، ويبنون على ذلك ويسلّمون عليه ويؤدّون له الاحترام[٩٧].

بناءً على هذا، يؤكّد قائد الثورة المعظّم، بشكل خاصّ، على التأثير الكبير للبصيرة السياسيّة وفقدانها في التحوّلات التاريخيّة، وبَعد البصيرة السياسيّة، تكون الأهمّيّة الكبيرة في الثقافة السياسيّة الإسلاميّة، برأيه، لقوّة فهم الأمور وتحليلها. ذلك أنّ العمل من دون معرفة، كالسير على غير الطريق، ولا تزيده سرعة العمل إلّا بعدًا عن الحقيقة: «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق، لا تزيده كثرة السير إلّا بعدًا»[٩٨].

---

(٩٦) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع علماء حوزة مشهد، بتاريخ ١٣٦٤/٦/١١هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ١٣٦٥/٣/٤هـ.ش.؛ وكلام له في لقائه بتاريخ الثلاثين من شهر رمضان، بتاريخ ١٣٦٩/٢/٦هـ.ش.؛ وكلام له في لقائه علماء مدينة نوشهر، بتاريخ ١٣٧٢/٢/١٨هـ.ش.؛ وكلام له ليلة ٢١ شهر رمضان، بتاريخ ١٣٦٥/٣/٩هـ.ش.؛ وكلام له في لقائه جمعًا من أهالي قم، بتاريخ ١٣٦٧/١٠/١٨هـ.ش.

(٩٧) كلام للإمام الخامنئي في أعضاء لواء ٢٧ محمّد رسول الله حول الخاصّ والعوام.

(٩٨) تحف العقول، الصفحة ٣٦٢.

ويعدّ آية الله الخامنئي الوعي والتحليل السياسيّ ضروريًّا للناس كالماء والهواء[٩٩]، وعلى الناس أيضًا أن يعرفوا حقوقهم: «يرى الإسلام أنّ على الشعب أن يعرف حقوقه، وكان لأمير المؤمنين تأكيد عجيب على توعية الناس وإطلاعهم على حقوقهم»[١٠٠].

ويعتبر قائد الثورة أنّ إحدى الخصائص الهامّة للنظام السياسيّ الشعبيّ، والمميّزة له عن النظام الدكتاتوريّ - دكتاتوريّة القوّة، دكتاتوريّة العسكر والاستبداد، أو دكتاتوريّة رأس المال - هو في هذا البُعد من أبعاد الثقافة السياسيّة، أي الوعي والفهم السياسيّ.

٢. الميل السياسيّ:

المهمّ في هذا البُعد من الثقافة السياسيّة الميل للأعمال السياسيّة، والأهمّ منه الاتّجاه وتحديد المسار السياسيّ.

تتجلّى النظرة الإيجابيّة أو السلبيّة للسياسة والدخول فيها، واعتبار حرفة السياسة هامّةً، في هذا القسم من الثقافة السياسيّة[١٠١]. لقد أكّد قائد الثورة المعظّم على ضرورة التوجّه السياسيّ وتحديد المسار، على معرفة جبهتنا من غيرها، وبالنتيجة الميل إلى جبهتنا والعمل فيها، وعلى العلاقة السلبيّة بأعداء الإسلام والبلد، وروحيّة رفض الاستكبار، وبالخلاصة أن نعرف في أيّ خطّ نعمل: «عليكم أن تعلموا بوضوح، جهة عملكم وطبيعته، وجهة حركتكم وطبيعتها. عليكم أن تعلموا في أيّ خطّ تعملون ولماذا تعملون»[١٠٢].

(٩٩) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مسؤولي الصحف، بتاريخ ١٣/٢/١٣٧٥هـ.ش.
(١٠٠) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ٧/١/١٣٦٠هـ.ش.
(١٠١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣/٢/١٣٧٥هـ.ش.
(١٠٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٥/١٠/١٣٦٠هـ.ش.

٣. المشاركة السياسيّة:

التجلّي العمليّ للثقافة السياسيّة يكون في المشاركة السياسيّة. التدخّل في المصير السياسيّ للمجتمع، والتخطيط، والتأثير الخلّاق في العمليّة السياسيّة في البلد، والحضور في الساحات، يُظهر هذا البعد من الثقافة السياسيّة. ولعلّه يمكن القول إنّ أهمّ مؤشّر للثقافة السياسيّة من هذه الناحية هو الانتخابات. وقد تحدّث آية الله الخامنئي مرارًا عن لزوم بل وجوب مشاركة عموم أفراد الشعب في الانتخابات المختلفة، الأعمّ من انتخابات مجلس الشورى الإسلاميّ، ومجالس شورى المدن والقرى ورئاسة الجمهوريّة ومجلس خبراء القيادة. وهو يعتبر مشاركة الشعب مدعاةً ليأس العدوّ وزواله، وتحصينًا للقوّة الشعبيّة ودعمًا لاستمرار الثورة الإسلاميّة[١٠٣]. ويعتبر قائد الثورة التصوّر القائل بأنّ الحكومات الشعبيّة هي بالضرورة، غير الحكومات الإلهيّة والإسلاميّة، تصوّرًا خاطئًا[١٠٤]، ويرى أنّ إحدى مظاهر شعبيّة الحكومة هي في هذه المشاركة السياسيّة نفسها، أي أن يكون للشعب دور أساسيّ في إدارة الحكومة وتشكيلها[١٠٥]، وتعيين الحاكم وتعيين النظام. ويعرّف الانتخابات كتجلّي للمشاركة الشعبيّة وحرّيّة الشعب في تحديد مصيره[١٠٦]، ويعتبر المشاركة فيها واجبًا شرعيًّا، وكمثال نضرب البيان التالي: «عليكم اعتبار المشاركة في انتخابات مجلس خبراء القيادة لازمًا وواجبًا كواجب شرعيّ، وعلى جميع أفراد الشعب الذين تتوفّر فيهم هذه الشروط

(١٠٣) صلاة عيد الفطر، بتاريخ ١٣٨٢/٩/٥هـ.ش.
(١٠٤) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٦٢/٤/١هـ.ش.
(١٠٥) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٦٢/٥/١٤هـ.ش.
(١٠٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٨٢/١١/١٥هـ.ش.

المشاركة في الانتخابات»[١٠٧].

## سادسًا: تأثير ثورة إيران الإسلاميّة في الثقافة السياسيّة

برأي آية الله الخامنئي إنّ ثورة إيران الإسلاميّة قد تركت آثارها الهامّة في الثقافة السياسيّة على مستويات ثلاث، نشير إليها باختصار:

١. المستوى الوطنيّ:

كان للثورة الإسلاميّة تأثير هامّ على هذا المستوى، نشير إلى نماذج منها:

الأوّل: لقد طرحت الثورة الإسلاميّة مقولةً جديدة، تحت عنوان الحكومة الإسلاميّة، التي لا تأخذ، وخلافًا للثقافة الغربيّة، النظام الليبراليّ الديمقراطيّ في أوروبا نموذجًا، بل تحدّثت عن نظام جديد[١٠٨].

الثاني: روّجت للحرّيّة، والاستقلال، ومواجهة الاستبداد والاستعمار، وأحيت في الشعب روح المقاومة والعمل من أجل مستقبل أفضل، والأهمّ من ذلك أنّها لفتت الناس الذين أضحوا في النظام الاستبداديّ الشاهنشاهيّ بلا قدر وقيمة، إلى قدرهم[١٠٩].

الثالث: خلافًا للثقافة السياسيّة الطاغوتيّة والاستعماريّة للغرب التي تسعى إلى جعل الشعب الإيرانيّ موجودًا حقيرًا، مطيعًا، تابعًا وضعيفًا، حوّلته إلى شعب عزيز، ثوريّ، مستقلّ وقويّ[١١٠].

---

(١٠٧) جريدة كيهان، ١٣٦٩/٧/١٢هـ.ش.

(١٠٨) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع الهيئة العلميّة لمؤتمر الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٧٨/١١/٤هـ.ش.

(١٠٩) كلام للإمام الخامنئي في مقابلة مع صحيفة يوميوري اليابانيّة، بتاريخ ١٣٦٦/١١/١٨هـ.ش.

(١١٠) المصدر نفسه.

الرابع: خلافًا للثقافة السياسيّة الاستبداديّة والغربيّة، أحيت وعزّزت الروحيّة التعبويّة وثقافتها، والأهمّ من ذلك الروحيّة الجهاديّة في الشعب الإيرانيّ، وكذا الثقافة الجهاديّة في جميع المجالات والميادين الأعمّ من الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والعسكريّة والاجتماعيّة[١١١].

الخامس: عارضت تنعّم المسؤولين وأقربائهم من السلطة، وواجهت الاستئثار بالسلطة، وتقريب الحواشي[١١٢]، والمافويّة بشدّة.

٢. العالم الإسلاميّ:

يمكن الإشارة إلى تأثير الثورة الإسلاميّة في الثقافة السياسيّة للعالم الإسلاميّ[١١٣]، ومن جملتها في «صحوة العالم الإسلاميّ». وبتعبير قائد الثورة المعظّم، لقد نفذت أدبيّات الثورة الإسلاميّة وثقافتها في الأجواء العامّة لحياة الشعوب المسلمة والعربيّة ورسخت فيها بشكلٍ تامّ[١١٤].

علاوةً على ذلك، أحيت الثورة الإسلاميّة في الثقافة السياسيّة للعالم الإسلاميّ مفاهيم هامّةً أمثال مقارعة الاستكبار، ومواجهة تسلّط عالم الكفر على الإسلام، ورفض التبعيّة السياسيّة والاقتصاديّة[١١٥].

٣. على المستوى الدوليّ:

---

(١١١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٤/١٠/١٣٨٢هـ.ش.
(١١٢) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٠/١/١٣٦٣هـ.ش.
(١١٣) كلام للإمام الخامنئي في حرم الإمام الرضا (ع)، بتاريخ ١/١/١٣٨٠هـ.ش.
(١١٤) المصدر نفسه.
(١١٥) المصدر نفسه.

يرى قائد الثورة أنّ الثورة ونظام الجمهوريّة الإسلاميّة قد شكّك في أنواع الثقافات السياسيّة الرائجة بين متنفّذي العالم[١١٦]، فثقافتنا ثقافة مغايرة لتلك الثقافات، كما أنّ وضع الحكومة والسلطة السياسيّة وعلاقتها بالشعب وارتباطها به مختلفة في كلّ من الثقافتَين.

خلافًا للثقافة السياسيّة الغربيّة، تبنّت الثورة الإسلاميّة الحماية والدفاع عن الحركات المستضعفة في العالم في مقابل المستكبرين، والانتصار للمظلومين[١١٧].

ويمكن عدّ التشكيك في المؤشّرات الثقافيّة للغرب على المستوى الدوليّ، ومن جملتها أصالة القوّة، والمادّيّة، والتعلّق بالدنيا، والألاعيب السياسيّة[١١٨]، والانتهازيّة، وإنكار المعنويّات، وفصل الدين عن السياسة، وفصل الأخلاق والعرفان عن السياسة[١١٩]، والليبراليّة، والإنسانويّة، وتمايز الطبقات الرأسماليّة أيضًا، من جملة تأثيرات الثورة الإسلاميّة في الثقافة السياسيّة على المستوى الدوليّ.

---

(١١٦) كلام للإمام الخامنئي في خطاب له أمام موظّفي الدولة، بتاريخ ١٣٧٠/٤/١٠هـ.ش.

(١١٧) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٥٩/٣/٢هـ.ش.

(١١٨) كلمة الإمام الخامنئي في لقائه مع أعضاء الحزب الجمهوريّ في جرجان وكنبد وإمام جمعة قزوين، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٥هـ.ش.

(١١٩) كلام للإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة لرحيل الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٨٣/٣/١٤هـ.ش.

# مباني فلسفة الإسلام السياسيّة في رؤية

## الإمام القائد الخامنئي (دام ظلّه)

الدكتور عبد الله حاجي صادقي

ترجمة نوال خليل

### تمهيد

لا بدّ لنا، عندما ندخل في البحث عن المباني النظريّة والأصول الاعتقاديّة للسياسة، من الالتفات إلى وجود تلازم وترابط بين المسلكيّات والأعمال السياسيّة، وبين الرؤى والمعتقدات. لذا عند التشكيك في هذا الترابط والتلازم، لا يعود أيّ معنًى للبحث عن المباني والأصول الفكريّة والاعتقاديّة للسياسة.

بعض الفلاسفة، وتقليدًا منهم لأحد العلماء الحسّيّين، لا يعتبرون أنّ هناك أيّ نوع من العلاقة والارتباط بين الرؤية الكونيّة والأيديولوجيا (بين الحكمة النظريّة والحكمة العمليّة). ولذا، عرّفوا دائرة ونطاق العقل النظريّ والفلسفة بنحوٍ مستقلّ ومنفصل عن دائرة العقل العمليّ والسلوك وأعمال الإنسان. إلّا أنّ غالبيّة علماء الغرب، وكذلك علماء الإسلام، اعتبروا الارتباط بين هذين الأمرَين أمرًا بديهيًّا ومسلّمًا، وكذلك حاكميّة الفكر على العمل ومرجعيّته له واستناد كلّ أيديولوجيا إلى رؤية كونيّة خاصّة تتناسب معها، فهي أمور مسلّمة وتنسجم مع خلقة الإنسان وفطرته.

إنّ كافّة المباحث الفكريّة والاعتقاديّة في الثقافة الإسلاميّة، بكافّة أبعادها العمليّة والسلوكيّة، ومن جملتها الفكر السياسيّ ومبانيه (فلسفة السياسة)، ترتبط بالمواقف والاتّجاهات والأعمال السياسيّة والنمط

العامّ للدولة (النظام السياسيّ)، ولا يمكن الفصل بينهما، وإلّا كان ذلك خروجًا عن الفكر والعمل الدينيّ. ومن هنا، كان القبول بقسم وإنكار القسم الآخر من الفكر أو التعاليم الإسلاميّة هو إعراض وكفر بشموليّة الدين وتماميّته[1].

إنّ دين الإسلام هو عبارة عن مجموعة مترابطة من المعتقدات والأفكار والتعاليم و«ما ينبغي» و«ما لا ينبغي»، وهي مستقاة، بأسرها، من الوحي الإلهيّ فيما يتعلّق بنظرته تجاه العالم والإنسان والمستقبل. فهدفه يتمثّل في هداية الإنسان نحو الكمال الحقيقيّ وإيصال الاستعدادات والقابليّات والطاقات التي يتمتّع بها وجوده إلى مرحلة الفعليّة. كما أنّ الاعتقاد والإيمان القلبيّان لا يقتصر الأمر فيهما على دعوة القرآن الناس إليهما فقط، بل إنّ الإيمان الحقيقيّ، من وجهة نظر الإسلام، هو الإيمان المقترن بالسلوك والالتزام العمليّ بالأحكام والقوانين الدينيّة. ولهذا السبب، ذكر في آيات عديدة من القرآن أنّ الإيمان المقترن بالعمل الصالح هو الذي يؤدّي إلى السعادة والفلاح[2].

إنّ آية الله الخامنئي، بصفته عالـمًا عارفًا بالإسلام ومفكّرًا وفقيهًا حكيمًا، لا يكتفي بضرورة أن يكون الفكر حاكمًا على العمل، بل يعتبر أنّ المباحث النظريّة والرؤية الكونيّة تتمتّع بأبعاد سلوكيّة وآثار عمليّة، ويعتقد أنّ الأصول الاعتقاديّة والرؤية الكونيّة الإسلاميّة، مضافًا إلى دورها في تنظيم الفكر والمعتقدات، تهدي وتوجّه سلوك أتباعه وأعمالهم. وقد اعتبر أنّ تخلّف وانحطاط المجتمع الإسلاميّ بعد عصر الرسول صلّى الله عليه وآله يرجع إلى حصر التوحيد بالفرضيّات

---

(١) سورة النساء، الآيات ١٥٠ و١٥١ و٨٥.

(٢) سورة البقرة، الآيات ٢٥ و٨٢ و٢٧٧؛ سورة آل عمران، الآية ٧٥؛ سورة النساء، الآيات ٥٧ و١٢٢ و١٧٣؛ سورة المائدة، الآيتان ٩ و٩٣؛ سورة يونس، الآيتان ٤ و٩؛ سورة هود، الآية ٢٣؛ سورة الرعد، الآية ٢٩؛ سورة إبراهيم، الآية ٢٣؛ سورة الكهف، الآيتان ٣٠ و١٠٧؛ سورة مريم، الآية ٩٦؛ سورة الحج، الآيات ١٤ و٢٣ و٥٠.

والنظريّات والمعتقدات الذهنيّة. حيث يقول:

انطلاقًا من هذه الرؤية يمكننا تمامًا معرفة سرّ نفوذ وانتشار وعلوّ شأن الإسلام الأوّل، وبالتالي تخلّف وانحطاط الإسلام في المراحل اللاحقة، لقد كان إسلام عصر الرسول (ص) يضع التوحيد كطريق ومنهاج أمام خطى الناس. أمّا إسلام المراحل اللاحقة فقد طرح التوحيد كنظريّة في محافل البحث والجدال. هناك كان الكلام عن رؤية جديدة تجاه العالم، ونظريّة جديدة لأجل الحركة والسعي في الحياة، وهنا كان البحث عن التنميقات الكلاميّة في أوقات الفراغ والتفنّن. هناك يعتبر التوحيد هو الهيكل العظميّ لنظام الوجود، ومحور كافّة العلاقات الاجتماعيّة، الاقتصاديّة، والسياسيّة[٣].

وفي بيان آخر، في خطابه لمسؤولي نظام الجمهوريّة الإسلاميّة وموظّفيها، يقول:

هناك وظائف ومهام تقع على عاتقنا بنحو عامّ، سواء كوننا نمثّل الدولة والحكومة، أم تحت عنوان واجبات الفرد المسلم. إلّا أنّ هذه الوظائف والمهام لها مبانيها الفكريّة. وهذه هي خاصّيّة الفكر الإسلاميّ والمدرسة الإسلاميّة الدينيّة، فلو أردنا أن نبحث مثلًا أنّه هل ينبغي أن تكون هناك حرّيّة؟! أو أن يكون للشعب حقّ الاختيار والانتخاب داخل المجتمع؟! فإنّ الاتّصال بمنبع الفكر الإسلاميّ يأتي على رأس هذه البرامج الأساسيّة، أي بالرؤية التوحيديّة الإسلاميّة، وأن يكون الاستنباط والفهم من الإسلام، الذي يمثّل إيماننا، اعتقادنا، وديننا. ووفقًا لهذا الاستنباط والفهم، نحدّد وظائفنا ومهامنا، ونعمل وفقًا لها.

أمّا ما هي تلك المباني الفكريّة؟! نقول باختصار وإيجاز علينا أن نبدأ من هناك، يعني أن نستنبط ونفهم الخطوط الأصليّة والرؤية الإسلاميّة عن الكائنات، عن عالم الإنسان[٤].

ولأجل معرفة رؤية آية الله القائد الخامنئي حول السياسة الإسلاميّة والحكومة الدينيّة، لا بدّ قبل أيّ شيء الاعتناء والتأمّل بالمباني والأصول التأسيسيّة للسياسة والحكومة انطلاقًا من رؤية سماحته. فالمباني والأصول التي قد بنى سماحته اتّجاهاته ومواقفه عليها هي في الواقع نفس الأصول

---

(٣) السيّد عليّ الخامنئي، ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة) (فرهنك إسلامي، ١٣٥٦هـ.ش.)، الصفحة ٧٠.

(٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/٩/١٢هـ.ش.

والرؤية الكونيّة التي جعلها الإسلام البنى التحتيّة ومباني نظامه السياسيّ وسائر أنظمته؛ الأصول والمباني التأسيسيّة التي هي أهمّ وجه لتمايز السياسة الإسلاميّة عن السياسات الأخرى وخاصّةً العلمانيّة. وتهدف هذه المقالة، على قدر اطّلاع الكاتب ومعلوماته، إلى أن تبيّن مباني السياسة الإسلاميّة وأصولها من وجهة نظر آية الله الخامنئي.

## الأصل الأوّل: جامعيّة الدين

إنّ أوّل خطوة في عرض أيّة فلسفة ونظام سياسيّ يستند إلى تعاليم ومعارف دينيّة هي أن نثبت ونقبل بأنّ السياسة والدولة ستكون ضمن دائرة ونطاق الدين. إنّ أوّل وأهمّ مسألة وأشدّها حساسيّةً لدى المتديّنين في مواجهتهم للثقافات والسياسات الأخرى، التي قد شيّدت على أسس علمانيّة، هو البحث عن نطاق الدين وارتباط السياسة بالدين.

ولقد واجه العلماء الحكماء والذابّين عن الإسلام الأصيل، عند بحثهم عن العلاقة بين السياسة والدين، تيّارَين منحرفَين ونظريّتَين منافستَين ومتناقضتَين: الرجعيّون والعلمانيّون.

## الرجعيّون ومناصروا تضادّ الدين مع السياسة

يعتبر البعض، من الذين هم بالظاهر متديّنون وينحون منحى القداسة، أنّ لازم التديّن والتعبّد بأحكام السماء الإعراض عن السياسة، وعدم التدخّل بشؤون الدنيا. وبالالتفات إلى طبيعة أعمال حكّام الجور واللاعبين السياسيّين، يعتبرون أيّ نوع من التدخّل في السياسة والحكومة مستلزمًا لممارسة الكذب، والخداع، والاحتيال، والمكر، والظلم، والجور، والاعتداء على حقوق الآخرين، وكلّها أمور تنافي مرتكزات الدين، ولا يمكن الجمع بين الدين والسياسة. ويعتبرون، نظريًا وعمليًا، أيّ نوع من التدخّل بأمور السياسة خروجًا عن الدين، وأنّ الايمان والتقيّد بتعاليم

الدين يستلزمان عدم التدخّل في السياسة. فمن وجهة نظرهم، ولأجل حفظ الدين والشريعة الإسلاميّة، ينبغي أن يُمنع الناس من التدخّل واتّخاذ المواقف في الشؤون الدنيويّة والسياسيّة، مخافة أن تتضرّر اعتقاداتهم وعباداتهم.

ولقد أظهر هذا الفكر الرجعيّ والمتخلّف أسوأ رؤية تفسيريّة عن الإسلام، وأحدث أكبر انحراف، وحرّف حقيقة الدين، وأسقطه من حركته الخلّاقة الإبداعيّة والإصلاحيّة لحياة البشر، وجعل الإيمان والتديّن محدودًا ومنحصرًا بسلسلة من الأمور العباديّة والفرديّة والمعتقدات الدينيّة الذهنيّة المحضة. ولهذا، كانت هذه الرؤية دومًا مورد تأييد ودعم الحكّام الظالمين والمستعمرين الطامحين وراء الهيمنة والسلطة، لأنّ هذا النوع من التديّن لا يمثّل لهم أيّ نوع من الخطر أو التهديد، بل يوفّر لهم أفضل فرصة لاستمرار سلطتهم وحكومتهم.

الرجعيّون هم إحدى الجماعات التي اصطفّت دومًا في مواجهة الصحوات والنهضات الإسلاميّة، ومن جملتها الثورة الإسلاميّة وثورة الإمام الخميني (ره)، وقد جهدوا، وباستخدام الدين، وبتصوير أنّهم يسعون لنصرة الإسلام، في تحريف معارف الدين، وقد واجههم الإمام الخميني بشدّة وكذلك تلامذته. الإمام الخميني العظيم، وفي فترة نفيه، وحينما حانت له الفرصة لتبيين معالم الإسلام الأصيل وحقيقة الدين الإلهيّ، يقول بأسًى:

إنّ المبلّغين الذين يُعَدّون في الحوزات العلميّة، والعملاء المتواجدون في الجامعات والمؤسّسات الإعلاميّة الحكوميّة، أو الجمعيّات والمنتديات التبليغيّة، والمستشرقين الذين هم في خدمة الحكومات الاستعماريّة، جميعهم تعاونوا يدًا بيد وعملوا على تحريف حقائق الإسلام، بنحو أنّ الكثير من الناس والأشخاص الذين درسوا وتعرّفوا على الإسلام قد ضلّوا وابتلوا بالكثير من الشبهات. الإسلام هو دين الأفراد المجاهدين الذين يقتفون أثر الحقّ والعدالة، ودين الأفراد الذين يريدون الاستقلال والحرّيّة. هو مدرسة المناضلين والمكافحين للاستعمار، ولكنّ أولئك قد عرّفوا ويعرّفون الإسلام بنحو آخر. قد غُرس تصوّر غير صحيح في أذهان العامّة، والصورة الناقصة التي تعرض في الحوزات

العلميّة، هي لأجل أن يسلبوا خاصّيّة الإسلام الثوريّة والحياتيّة من الإسلام، ولكي لا يفسحوا المجال أمام المسلمين لأن يسعوا ويتحرّكوا وينهضوا[٥].

## كما كان هذا الاتّجاه مورد نقد بعد انتصار الثورة:

مسألة فصل الدين عن السياسة، هي مسألة طرحوها بخداع ونفاق تامّ، إلى حدّ أنّنا نحن قد اشتبهنا، وحتّى أنّ كلمة رجل الدين السياسيّ أخذت تفيد معنى لعن وشتم في محيطنا. فبعد عمليّات الحقن والتضليل، نحن صدّقنا بذلك بأنفسنا، من أنّ الدين منفصل عن السياسة، وأنّ رجل الدين عليه أن يذهب إلى محراب العبادة، وأن يكون الملك والسلطان منشغلاً بالاختلاس والنهب[٦].

## الخَلَف الصالح للإمام الخميني وتلميذه آية الله الخامنئي أيضًا يقول:

أليس الإسلام وتعاليمه النورانيّة جاء لأجل إدارة وهداية الحياة المادّيّة والمعنويّة للبشر؟! أليس الدين في الإسلام ممتزجًا بالسياسة؟! هذه من جملة المحن الكبرى لعالم الإسلام، بحيث جُعل تحجّر جماعة وتعصّبها وضيق أفقها وسعيها وراء الدنيا، دومًا في خدمة أغراض وحسابات خبيثة لجماعة أخرى، والأقلام والخطابات التي ينبغي أن توظّف في خدمة الإسلام ولجهة تبيّن حقائقه، صارت أدوات في يد الأعداء الحذقين والمتآمرين على الإسلام. هذه المصيبة هي ذاتها التي تحدّث بشأنها الإمام الراحل (رضوان الله عليه) لمرّات عدّة بمرارة وتأوّه[٧].

## وبالالتفات إلى شعور الأعداء بالأمن والرضا من الإسلام الذي تمّ تبليغه بواسطة الرجعيّين، يقول سماحته:

من جملة الحوادث ذات المغزى التي طوال فترة النضال وأيضًا خلال السنوات التي تلت انتصار الثورة، هي أنّ العلماء الرجعيّين والذين لا اطّلاع لهم على الحوادث الجارية في البلاد، والبعيدين عن الأحداث السياسيّة، لم يكونوا ولو لمرّة في معرض هجوم الأعداء، بل هم دومًا مورد مدح وتمجيد. وحتّى أنّ الاغتيالات الجسديّة والهجمات الإعلاميّة، وحتّى نهضة الرجعيّة من قبل المتظاهرين بالفكر وعملاء الأجانب، قد كانت فقط موجّهةً ضدّ العلماء وطلبة العلوم الدينيّة، الذين لمعوا بلحاظ فكرهم السياسيّ ورؤيتهم التجديديّة في ساحة العلم والعمل، وقد اشتهروا كونهم طبقةً متقدّمةً ومترقّية

---

(٥) الإمام الخميني، الحكومة الإسلاميّة (قم: آزادي)، الصفحة ٨.

(٦) الإمام الخميني، صحيفة نور (مركز مدارك فرهنكي انقلاب اسلامي)، الجزء ٧، الصفحتان ١٤٩ و١٥٠.

(٧) حديث ولايت (سازمان تبليغات إسلامي، ١٣٧٦هـ.ش.)، الجزء ٧، الصفحتان ١٤٩ و١٥٠.

ومتبصّرة[٨].

يقول الإمام الخامنئي في تعريف الإسلام الأصيل:

الإسلام الأصيل هو الإسلام الذي يخاف منه أمثال أبي جهل، وإذا كان الإسلام من النوع الذي لا يخاف منه أمثال أبي جهل وأبي سفيان، ولا يكنّون له العداء، فلا بدّ أن نشك في كونه إسلامًا! وأيضًا ذلك الإسلام الذي لا تنشده ولا ترغب فيه الطبقات المستضعفة والمحرومة ليس بإسلام! إنّ الإسلام الذي لا يمكنه أن يحيي الآمال النائمة ويرفع الطبقات المظلومة إلى مستوى العالم (ليس فقط على مستوى بلادنا)، عليكم الشك في كونه دين الإسلام[٩].

## المتنوّرون العلمانيّون

جماعة أخرى قد اقتفت، ولا زالت، مقولة فصل الدين عن السياسة، لكن من منظار آخر. فهُم، وتأثّرًا منهم بثقافة الغرب واستنساخًا لما جرى ما بعد عصر النهضة، في طبيعة العلاقة ما بين المسيحيّة والسياسة والعلم في الغرب، اعتقدوا بهذا ولا يزالون. فبالرغم من أنّهم لا يرون أيّ تضادّ بين الدين والسياسة، إلّا أنّهم لا يرون تلازمًا وارتباطًا فيما بينهما، وما دام كلّ منهما لا يتدخّل في نطاق ومجال الآخر، يمكنهما أن يكونا بمحاذاة بعضهما البعض ويستمرّان. فالمتنوّرون الذين يعتقدون بالعلمانيّة، رغم أنّهم من الناحية الفكريّة والالتزام الدينيّ يقفون في الجهة المقابلة للرجعيّين والمتظاهرين بالقداسة، إلّا أنّهم في مسألة فصل الدين عن السياسة يشتركون في الرأي ذاته مع الرجعيّين، ويختلفون في أنّهم يعتبرون من الممكن الجمع بين الدين والسياسة، ولكن يبقى نطاقهما منفصلًا ومتمايزًا.

إنّ العلمانيّة بمعنى تدبير حياة الإنسان - خاصّةً فيما يتعلّق بإدارة

(٨) المصدر نفسه، الجزء ٤، الصفحة ٢٦٩.

(٩) حديث ولايت، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٢٤٩.

شؤون الحكومة والسياسة - بمعزل عن تدخّل الدين، جاءت كردّة فعل على النتاج الفكريّ والعمليّ للكنيسة في مراحل القرون الوسطى، ونتيجة التضادّ بين علماء الدين والمدّعين المسيحيّين مع العلم والحداثة. وقد اعُتبرت عنوانًا للإنجاز الكبير لنهضة عصر النهضة، والولادة الثانية للغرب. وقد حازت، خلال عمليّة التكامل التدريجيّ، قبول العديد من العلماء والمتنوّرين وحتّى بعض الدعاة إلى الدين، واستطاعت أن تصل في أكثر البلاد إلى السلطة المطلقة. وليس بعيدًا عن الواقع إن قلنا أنّه قبل انتصار الثورة الإسلاميّة كانت العلمانيّة وعدم تدخّلِ الدين في الحكم وإدارة الحكومات هي الفكر الحاكم، وكانت تشكل البنية الأساس لكافّة الحكومات والأنظمة السياسيّة. وإحدى أعظم نتاجات الثورة الإسلاميّة في إيران وتشكّل النظام الدينيّ كان تحدّي العلمانيّة في كافّة بقاع العالم، وأفولها والإطاحة بها في إيران. هذا الإنجاز الذي أرعب الاستكبار العالميّ بل حكّام الجور وعملاءهم المستبدّين.

بالرغم من أنّ تشكّل العلمانيّة في الغرب هو - بحسب الظاهر - نتيجة عمليّة طبيعيّة للمواقف السلبيّة للكنيسة، وهي بزعم مناصريها تمتلك مبرّراتها المنطقيّة والعلميّة، إلّا أنّ طرِحها في البلاد الإسلاميّة وبين الشعوب المسلمة، الشيعيّة خاصّةً، يشكل انحرافًا ويؤدّي للابتعاد عن حقيقة دين الإسلام. الإسلام الذي يعتبر العلم والتعقّل من امتيازات الإنسان، وهو من الفضائل المكتسبة وتكليف للناس كافّة، ولا يتحدّد بحدود الزمان والمكان. كما أنّه لا يرى في تقدّم العلوم وصيرورة البشر علماء بمثابة تهديد للدين، بل إنّ أساس وبنيان كافّة معارفه وتعاليمه تستند إلى العلم والتعقّل. ولا يمكن أن تكون تعاليمه وأحكامه غير علميّة أو غير عقلائيّة، وأين هو هذا الإسلام، وأين هي المسيحيّة والكنيسة عدوّة العلم والتعقّل؟!

وعندما قام في الغرب الاتّجاه الذي يرى التنافي بين العلم والدين،

وجعلت المدنيّة والحرّيّة وتقدير شخصيّة الإنسان في تضادّ مع تعاليم كنيسة القرون الوسطى، انساق المتنوّرون المسلمون باتّجاه هذا الحلّ، فقسّموا حياة الإنسان إلى قسمَين، قسم دنيويّ وقسم أخرويّ، وبتعبير آخر؛ ما يتعلّق بالطبيعة، وما وراء الطبيعة. وقد جعلوا الدنيا والطبيعة في دائرة نطاق العلم، أمّا تنظيم الآخرة وما وراء الطبيعة فضمن نطاق الدين، وهكذا جمعوا بين العلم والدين معًا، إلّا أنّ كلًّا منهما يعمل في إطاره الخاصّ. وهذا معنى العلمانيّة. لكن في الإسلام لا يوجد هكذا تقابل وتضاد. وقد بيّن الإسلام أهمّيّة العلم وأيضًا شخصيّة الإنسان الإلهيّة والحرّيّة والتعقّل وحاكميّته على عالم الخلقة. وتفوّق بكثير على النزعة الإنسانيّة والليبراليّة في مقاربتهما لحقيقة الإنسان. لذا، لا توجد إمكانيّة وفرصة للتأثير بين أتباع هكذا دين علمانيّ، إلّا أن يحرّفوا الإسلام كما المسيحيّة، ويقوموا بإبعاد الناس عن حقيقة المعارف القرآنيّة، ومع حفظ الظواهر، يسلبون منه حركته الإبداعيّة والخلّاقة، وهذا كان سبيلًا فعّالًا انتهجه أعداء الإسلام الأصيل في البلدان الإسلاميّة. والمتنوّرون المتأثّرون ببهارج الغرب والجاهلون بحقيقة الإسلام لعبوا دور القوى المتقدّمة للعدوّ، والبعض منهم، بخسارتهم لذواتهم، وبيعهم أنفسهم لقوى الاستكبار، مهّدوا الأرضيّة والمجال لنفوذ وتغلغل العلمانيّة في البلدان الإسلاميّة وجامعات المسلمين، ووفّقوا إلى حدّ كبير. وحتمًا، لا ينبغي أن نتوقّع أمرًا آخر من التيّار الذي ولد نتيجة هذه الأمراض والإشكاليّات والشبهات. ولآية الله الخامنئي تحليل مفصّل عن كيفيّة قيام تيّار المتنوّرين في إيران، نشير إلى أهمّ نقاطه:

لقد قلت مرارًا وتكرارًا إنّ التنوّر الفكريّ ولد مريضًا في إيران. لأنّ أمثال هؤلاء الذين هم متنوّرون من بدايات تاريخنا، هم بشر غير سويّين [...] الميرزا ملكم خان ارمني، الميرزا فتحعلي آخوند زاده، الحاج سياح محلّاتي، وطبقات المتنوّرين اللاحقة أيضًا في إيران، لم تكن طبقات مطمئنة، كانت أغلبها من الأمراء والأشراف والأعيان. وما هو هذا المرض، وأين كان يبرز؟! أنقل هذا لكم عن لسان آل أحمد. آل أحمد يذكر في تحديد مميّزات المتنوّر هذه الخصوصيّات الثلاث: أوّلًا: مخالفة المذهب والدين، يعني

ينبغي للمتنوّر لزومًا أن يخالف الدين. ثانيًا: الانجذاب والميل نحو السنن الغربيّة وأوروبا الرجعيّة وهكذا أشياء. ثالثًا: الدراسة. بعدها يقول إنّ هذه الخصائص الثلاث هي بمثابة الخصائص العامّة للتنوّر الفكريّ. في الحقيقة من الواضح وجود خصوصيّتَين أخريَين بيّنت على لسان العلماء أو لسان المتنوّر، إحدى هاتين الخصوصيّتَين عبارة عن عدم الاعتناء بالسنن الوطنيّة والثقافة القوميّة، والأخرى الاعتقاد بالرؤية الكونيّة العلميّة.

## وفي تتمّة البحث ذاته، وفي معرض الإجابة عن السؤال التالي: لماذا يصرّ المتنوّر على عدم العناية والاهتمام بتقاليده الوطنيّة، ما هو السبب في ذلك؟!، فيجيب سماحته:

وسببه أنّه في تلك الفترة التي ظهرت فيها مقولة التنوّر الفكريّ Intellectual enlightenment لأوّل مرّة في فرنسا، كانت مرحلة خرجت فيها شعوب فرنسا وأوروبا لتوّها من القرون الوسطى. وكانت مدرسة الكنيسة القائمة والقاسية والخرافيّة سببًا في طرح المسيحيّة جانبًا ونبذها، فالدين الذي يقتل العالم، ويحاكم ويقاضي المكتشف والمخترع، وينفيه ويفنيه، ويقضي على الكتاب العلميّ، من البديهيّ أن تظهر مجموعة من البشر العقلاء، وترمي جانبًا ذلك الدين الذي يتمتّع بهذه الخصائص، والمملوء بالخرافات والعبارات التي لا يقبل بها أيّ إنسان يقدّر ويثمّن العقل، وأن تتّجه نحو أفكار جديدة. من البديهيّ أنّه كانت طبيعة أعمال هؤلاء ارتدادًا على ذلك الدين. في تلك الحقبة، المتنوّرون الإيرانيّون المقلّدون في العهد القاجاري، الذين أدخلوا لأوّل مرّة مقولة التنوّر الفكريّ Intellectual enlightenment إلى البلاد، وأطلقوا عليها اسم تنوّر الفكر (منوّر الفكر)، وفيما بعد بدّلوها إلى التنوّر الفكريّ - بالخصائص ذاتها المخالفة لمذهبها - جعلوها في مقابل الإسلام؛ الإسلام الذي يتمتّع بأكثر الأفكار منطقيّةً وعقلانيّةً، وأنصع المعارف، وأشدّ الاستدلالات قوّةً وإحكامًا، وأكثر الأخلاقيّات شفافيّةً. الإسلام الذي كان ينجز في ذلك الوقت في إيران نفس العمل والفعل الذي أراد المتنوّرون الغربيّون أن ينجزوه في الغرب. بناءً عليه، من إحدى خصائص التنوّر أنّه يعادي ويخالف الإسلام[١٠].

التنوّر المستلهم من الغرب، لا يطيق تدخّل وحضور الدين في كافّة مجالات الحياة بالأخصّ في السياسة وإدارة المجتمع على نطاق واسع، وبناءً عليه، من وجهة نظرهم، تعتبر الحكومة الدينيّة والنظام السياسيّ بماهيّته الإسلاميّة، بمعنى الرجعيّة والعودة إلى القرون الوسطى، دون أن يعتبروا أنّه هناك تمايز واختلاف بين الإسلام وسائر الأديان.

التفكّر العلمانيّ أيضًا هو كالرجعيّة والتحجّر، كان محلّ انتقاد واعتراض شديدَين

---

(١٠) كلام للإمام الخامنئي مع طلّاب جامعة طهران، بتاريخ ٧٧/٢/٢٢هـ.ش.

وحاسمَين من قبل العلماء العارفين بالإسلام والفطنين، وعمليًا أيضًا، ثبت بطلان وعدم صحّة العلمانيّة، بعد تشكّل الثورة بماهيّتها الدينيّة وتشكّل النظام بمبانيه الدينيّة وصموده أمام كافّة المؤامرات العالميّة.

## تلازم الإسلام والسياسة

وفي مقابل هذين الاتّجاهَين الفكريَّين يبرز الإسلام، هذه المدرسة الباعثة على الهداية والضامنة للسعادة الدنيويّة والأخرويّة، والتي تدّعي أنّها تحيط وتشمل كافّة مجالات حياة الإنسان، وجميع احتياجاته الفرديّة والاجتماعيّة. ومن هنا، فإنّ إدارة المجتمع الإسلاميّ على نطاق واسع، والنظام السياسيّ - الذي يحدّد كافّة التوجّهات للأمّة الإسلاميّة - يساهمان بأكبر دور في عمليّة الهداية العامّة وتنظيم كافّة المؤسّسات الاجتماعيّة. فالإسلام يعتني ويهتمّ بالحكومة، والقيادة، وإدارة المجتمع الإسلاميّ أكثر من سائر الأقسام الأخرى. وبعبارة أخرى؛ يعتبر الإسلام أنّ للسياسة سهمًا عظيمًا ومصيريًا في الهداية العامّة التي قد تكفّل بها الدين. وعلماء الإسلام، لا سيّما الإمام الخميني (رض) والسيّد القائد الخامنئي (دام ظلّه)، يؤكّدان ويصرّان كثيرًا على حضور وتدخّل الدين في السياسة، ويثبتون ذلك مستلهمين من آيات القرآن والسنّة والسيرة، كما أنّ المبنى الأوّل والأساس حاكميّة الدين. ومن وجهة نظر هذين العظيمَين المدافعَين عن الإسلام الأصيل، إنّه إذا ما استفادت وانتُزعت السياسة من متن الدين، فهي ستتمتّع بالقداسة، وتأخذ طابع أهمّ عامل هداية للأمّة الإسلاميّة.

عالج آية الله الخامنئي لمرّات عدّة مسألة الفصل بين السياسة والدين، ونشير إلى نماذج منها. فهو في أوّل خطاب أثناء فترة قيادته، وفي بيان له إلى حجّاج بيت الله الحرام والعالم الإسلاميّ، يقول:

من أعظم مظاهر الشرك في العصر الحاليّ فصل الدنيا عن الآخرة، والحياة المادّيّة عن العبادة، والدين عن السياسة. هذا هو عين الشرك الذي ينبغي للمسلمين اليوم، من

خلال إعلان البراءة، أن يطهّروا ثيابهم وإسلامهم منه، في حين يعتبر القرآن إقامة القسط هو الهدف من إرسال الرسل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[11]. أمّا في خطابه ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَداءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾[12]، يكلّف جميع المؤمنين بأن يسعوا لأجل إقامة القسط. بينما تمنع الآيات القرآنيّة الكريمة التالية الركون إلى الظالمين واتباعهم، ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَما لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِياءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ﴾[13]. ويعتبر الاستسلام والخضوع لظلم الطاغوت منافيًا للإيمان، وتقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالًا بَعِيدًا﴾[14]، وتجعل الكفر بالطاغوت بمحاذاة الايمان بالله ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقى لَا انْفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[15]. وفي حين أنّ الشعار الأوّل للإسلام وهو التوحيد، كان يعني إزالة والقضاء على كافّة القوى المادّيّة والسياسيّة وكافّة الأصنام الجامدة الفاقدة للروح، والحيّة المتمتّعة بالروح، وفي حين أنّ أوّل إجراء أقدم عليه الرسول (ص)، بعد الهجرة، كان تشكيل الحكومة وإدارة المجتمع سياسيًا، ومع توفّر الأدلّة والشواهد الكثيرة التي تشير وتحكم بارتباط الدين بالسياسة، يظهر مجدّدًا أشخاص ويقولون إنّ الدين منفصل عن السياسة، ويظهر أيضًا أشخاص يقبلون منهم هذا الكلام المخالف للإسلام.

السياسيّون الذين يتكلّمون دومًا عن فصل الدين عن السياسة، والأشخاص المدّعين للتديّن، الذين يسارعون لمساعدتهم، ويكرّرون الكلام ذاته، هل فكروا في آيات القرآن وتاريخ الإسلام وأحكام الشريعة؟! هل فكروا بأنّه إذا كان يمكن للدين أن ينفصل عن السياسة، فلماذا كافّة الأمور السياسيّة، الحكومة، القانون، تنظيم الحياة، الحرب والسلم، تحديد العدوّ والصديق، ومظاهر السياسة الأخرى، وجميعها وكلّها ترتبط بالله وبدين الله وأولياء الله؟! من البديهيّ أنّ نغمة الشؤم لفصل الدين عن السياسة، هي صنيعة الأعداء القذرين، الذين تلقّوا الصفعات من الإسلام الحيّ والحاضر في متن الحياة، وبهذه الخدعة والحيلة أرادوا أن يفرّغوا ساحة الحياة من حضور الدين، وأن يمسكوا بأنفسهم بزمام أمور الناس الدنيويّة، وبلا ريب يتسلّطون على مصير البشر. أمّا الباعث على الأسف والمرارة أنّ أشخاصًا باسم الدين وبلباس علماء الدين، يكرّرون أيضًا الكلام ذاته، ويسعون ويعملون للترويج له.

---

(١١) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(١٢) سورة النساء، الآية ١٣٥.
(١٣) سورة هود، الآية ١١٣.
(١٤) سورة النساء، الآية ٦٠.
(١٥) سورة البقرة، الآية ٢٥٦.

من هنا يبيّن إمامنا الفقيد، ذلك الإنسان الداعي إلى الله والفاني في الله، يبيّن أن الإسلام ينقسم إلى الإسلام المحمّديّ الأصيل، والإسلام الأميركيّ. الإسلام المحمّديّ الأصيل هو إسلام العدل والقسط، هو إسلام العزّة، إسلام الدفاع عن المستضعفين والحفاة والمحرومين، الدفاع عن حقوق المظلومين والمستضعفين، إسلام مجاهدة الأعداء، وعدم مهادنة المتسلّطين والظالمين ومثيري الفتن والشغب، إسلام الأخلاق والفضيلة والمعنويّات.

الإسلام الأمريكيّ هو شيء آخر باسم الإسلام، وهو في خدمة منافع القوى المستكبِرة وموجّه لأفعالها. الإسلام الأميركيّ هو إسلام لا يتألم ولا يتحرّق على البشريّة، ولا يفكر إلّا بنفسه وبرفاهه الحيوانيّ. ويُعتبر الله والدين كرأسمال التجّار، وسيلةً لجمع الذهب أو طلب السلطة، وكافّة الآيات والروايات التي تخالف ميوله ومنافعه يرميها في زاوية النسيان دون مجاملة أو يأوّلها بكلّ وقاحة.

نعم هذا هو الإسلام الأميركيّ، الذي يرى الناس بعيدين عن السياسة والفهم والبحث والعمل السياسيّ، ولكنّ الإسلام المحمّدي الأصيل يعتبر السياسة قسمًا من الدين، ولا يمكن فصلها عنه. ويدعو كافّة المسلمين إلى الفهم والعمل السياسيّ، وهذا الأمر الذي ينبغي للشعوب المسلمة دومًا أن تتذكّره من إمامنا الفقيد والناطق بالإسلام[١٦].

## يقول الإمام القائد الخامنئي في إحدى خطب الجمعة أيضًا:

إنّ مسألة الحكومة في النظام الإسلاميّ، إذا لم نقل إنّها أهمّ مسألة إسلاميّة وإنّها أساسيّة، على الأقلّ هي في مستوى مجموع المسائل التي تقع في الدرجة الأولى من الأهمّيّة في الإسلام. وإذا ما سلبوا مسألة الحكومة ومسألة الولاية من الدين، سيصبح الدين مجموعة أحكام متفرّقة ومتشتتة. ويقينًا، لا يمكنه أن ينجز ويتمّ رسالته الأصليّة والتي هي هداية البشر وتحقيق الجنّة في هذا العالم وإيصال البشر إلى كمالهم[١٧].

## وأيضًا، يبيّنها على أنّها إحدى إنجازات نهضة وثورة الإمام الخميني:

لقد حدّد إمامنا العظيم، من خلال عرضه للمدرسة السياسيّة في الإسلام، بطلان كافّة المساعي السياسيّة والثقافيّة لأعداء الإسلام طوال القرن والنصف الماضيَين. الذين كانوا يسعون لإخراج الإسلام تمامًا من ساحة الحياة الاجتماعيّة، وبطرحهم لنظريّة فصل الدين عن السياسة، يعتبرون التديّن فقط هو الانشغال بالعبادات والأعمال الفرديّة.

(١٦) حديث ولايت، مصدر سابق، الجزء ١، الصفحات ٢٠٨ إلى ٢١٢؛ كلام للإمام الخامنئي لحجّاج بيت الله الحرام، بتاريخ ١٣٦٨/٤/١٤هـ.ش.
(١٧) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٦٦/١١/٢هـ.ش.

وبإلغاء وحذف الإسلام من ساحة السياسة العالميّة، يجعلون البلدان الإسلاميّة ساحةً لهجومهم وغزوهم ونهبهم وسلبهم[١٨].

## الأصل الثاني: الرؤية الكونيّة التوحيديّة

الأصل الثاني من مباني السياسة في الإسلام، والذي يؤكّد آية الله الخامنئي ويصرّ عليه كثيرًا، هو الأصل والمبدأ الأساس ومحور كافّة المعارف الإسلاميّة؛ التوحيد ووحدانيّة الله. فالتوحيد ونفي الشريك لله هو الدعوة الأولى لكافّة الأنبياء وهدفهم جميعًا، وحجر البناء والمحور لكافّة الاعتقادات الإلهيّة، بل وعصارة كافّة الأصول والأهداف والهداية السماويّة، والتي ينبغي لكافّة المعارف الدينيّة والأحكام الإلهيّة والأنظمة - من قبيل النظام الأخلاقيّ، النظام السياسيّ، وغير ذلك - أن تنتهي إليه، وإلّا لن تكون دينيّةً. ولا شكّ في أنّ باطن التوحيد وحقيقته لا يمكن فهمهما إلّا بالتدبر والتعقّل، فالتوحيد لا يعني فقط أن نقول إن الله موجود، وإنّه واحد وليس اثنان. هذه صورة التوحيد، أمّا باطن التوحيد فهو محيط لا انتهاء له، يغرق فيه أولياء الله. «فالتوحيد وادٍ عظيم جدًّا، لكن في هكذا وادٍ عظيم، أريد من المؤمنين والمسلمين والموحّدين أن يسيروا قُدُمًا مستندين إلى الفكر والتدبّر والتعقّل»[١٩].

التوحيد ليس نظرةً ورؤيةً فلسفيّةً وذهنيّةً محضة، تكون في أثر تعليم وتنظيم المدّخرات الذهنيّة، بل إنّ التوحيد أيضًا يصحّح المسلكيّات والأعمال الفرديّة والاجتماعيّة وعلاقة الإنسان مع الآخرين وينظّمها ويوجّهها. العلماء والعارفون بالإسلام الحقيقيّون والحارسون للإسلام الأصيل دومًا، بإلهام من المعارف القرآنيّة وتعاليم الرسول الأكرم صلّى

(١٨) كلام للإمام الخامنئي في الذكرى العشرين لانتصار الثورة الإسلاميّة، بتاريخ ١٣٧٧/١١/٢١هـ.ش.

(١٩) حديث ولايت، مصدر سابق، الجزء ٤، الصفحة ٨١.

الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، قد أولوا اهتمامًا خاصًا وعنايةً خاصّةً بالأبعاد التطبيقيّة والعمليّة والسلوكيّة والجوانب البنّاءة.

وآية الله الخامنئي، الذي هو حاليًا يمسك بدفّة وزمام أمور الثورة الإسلاميّة، قد أكّد مرارًا وتكرارًا على أن يعرّف التوحيد بأنّه الموجّه والمحدّد لكافّة مجالات الحياة الإسلاميّة، وخاصّةً النظام السياسيّ الإسلاميّ. ونحن نشير إلى البعض من تعابيره:

التوحيد القرآنيّ ليس فكرةً حياديّةً غير مسؤولة ولامبالية. بل هو معرفة ملتزمة ورؤية فعّالة وبنّاءة. فهو منهج فكريّ لبناء المجتمع وإدارته، ورسم خطّ سيره (الاستراتيجيّة) وتعيين هدفه، وتأمين عناصر حفظه واستمراريّته. وبتعبير آخر، إنّ التوحيد من أركان أيديولوجيّة الإسلام بل هو الركن الأساسيّ فيها[٢٠].

التوحيد فضلًا عن كونه رؤيةً فلسفيّةً، هو أيضًا معرفة منتجة للعلم وبناء الحياة، يعني هو عقيدة ينبغي أن يكون بناء الحياة الاجتماعيّة والفرديّة للبشر على أساسه[٢١].

ولقد كتب السيّد القائد الخامنئي في عهد الطاغوت مقالةً حول روح ونفي سلطة وحاكميّة غير الله، وقام بتوجيه نقده الشديد لعمليّة تحريف مفهوم التوحيد في عصرنا، وعرض لقائمة من جوانب التوحيد المتعدّدة، يجمعها على هذا النحو:

ما قيل هو فقط قسم من مضمون غنيّ جدًّا وعميق وشامل ومتعدّد الأبعاد من التوحيد. ومن خلال هذه الإشارات الوجيزة، يمكن بوضوح تشخيص أنّ التوحيد ليس نظريّةً فلسفيّةً وذهنيّةً غير عمليّة، لا علاقة له بأيّ وجه بسواد الحياة وبياضها، أو أنّه لا يعالج تركيبة التجمّعات البشريّة، أو لا يتدخّل في تحديد توجّهات الإنسان وسعيه وعمله الواجب، أو أنّه يكتفي بأن يستعيد اعتقادًا من الناس، ويضع اعتقادًا آخرًا مكانه، بل إنّه من ناحية يمثّل رؤيةً كونيّةً توحيديّةً، ومن ناحية أخرى هو أطروحة اجتماعيّة، مشروع ومنهج يتناسب مع طبيعة محيط الإنسان، المحيط الذي يمكنه فيه أن يتكامل بسهولة وسرعة، وأن ينال سموّه وكماله الخاصّ، هو طرح لقالب وإطار خاصّ للمجتمع

---

(٢٠) السيّد علي الخامنئي، طرح كلّي انديشه اسلامي در قرآن (بزوهشكاه فرهنك وانديشه اسلامي، ١٣٧٤هـ.ش.)، الصفحة ٣٨.
(٢١) المصدر نفسه، الصفحة ١٢١.

بالإضافة إلى تعيين خطوطه الأصليّة وأسسه البنيويّة، وبناءً عليه كلّما يطرح التوحيد في المجتمع الجاهليّ والطاغوتيّ (المجتمعات التي بنيت وفق المباني غير المطّلعة على طبيعة وأحوال الإنسان أو وفق مشروعيّة التعدّي على قيمه الحقّة)، يحدث تغييرًا، ويعدّ بعثًا في القلوب الهامدة والنفوس المريضة، وعاصفةً في مستنقع المجتمع الراكد، وينظّم ذلك المجتمع المتشتّت والمتناقض، ويحدث تبديلًا وتحوّلًا في البنى النفسيّة والمؤسّسات الاقتصاديّة والاجتماعيّة وعلى صعيد القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة. فالتوحيد ليس تلبيةً جديدةً لمسألة نظريّة محضة، أو له إطار عمليّ محدود، بل هو أيضًا طريق ومنهج جديد أمام الإنسان. فرغم استناده إلى التحليل الذهنيّ والنظريّ، إلّا أنّه يستهدف من طرحه تقديم أسلوب ومنهج آخر للعمل والحياة. وانطلاقًا من هذا الفهم، نعتقد أنّ التوحيد هو أساس وأصل الدين وحجر البناء الأساس، بحيث إنّ كافّة أصول الدين تبنى وتقوم عليه[22].

ويصف سماحته، في تتمّة كلامه، التوحيد النظريّ المحض بأنّه من قبيل عبادة أهل مكّة لله قبل البعثة، التوحيد الذي يهادن الكلّ، التوحيد الذي يتناغم مع أنداد الله وخصمائه، التوحيد الذي يكوّن فقط فرضيّةً مقبولةً على صعيد الذهن، ولا يعدو أن يلعب إلّا دورًا بديلًا عن توحيد الأنبياء. وسماحته يعتبر أنّ انحطاط المجتمع الإسلاميّ، بعد الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، هو نتيجة عدوله عن التوحيد الأصليّ وتوحيد الرسول، فيقول:

انطلاقًا من هذه الرؤية يمكننا تمامًا معرفة سرّ نفوذ وانتشار وعلوّ شأن الإسلام الأوّل، وبالتالي تخلّف وانحطاط الإسلام في المراحل اللاحقة، لقد كان إسلام عصر الرسول (ص) يضع التوحيد كطريق ومنهاج أمام خطى الناس. أمّا إسلام المراحل اللاحقة فقد طرح التوحيد كنظريّة في محافل البحث والجدال. هناك كان الكلام عن رؤية جديدة تجاه العالم، ونظريّة جديدة لأجل الحركة والسعي في الحياة، وهنا كان البحث عن التنميقات الكلاميّة في أوقات الفراغ والتفنّن. هناك يُعتبر التوحيد هو الهيكل العظميّ لنظام الوجود، ومحور كافّة العلاقات الاجتماعيّة، الاقتصاديّة والسياسيّة. وأوّل مواجهة لشعار التوحيد كانت من قبل المقتدرين وأصحاب الساطة ووجهاء وزعماء القوم في المجتمع، وهذا مؤشّر على أنّ هذا الشعار أكثر ما يوجّه ضربته إلى الطبقة المقتدرة والمتسلطة في المجتمع وبتعبير القرآن الطبقة المستكبرة[23].

---

(٢٢) ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيدية)، مصدر سابق، الصفحة ٦٨.
(٢٣) المصدر نفسه، الصفحات ٦٩ إلى ٧١.

## آثار التوحيد في النظام السياسيّ ولوازمه

إنّ الاعتقاد والالتزام بوحدانيّة الله على صعيد تشكّل فلسفة النظام السياسيّ في الإسلام يوجد حوله الكثير من الكلام والشواهد. نشير إلى بعض منها من وجهة نظر الإمام القائد الخامنئي دام ظلّه:

### انحصار الحاكميّة بالله

إنّ الله هو الخالق والمالك والمتصرّف في الإنسان وجميع المخلوقات، ولهذا تختصّ السلطة والحاكميّة به، والتسليم والإذعان لحاكميّة وسلطة وولاية الآخرين، في حال لم تكن بأمر إلهيّ وضمن سياق الولاية والحاكميّة الإلهيّة، هو شرك ولا ينسجم مع التوحيد في الربوبيّة. ولهذا يعتبر القرآن إطاعة غير الله شرك، ﴿وَلا تَأْكُلوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

ويذكر آية الله الخامنئي، استنادًا إلى هذه الآية، التالي:

> جعلت الثقافة القرآنيّة الطاعة والاتّباع في بعض الموارد بمعنى العبادة. ويعرّف أولئك المطيعين لغير الله بأنّهم مشركون. وبهذا البيان يمكن التعريف والتعبير عن عبادة الله - التي هي روح ومعنى التوحيد - بالعبوديّة والطاعة المنحصرة بالله، واعتبار عبوديّة وإطاعة غير الله شركًا، سواء في الأوامر والتعاليم الفرديّة، أم في القوانين العامّة، أم في شكل النظام الاجتماعيّ وكيانه[٢٤].

ويقول في موضع آخر:

> بناءً على أصل التوحيد، لا يحقّ للناس أن يعبدوا ويطيعوا أيّ أحد أو أيّ شيء غير الله، وجميع السلطات المفروضة من قبل أصحاب القدرة عبر تاريخ البشريّة، كانت باطلةً ومخالفةً للحقّ[٢٥].

ولقد أكّد القرآن واهتمّ بالتوحيد بالربوبيّة والتوحيد في العبادة، اللذان

(٢٤) طرح كلّي انديشه اسلامي در قرآن، مصدر سابق، الصفحة ٤٥.
(٢٥) المصدر نفسه

يعتبر تأثيرهما العمليّ وخطابهما التطبيقيّ على الفرد والمجتمع أعلى بمراتب من التوحيد الذاتيّ والصفاتيّ. ويمكن القول، بشكل قاطع، إنّ الولاية والإشراف ورعاية شؤون المجتمع الإسلاميّ في الثقافة القرآنيّة تكون مسلوبةً من كلّ شخص ما عدا الله أو خليفته ومن تتجلّى فيهم حاكميّة الله. ويقتضي التوحيد في الربوبيّة أن نعتبر كلّ حاكميّة وقيادة لغيره شركًا.

وبتعبير آية الله الخامنئي:

> ففي الإسلام يكون الإشراف والولاية على المجتمع من الأمور الإلهيّة. وليس حقًّا لأيّ إنسان أن يستلم إدارة أمور الآخرين. إنّ هذا الحقّ مختصّ بالله تعالى الذي هو الخالق، والمنشئ، والعالم بالمصالح، والمالك لأمور الناس، بل المالك لأمور جميع ذرّات عالم الوجود. ومثل هذا الشعور إذا وُجد في المجتمع الإسلاميّ، فلن يكون له نظير. فلا يوجد أيّة قدرة أو سيف حادّ أو ثروة أو حتّى أيّة قوّة علميّة وتدبيريّة تعطي لأيّ أحد هذا الحقّ ليكون مالكًا ومقرّرًا فيما يتعلّق بمصير غيره من الناس. فهذه قيم. إنّ حقّ تولّي الأمور وزمام الناس لا يُعطى لأيّ إنسان لأنّه حقّ خاصّ بالله[٢٦].

## المشروعيّة الإلهيّة

بالرغم من أنّ كلمة «المشروعيّة» مشتقّة من كلمة الشرع، إلّا أنّها ليست اصطلاحًا دينيًّا محضًا، بل هي مصطلح سياسيّ، يُستخدم بمعنى المبرّر العقلائيّ للحاكميّة، أو الأمر المبيّن لحقّ الإمرة والحاكميّة. ولقد طرحت حول مشروعيّة ومبنى حقّانيّة السلطة نظريّات مختلفة، وقد عرضت كلّ فلسفة سياسيّة، بما يتناسب مع مبانيها، رؤيةً خاصّةً بها. لكن في الرؤية الكونيّة التوحيديّة، لا تمتلك أيّة حكومة وحاكميّة وسلطة المشروعيّة والحقّانيّة إلّا إذا كانت منصوبةً وتتمتّع بالإذن من الله، وفي سياق ولاية وحاكميّة الله.

يقول آية الله الخامنئي بعد تعرّضه لانحصار الولاية والحاكميّة بالله:

---

(٢٦) كلام للإمام الخامنئي في عيد الغدير، بتاريخ ٢٠/٤/١٣٦٩هـ.ش.

والله تعالى يُعمِل هذه الولاية والحاكميّة ضمن قنوات خاصّة. فعندما يُعطى الحاكم الإسلاميّ ووليّ أمور المسلمين هذا الحقّ سواء على أساس التعيين - وهو طبق عقيدتنا قد تحقّق في مورد أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام - أو على أساس المعايير والضوابط المحدّدة، ويدير أمور الناس، فإنّ ولايته هنا هي ولاية الله؛ وهذا الحقّ هو حقّ الله، وهذه القدرة والسلطان هما إلهيّان يتمّ إعمالهما على الناس. فذاك الإنسان مهما كان وأيًّا كان ليس له أيّ حقّ بدون الولاية الإلهيّة والسلطنة الربّانيّة فيما يتعلّق بغيره من الناس والشعب. فنفس هذا يُعدّ قضيّةً مهمّةً جدًّا مصيريّةً بالنسبة للمجتمع الإسلاميّ[٢٧].

ويقول في خطاب آخر:

وعبوديّة جميع الموجودات لله تستلزم عدم تحكّم وتسلّط أيّ من عباد الله - من نفسه وبنحو مستقلّ - على العباد الآخرين (نفي الطاغوت). فالحاكم والمدير والمدبّر لشؤون حياة الناس، هو فقط من يختاره الله للحكومة، إما بشخصه مثل الأئمة المعصومين، أو بالعلائم والمعايير من قبيل الحاكم الإسلاميّ في زمن غيبة الإمام المعصوم (ع)[٢٨].

وفي تفسير التوحيد بلحاظ الجانب الاجتماعيّ يقول:

يُسلب حقّ الولاية، والإشراف على المجتمع، والإمساك بأمور وشؤون حياة الإنسان، عن أيّ أحد سوى الله. الحاكميّة والإمساك بأمور الإنسان هو حقّ خاصّ بالله، ويتحقّق هذا الأمر من خلال من ينصّبهم الله - أولئك الذين تنطبق عليهم أكثر من غيرهم المعايير والخصال المحدّدة في الأيديولجيّة الإلهيّة - وهم يحفظون النظام الإلهيّ وينفّذون القوانين الإلهيّة[٢٩].

## انحصار التقنين والتشريع بالله

إحدى اللوازم المهمّة للرؤية الكونيّة التوحيديّة كون وضع القوانين مختصًّا ومنحصرًا بالله. فالتوحيد يعني حصر صلاحيّة التقنين والتشريع بالله، وهو نوع من الحاكميّة الإلهيّة، والرؤية التوحيديّة تمنع من اتّباع

---

(٢٧) كلام للإمام الخامنئي في عيد الغدير، بتاريخ ١٣٦٩/٤/٢٠هـ.ش.

(٢٨) طرح كلّي انديشه اسلامي در قرآن، مصدر سابق، الصفحة ٣٨.

(٢٩) ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة)، مصدر سابق، الصفحات ٦٣ إلى ٦٥.

أحكام الآخرين وقوانينهم وتعاليمهم وتعتبرها شركًا.

وهنا، أيضًا، يقول آية الله الخامنئي في بيان موجز وبليغ، مستندًا إلى آيات القرآن:

> إنّ الخالقيّة والسيطرة التكوينيّة لله تستلزمان أن يكون زمام التقنين والتشريع أيضًا في قبضة اقتداره واختياره، والجميع (كافة الموجودات الواعية التي تتمتّع بصلاحيّة وضع القانون والتشريع لها) ملزمون باتّباع القانون الإلهيّ (انحصار الألوهيّة). وعلم الله اللامتناهي، يستلزم أن تكون صلاحيّة تنظيم الأحكام والقوانين المتعلّقة بالناس منحصرةً بالله (وهي لا مناص تؤمّن مصالح الناس واحتياجاتهم)[٣٠].

ومن خلال توضيح وتفسير التوحيد بلحاظ المنهاج الاجتماعيّ (الاقتصاديّ، السياسيّ، وغيرها)، يقول سماحته:

> يسلب التوحيد من أيّ أحد سوى الله صلاحيّة وضع أو تشريع - على نحو الاستقلال ومن تلقاء نفسه - قوانين تتعلّق بشؤون العالم والإنسان. وبحكم أنّ خالق الإنسان وخالق العالم والواضع لنظامه المترابط هو أيضًا يحيط بإمكانيّاته واحتياجاته، ويعلم ويعرف على أحسن وجه الإمكانات والاستعدادات والقابليّات والطاقات الدفينة في جسد الإنسان وروحه، ويعلم أيضًا بكنوز الكون وقابليّاته التي لا تحصى، وكيفيّة توظيفها واستثمارها وكيفيّة التقائها جميعًا. من هنا، وحده الله يمكنه أن يضع أسلوب ومنهاج الحياة، وبرنامج علاقات الإنسان، الذي هو نفس منهاج حركته في عجلة نظام التكوين ووفقه، ويحدّد الأنظمة القانونيّة للحياة، ويعيّن له إطاره ونظامه الاجتماعيّ. واختصاص هذا الحقّ بالله نتيجة طبيعيّة ومنطقيّة لخالقيّته وألوهيّته، فأيّ نوع من التدخّل من قبل الآخرين في تحديد المسار والمنهاج العمليّ للناس هو تعدٍّ على ساحة الألوهيّة وادّعاء للألوهيّة وموجب للشرك[٣١].

إنّ الحدّ الأدنى من الشروط اللازمة لعمليّة التقنين وتقديم البرنامج المناسب واللائق لحياة الإنسان الفرديّة والعائليّة والاجتماعيّة، هي ثلاثة شروط: أوّلها: أن تتمتّع بالإحاطة العلميّة الكاملة والشاملة لكافّة أبعاد واحتياجات الإنسان، وأن تعرف جيّدًا الكمال الحقيقيّ وموقعيّة

---

(٣٠) **طرح كلّي أنديشه اسلامي در قرآن**، مصدر سابق، الصفحة ٣٨.

(٣١) **ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة)**، مصدر سابق، الصفحة ٣٤.

الإنسان في عالم الخلقة وعلاقاته، ولا تكون في معرض الخطإ والغفلة. ثانيًا: أن يُجعل التقنين والتشريع الملاك والأساس في رعاية مصالح الإنسان ومنافعه، ولا يكون عرضةً لَتأثير عوامل أخرى، وأن لا تدخل الرؤى والنزعات والميول الداخليّة والعوامل الخارجيّة، من قبيل البيئة والتوجّهات السياسيّة، في عمليّة اتّخاذ القرارات والإعلان عن برامجه وقوانينه. ثالثًا: أن تكون قوانينه وأحكامه ملزمةً، ينقاد إليها ويتعبّد بها كافّة أفراد الناس. وهل من أحد غير الله يتمتَّع بهذه الشروط وبهذه الخصائص؟!.

**التوحيد محور الوحدة الحقيقيّة**

إنّ الاستقرار والاستمراريّة الملازمان لتكامل وديناميكيّة الحكومة والنظام السياسيّ المقتدر يحتاجان إلى الانسجام والوحدة العامّة. كما أنّ التشتّت والتفرقة هما أكبر آفّتان مهدّدتان للدولة، ومحطّمتان للسلطة السياسيّة والاقتدار الوطنيّ، وتوفّران الأرضيّة لتغلغل الأفكار المنحرفة وتسلّط المستعمرين. إلّا أنّ وحدة المجتمع وانسجامه يحتاجان إلى محور وعامل يؤمّن هذا الانسجام والتلاؤم، وفي نظام الإسلام السياسيّ، لا المنافع المشتركة، ولا العدوّ الواحد، ولا حتّى الأرض بإمكانهم أن يؤمّنوا ملاك الوحدة الحقيقيّة، لأنّها عوامل مؤقّتة، بل ما يدعم ويحفظ وحدة الأمّة الإسلاميّة هو الاعتقاد والإيمان بالله الواحد المتفرّد والمدبّر لعالم الخلقة. فالتوحيد هو الحبل المتين، وكما أنّه يؤلّف بين الأيادي والأعمال، يؤلّف القلوب والأفكار ويجعلها متناغمةً ومنسجمة. ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.

إنّ الوحدة والانسجام في البرامج الاجتماعيّة هي جرّاء انسجام التشريع مع التكوين والحركة بمقتضى الطبيعة والخلقة. وما أجمل التفسير الذي يقدّمه سماحة القائد الخامنئي للتوحيد انطلاقًا من الرؤية الكونيّة

العامّة:

يعني وحدة وانسجام كافّة العالم وارتباط كافّة أجزائه وعناصره، لأنّ محرّك سلسلة الخلق واحد (أزمّة الخلق بيد الله)، والجميع هم من مبدإٍ ومنشإٍ واحد، ولا يوجد آلهة وعدّة خالقين يشاركون في خلق العالم وتحريكه (تدبيره). فجميع هذه الأجزاء هي مجموعة واحدة، والعالم بأسره واحد. وله وجهة واحدة. انطلاقًا من هذه الرؤية، العالم قافلة متحرّكة، وكلّ ركّابها من قبيل حلقات السلسلة متّصلة ببعضها البعض، ومن قبيل الأجزاء الصغيرة والضخمة لجهاز واحد يعملون ويسعون معًا باتّجاه واحد، وكلّ جزء يكتسب معناه وتتّضح وظيفته بملاحظة مكانته في مجموع هذا التركيب. والجميع في هذا السير التكامليّ الحيويّ يكمّل ويساعد بعضه البعض، وكلّ واحد هو أداة لازمة وضروريّة في هذه المجموعة، وأيّ نوع من التوقّف والركود والفساد والانحراف يلحق بأيّ واحد من هذه الأجزاء يؤدّي إلى بطء وفساد وانحراف كافّة الجهاز. وبهذا الشكل تتّصل جميع الذرّات ببعضها البعض برباط معنويّ عميق[٣٢].

## التوحيد ضمانة التطبيق

إنّ أفضل نظام سياسيّ وحقوقيّ وأكمل برنامج لن يكون فعّالًا من دون التزام الناس ودعمهم، الذي هو الضامن لتنفيذ القوانين. كما أنّ تحمّل المشاكل والمكاره والصمود أمام الصعاب والموانع يحتاج إلى دافع فعّال ومحفّز وإلى تقوية الإرادة الجماعيّة. وأيّ عامل ودافع هو أقوى وأكثر ترغيبًا وتحفيزًا من الاعتقاد بالله الذي هو مبدأ وغاية الإنسان، وله حقّ تدبير حياته، ويحيط بكافّة نواحي حياته وأعماله، كما جعل كلّ ما يقوم به الإنسان مورد عناية وله نتيجته وثمرته. والقرآن الكريم، في هذا السياق، يأمر المؤمنين بالاستقامة، وقد عرّف ذلك بالأمل بمستقبل مشرق.

ويقول: ﴿وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَ تَرْجُونَ مِنَ اللهِ ما لا يَرْجُونَ وَكانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

ويشير آية الله الخامنئي إلى احدى أهمّ الفوارق بين الحكومة الدينيّة التوحيديّة مع الحكومات الأخرى:

---

(٣٢) ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة)، مصدر سابق، الصفحتان ٥٥ و٥٦.

هناك فرق بين الحكومة والضمانة الإلهيّة وبين ما هو غير إلهيّ؛ لأنّ الضمانة الإلهيّة داخليّة، وكلّ من يتصدّى لمنصب لا تتوفّر فيه شروطه، تنخلع هذه الآصرة تلقائيًا، وهذه حقيقة في غاية الأهمّيّة، على اعتبار أنّ الولاية الإلهيّة تعني الذوبان في الأوامر والنواهي الإلهيّة. وهذه الحقيقة تقع في الجهة المقابلة لتسلّط السلاطين المادّيّين، والحكومات المادّيّة والبشريّة(٣٣).

فمعنى الولاية في المصطلح الإسلاميّ هو أن تكون هناك حكومة قويّة، ولكنّها في الوقت ذاته خالية من النزعة الأنانيّة التسلّطيّة، وأن تتّسم بالحزم والقاطعيّة ﴿فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾، ولكنّها في ذات الوقت خالية من مظاهر الاستبداد بالرأي. الولاية معناها أن تكون الحكومة على درجة عالية من القوّة، ويتّصف الحاكم فيها بالعزّة والحزم، إلّا أنّها في الوقت ذاته منزّهة عن معالم الاستبداد والأنانيّة والتسلّط والطمع.

الاعتقاد بالله يمنح القلوب الطمأنينة والسكينة، والخطوات الراسخة، والدافع للجهاد والنضال، والبصيرة للفكر، الحماس والاندفاعيّة للحركات والنهضات الطالبة للعدالة، استحكام العلاقات والروابط، القدرة على المقاومة والصمود أمام المشاكل والصعاب، توجيه الأعمال والسلوك، المعنى والعشق للحياة، الوعي واليقظة أمام المؤامرات، الصون والحفظ أمام وساوس الشيطان، التفاؤل بالمستقبل، الإخلاص للنوايا، الإحساس بالمسؤوليّة تجاه الآخرين، العزّة والثقة بالذات للنفس، الخلفيّة العقائديّة لارتباط الأمّة بالقيادة، وبالخلاصة كلّ ما يرد من الحبيب يبعث على اللذّة والعذوبة.

## تساوي كافّة البشر

يقتضي انحصار الربوبيّة والألوهيّة بالله أن لا تكون إرادة وميل أيّ إنسان أعلى وفوق إرادة الآخرين. فالبشر كافّة يتمتّعون بحقوق وفرص

(٣٣) كلام للإمام الخامنئي بمناسبة عيد الغدير، بتاريخ ١٣٧٨/١/١٦هـ.ش.

وإمكانات متساوية. وكلّ إنسان ينتفع بمقدار سعيه وعمله الحثيث. ولا يوجد فئة أو طبقة تتمتّع بامتياز خاصّ عن غيرها، وليس لأحد في نظام الخلقة امتياز خاصّ، ولم يُخلق البعض أربابًا وأسيادًا والبعض الآخر عبيدًا وأرقّاء. فالفضائل والامتيازات جميعها اكتسابيّة. أمّا الفروقات فهي أمر لازم لنظام الخلقة الأحسن، ومن أجل إقامة العلاقات وتشكيل الحياة الاجتماعيّة، وليست عناصر للتبعيض ولتصنيف المجتمع.

ويبيّن آية الله الإمام الخامنئي أحد أبعاد الرؤية الاجتماعيّة للتوحيد بقوله:

يُعتبر البشر في ارتباطهم مع نعيم العالم متساوين. كما أنّ الإمكانات والفرص متكافئة وفي متناول الجميع، لكي يستفيد كلّ واحد من هذه المائدة الواسعة على قدر حاجته وفي إطار سعيه وعمله، وفي هذا المجال اللامتناهي لا يوجد أيّة منطقة مختصّة ومنحصرة بفئة. فالجميع يمكنهم أن يختبروا همّتهم وإرادتهم لاكتساب مختلف الاستفادات والنعم من هذا العالم. وهذه الفرصة لا تختصّ فقط بملّة أو طائفة على أساس انتمائها العرقيّ، الجغرافيّ، التاريخيّ وحتّى الأيديولوجيّ[٣٤].

استند سماحته، في تتمّة كلامه، في دعواه على آيات من قبيل ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ويقول حول معنى الآية «إنّه هو خلق لكم جميعًا كافّة الموجودات على الأرض (الناس جميعًا، وليس مجموعة أو طائفة خاصّة)».

هذا التساوي والتكافؤ قد تمّ ملاحظته في الحركة التكامليّة وطيّ الصراط المستقيم، والوصول إلى الدرجات العالية من الكمال.

وفيما يخصّ هذه العلاقة، يبيّن الإمام أحد أبعاد التوحيد من منظور رؤية كونيّة عامّة، فيقول:

التوحيد هو أيضًا بمعنى تساوي وتكافؤ البشر في إمكانيّة الارتقاء والتكامل. لأنّ

(٣٤) ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة)، مصدر سابق، الصفحة ٦٧.

الجوهر والجبلّة الإنسانيّة واحدة. فلا أحد ليس بمقدوره، استنادًا إلى ذاته وجبلّته، أن يطوي الصراط المستقيم للارتقاء والتكامل. من هنا، إنّ دعوة الله دعوة عامّة، ولا تختصّ بأشخاص أو قوم أو فئة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣٥].

## حرّيّة الإنسان الحقيقيّة

إنّ روح عبوديّة الله هي في الحرّيّة والتحرّر من عبوديّة وسلطة الآخرين. وبعبارة أخرى، إنّ سبيل الخلاص من القيود وعبوديّة النفاق والكذب والذلّ هو فقط في الخضوع والتسليم لعبوديّة الله الواحد على الحقيقة، والمانح للعزّة.

وبناءً على أصل التوحيد، لا يحقّ للبشر أن يعبدوا ويطيعوا أيّ شخص أو أيّ شيء إلّا الله. وجميع سلطات وحاكميّة القوى المفروضة، على اختلافها، التي مرّت عبر تاريخ البشريّة، قد كانت على خطإٍ وخلافًا للحقّ[٣٦].

ويعتبر سماحة القائد التوحيد بمعنى تكريم الإنسان وتقديره:

فالعنصر والجوهر الإنسانيّ الثمين والقيّم، هو أعظم من أن يكون أسيرًا ومقهورًا وذليلًا لأحد غير الله. فالوجود المطلق والكمال الجميل على الإطلاق وحده يمكنه أن يجعل الإنسان متحيّرًا وولهًا وحامدًا ومتضرّعًا. وهذا النزوع نحو التسامي والارتقاء هو بذاته درجة من درجات الارتقاء والتسامي. ولا أحد ولا شيء غير ذات الله المتعالية، لديه المرتبة التي تجعله يستحقّ عبادة الإنسان ومدحه وثناءه. فجميع الأصنام الجامدة والحاملة للروح، التي فرضت نفسها على عقل الإنسان وقلبه وجسده، وتصرّفت مغتصبةً نطاق الله في ساحة الحياة الإنسانيّة، هي رجس وأوثان، تبعد الإنسان عن طهارة فطرته وصفائه، وتذلّه وتهينه. والإنسان لأجل أن يستعيد مكانته السامية، عليه أن يعرض عنها، وأن ينزع عن نفسه خزي التلوّث بعبوديّتها. وليس بمقدور أيّة رؤية إنسانيّة مادّيّة أن تطرح أفضليّة واصطفاء وأصالة الإنسان بهذا العمق والدقّة[٣٧].

---

(٣٥) ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة)، مصدر سابق، الصفحة ٥٩.

(٣٦) طرح كلّي انديشه اسلامي در قرآن، مصدر سابق، الصفحة ٤١.

(٣٧) ديدكاه توحيدي (الرؤية التوحيديّة)، مصدر سابق، الصفحتان ٦٠ و٦١.

بناءً عليه، إنّ الأصل الأساس في كافّة الأنظمة والمعارف وبرامج العمل الإسلاميّة هو التوحيد. وآية الله الخامنئي اهتمّ واعتنى – ولازال – بهذا الأصل أكثر من غيره. وسنلخّص هذا القسم بهذا المقطع ونختمه:

إنّ التوحيد على عكس الفهم العاميّ الرائج. حيث يفهم كنظريّة محض فلسفيّة وذهنيّة، بل هو نظريّة تأسيسيّة بالنسبة للإنسان والعالم، وأيضًا هو نظريّة اجتماعيّة واقتصاديّة وسياسيّة. ومن بين الألفاظ الدينيّة وغير الدينيّة، هو أقلّ لفظ يمكنه أن يحتمل ويحتوي كلّ هذه المفاهيم الثوريّة والبنّاءة، والناظرة إلى أبعاد الحياة الاجتماعيّة والتاريخيّة للإنسان. وليس صدفةً أنّ جميع الدعوات والنهضات الإلهيّة طوال التاريخ، قد بدأت بإعلان وحدانيّة الله، وانحصار الربوبيّة والألوهيّة به[٣٨].

## الأصل الثالث: حاجة البشر إلى الوحي

وهذا الأصل هو من أكثر المباني وأصول الفلسفة السياسيّة في الإسلام تميّزًا. فالإنسان، بالرغم ممّا لديه من قوّة العقل والفهم والمعرفة، وما لديه من ميول ورغبات وقدرات وإمكانات، التي تمنحه طبيعةً ممتازةً وأرقى من سائر الموجودات والكائنات والظواهر، وهذه القوّة العاقلة ذاتها هي الفصل المميّز والمحدّد لشخصيّة الإنسان التي لا نظير لها[٣٩]، ولكنّه لا يستغني عن الوحي. فخلافًا للمذهب العقليّ Rationalism الغربيّ، فإنّ العقل والرسول الباطنيّ لا يجعل الإنسان أبدًا في غنًى عن الهداية السماويّة، وعن دعم وحفظ القوى الخارجيّة والرُّسل الإلهيّين. بل هما مكمّلان لبعضهما البعض، ومتلازمان معًا. ولا يمكن أبدًا أن تتنافى العقلائيّة مع الوحي والتعبّد بالشريعة الإلهيّة.

(٣٨) المصدر نفسه، الصفحة ٥٥.

(٣٩) عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم؟ فقال قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب: إنّ الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلًا بلا شهوة وركّب في البهائم شهوةً بلا عقل. وركّب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شرّ من البهائم. **بحار الأنوار**، الجزء ٥٧، الصفحة ٢٩٩.

يقول آية الله الإمام الخامنئي في بيانه لفلسفة النبوّة والحاجة إلى الوحي:

إنّ الحواسّ الظاهريّة والغرائز الكامنة، وما هو أعلى منها، كالعلم والمعرفة البشريّة، لا يمكنها هداية الإنسان إلى منزل سعادته. والإنسان يحتاج إلى هداية أعلى من هداية العقل – التي تقود العقل وتمسك به وتمنحه القوّة – وهي هداية الوحي. وحي الله، الله خالق الإنسان والعالم بنقائصه واحتياجاته وأسقامه وما يشفيه، وهذا هو منطق كافّة أديان العالم وفلسفة النبوّة.

وبموجب هذا الاحتياج كانت بعثة الأنبياء لتطبيق البرامج التي تلبّي هذه الاحتياجات(٤٠).

فالأنبياء، وبمساعدة العقل ومعونته، يسوقون المجتمع الإنسانيّ نحو الحقّ والسعادة، ويجعلون الحياة والمجتمع منسجمَين ومتناغمَين مع الفطرة وخلقة الوحي، ويهيّئون الأرضيّة والفرصة لتفتّح وتكامل وإيصال استعدادات وإمكانيّات وقابليّات كافّة أفراد البشر إلى الفعليّة.

يظهر الأنبياء في ظروف وبيئة اجتماعيّة منحرفة وفاسدة، بغية أن يجعلوا النظام الإنسانيّ مستقيمًا، ويعيدونه إلى فطرته. فالبشر، بما لديهم من طبيعة خلقة متجانسة ومتناغمة مع طبيعة خلقة العالم، حينما يسيرون بمسارهم الطبيعيّ والفطريّ – الذي هو طريق تكاملهم – ضمن مسار النظام الفطريّ والملهم من فطرة العالم والإنسان، ويدارون ضمن تعاليم تكون متناسبةً مع بنائهم الروحيّ والجسديّ (الحقّ)، عندها، وبتسارع طبيعيّ، يتكاملون نحو الكمال والسموّ اللائق بهم.

لقد كانت يد الجهالة والاستغلال، طوال التاريخ، تحرّف طريق الإنسانيّة، ومن خلال فرض الأنظمة غير الإنسانيّة، فكانوا يخرجونه عن مساره الفطريّ (إلى مسار الباطل)، وكان على الأنبياء أن يعيدوه إلى هذا المسار الفطريّ. وبهذا البيان يمكن أن يُعلم أنّه:

---

(٤٠) طرح كلّي انديشه اسلامي در قرآن، مصدر سابق، الصفحة ٤٥.

ينبغي للنبيّ أن يُحدث انقلابًا وتغييرًا جوهريًا على كافّة الأصعدة، في مجتمعه الجاهليّ والمنحرف المعاصر له، وأن يبدّل النظام الاجتماعيّ الخاطئ والضالّ إلى النظام الصحيح والحقّ. وهذه هي البعثة التي تحدث في ساحة المجتمع بعد بعثة النبيّ (ص)[41].

من بين النعم الإلهيّة غير المحدودة والتي لا حدّ لها، نعمة إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهي من أبرز كافّة النعم، وأكثر تأثيرًا في توفير الهداية وتقوية القدرة العقلائيّة للبشر، بغية مواجهة الميول والنزعات غير الإنسانيّة.

ولهذا يصرّح القرآن الكريم بهذه النعمة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

والإنسان على ضوء تعاليم الأنبياء، من ناحية يبني شخصيّته الفرديّة، ويوصلها إلى كمالها، ومن ناحية أخرى ينظّم المجتمع والنظام الاجتماعيّ على أفضل هيئة، ويقيمه على محور العدالة ونفي الحكومات والسلطات الكاذبة والاستغلاليّة، ويصوّبه تجاه تخليص وإحياء المستضعفين.

ومن خلال تفصيله لأهداف النبوّة، يعتبر آية الله الخامنئي أنّ ارتقاء الإنسان وتكامله، ووصوله إلى المنزل المقصود والمنشود، هو الهدف الأسمى والأصليّ. ويرى أنّ إيجاد مجتمع موحّد وإلهيّ محوريّته العدالة هو مقدّمة معدّة وشرط لازم لتحقيق ذلك الهدف.

إنّ أعظم وأسمى هدف للأنبياء هو تخليص البشر من مستنقع ووحول الخسائس والملوّثات. ومن خلال تفجير ينابيع القابليّات المودعة فيهم، يوصلونهم إلى أعلى مدارج الرقيّ والسموّ الإنسانيّين. إنّ الهدف من إرسال الأنبياء في النهاية هو القيام بعمليّة التربية والبناء هذه، والتي أشار اليها القرآن الكريم بعبارات التزكية والتعليم. فالإنسان من خلال متابعة تربية الأنبياء الصحيحة يصل إلى مرحلة من التهذيب والتحلية، ويصل إلى الهدف النهائيّ من خلقته. ولكن، ولأجل أن يتمكّن البشر من أن يستفيدوا من المواهب الطبيعيّة المودعة في وجودهم، وأن يرتقوا ويسموا، ما هو

(٤١) المصدر نفسه، الصفحة ٦٧.

الطريق الذي ينبغي الأخذ به؟ ومن بين مختلف الإجابات، تأتي إجابة الأنبياء من أنّه ينبغي توفير بيئة معافاة وسليمة ومساعدة ومتناسبة مع بنائهم الطبيعيّ. وهذه البيئة هي «المجتمع الإلهيّ العادل التوحيديّ». ومن خلال التموضع في هذا المجتمع بنظامه المتجانس معه، فإنّه يسهّل ويسرّع من سير الإنسان باتّجاه عاقبته ومقصده الفطريّ. والإنسان بالتسارع الطبيعيّ يخطو في طريق الحقّ والتسامي. فالأنبياء ومبعوثو الوحي لديهم هدف ومقصد أقرب في منتصف الطريق لذلك المقصد النهائيّ، وهو نفس تشكيل المجتمع والنظام التوحيديّ والإسلاميّ، أي بناء المجتمع على أساس العدالة، التوحيد، تكريم الإنسان، والخالي من الظلم والشرك، الخرافات والجهل، ومن كلّ ما يجعل الإنسان دنيئًا وذليلا[42].

ويستند آية الله الخامنئي في تتمّة كلامه إلى عدّة آيات من كتاب الله العزيز من قبيل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، و﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

## الأصل الرابع: علم الإنسان (أنثربولوجيا) الدينيّ

السياسة هي إحدى فروع العلوم الإنسانيّة. والعلوم الإنسانيّة ترتبط بعلم الإنسان من جهتَين، الأولى من حيث أصل الوجود والتحقّق، والأخرى من ناحية التوجّه والاتّجاه.

إنّ فلسفة النظام السياسيّ في الإسلام هي في خدمة الإنسان ومن أجل ارتقائه وتكامله وسعادته، وتهيئة الأرضيّة لتفعيل قابليّاته وقدراته. وتبتني على تعريف ينبثق من الإنسان. لذا، فعلم الإنسان الإسلاميّ هو أحد المباني ومن أركان فلسفة النظام السياسيّ في الإسلام وعند العالمين

(٤٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٧١ و٧٢.

بالإسلام.

يذكر الإمام الخامنئي في دروسه القرآنيّة التالي:

معرفة الإنسان هو البنية التحتيّة لكلّ مذهب، لأيّ مذهب اجتماعيّ أو غير اجتماعيّ؛ يعني من مواد الرؤية الكونيّة لكلّ مذهب معرفة الإنسان. لهذا، لأجل التعرّف على أيّ مذهب ولأجل معرفة أيديولوجيّة أيّ مذهب، يعني أصول فكر أيّ مذهب، وأصول الفكر الاجتماعيّ ولأجل تشخيص التعاليم الصحيحة لذلك المذهب من غير الصحيحة، يُحتاج إلى التعرّف على الإنسان[٤٣].

أن تنحو الحياة الاجتماعيّة وإدارة المجتمع على نطاق واسع، معناها عندما تكون لأجل الإنسان وفي خدمته. وينبغي أن تطرح وتطبّق من أجل تأمين حاجات ومتطلّبات الناس. وهذا الاحتياج هو بمعنى أن تُعرف الأبعاد الوجوديّة والاحتياجات والمتطلّبات الإنسانيّة جيّدًا. وادّعاء الإسلام الكبير والمصاحب بالدليل والبرهان، هو أنّ الرؤى الكونيّة الأخرى، كونها لا تتمتّع بالإحاطة العلميّة التامّة بالإنسان وقدراته واحتياجاته، فهي لا يمكنها أن تعرض برنامجًا جامعًا وشاملًا وبنّاءً ومحيطًا بكافّة أبعاد الإنسان، وأن تدير شؤونه وتقوده.

ويعتبر آية الله الخامنئي أنّ رسالة النظام الإسلاميّ هي تكريم الإنسان، ولهذا يجعل معرفة الإنسان وطبيعة النظرة إليه وظيفةً أساسيّةً.

الإنسان والمسائل الإنسانيّة في الثقافة الإسلاميّة هي العمدة الأساس أو بيت الغزل لهذه الثقافة، وهي الأساس في بناء رؤية هذه الثقافة، وهذا المذهب، وهذا الفكر، وهذه المجموعة، والنظام الفكريّ. نحن لو تأمّلنا سنجد أنّ القرآن يقول ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيْ آدَمَ﴾ وهذا التكريم ليس فقط مجاملةً كلاميّةً، وإنّما ينبغي للنظام الإسلاميّ أن يمنح الإنسان الكرامة، أو من الأفضل أن نقول أنه يكشف عن الكرامة الواقعيّة والحقيقيّة للإنسان، ويجعلها مبنى[٤٤].

وبعد أن يعتبر آية الله الخامنئي أنّ كلّ إدارة أو قيادة لغير الله وخلفائه

(٤٣) الدروس القرآنيّة للإمام الخامنئي سنة ١٣٦٣هـ.ش.

(٤٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢/١٠/١٣٦١هـ.ش.

هي ولاية الشيطان والطاغوت وسلطتهما، يطرح إحدى أهمّ المثالب والنقائص الكبرى للحكومة غير الإلهيّة والطاغوتيّة، كما يلي:

هي في الأساس لا تحيط باحتياجات الإنسان وإمكاناته في الطبيعة، وقيادتها للمجتمع الإنسانيّ هي منشأ ضرر وخسارة، وتقضي على الكثير من طاقاته القيّمة، ونتيجة انعدام المعرفة واللامبالاة فإنّ المجتمع والعالم الذي يرزخ تحت ولاية الطاغوت، سيحرم الناس من نور المعرفة، والإنسانيّة من شعاع ونور التعاليم والقوانين الإلهيّة للحياة، وسيصير أسيرًا وسجينًا لظلمات الجهل والهوى والشهوة والغرور والطغيان[٤٥].

انطلاقًا من معرفة الإسلام للعالم والإنسان، الإنسان هو موجود أبديّ، لا يقبل الفناء، ولديه بعدَين ونشأتَين، ينبغي للحكومة أن تأخذ بعين الاعتبار، وتهتمّ في برامجها وأيضًا في هدايتها وإدارتها، مسألتَي الخلود واحتياجات كلا بعدَيه. ومن البديهيّ أنّه لا يمكن لأحد سوى الله الخالق المحيط بالإنسان أن يقدّم ويعلن ويطبّق مثل هذا البرنامج والإدارة.

الإسلام وسائر الأديان الإلهيّة يريدون هذا للناس. الإسلام يريد كذلك أن يرقى بالناس، كذلك أن ينوّر قلوبهم، وأن يخرج كذلك السيّئات من صدري وصدوركم، ويرميها بعيدًا، حتّى نشعر بتلك الحالة من اللذّة المعنويّة، في كافّة لحظات حياتنا، وليس فقط في محراب العبادة، بل حتّى في محيط العمل، وأثناء الدراسة، وفي ميدان الحرب، وأثناء التعلّم والتعليم، وفي وقت الإعمار والبناء[٤٦].

إنّ الشريعة وكافّة المعارف والتعاليم الإسلاميّة تضمن وتؤمّن سعادة الإنسان، وتلبّي كافّة احتياجاته ومتطلّباته، وتمنح الفرد العزّة والكمال، وأيضًا المجتمع. وبتعبير آية الله الخامنئي «إنّ ما يجعل الإنسان والمجتمع عزيزًا هو الإسلام الحقيقيّ»[٤٧]. «الإسلام اليوم قدرته ليست بقليلة ولا يستهان بها. الإسلام اليوم يحمل أجمل وأكثر الرسالات المفعمة بالمعاني

---

(٤٥) طرح كلّي انديشه اسلامي در قرآن، مصدر سابق، الصفحة ١١٢.
(٤٦) حديث ولايت، مصدر سابق، الجزء ٧، الصفحتان ٦٢ و٦٣.
(٤٧) المصدر نفسه، الصفحة ١٠٧.

للإنسان، وهذا أمر حقيقيّ»[٤٨].

إلّا أنّ الإسلام، بالإضافة إلى تأمينه لحاجات الإنسان الطبيعيّة ومتطلّباته، يريد له الهدفيّة والارتقاء فوق المادّيّات والعالم الحيوانيّ، ولا يحصره ويحدّه بإطار الطبيعة والغرائز.

الإسلام قد اهتمّ بالحاجات والرغبات والطبائع البشريّة وغير البشريّة، وتطلّع إليها، وجعل لها حكمًا إلهيًا. لكن ليس بمعنى أنّه لا يمتلك أهدافًا وغايات للبشر. نحن محكومون وأسَراء سجن طبيعتنا، ونتحرّك في إطار قوانين الطبيعة، لكن ألم يضع الإسلام داخل هذا الإطار الذي نتحرّك فيه غايةً وهدفًا أمامنا، بحيث يقول ينبغي أن تتحرّكوا بهذا الاتّجاه؟! إنّ النزوع نحو الهدفيّة في الإسلام، والنزوع لناحية القمم والأعالي والأهداف هو أمر قطعيّ ومحتوم[٤٩].

في الرؤية الكونيّة التوحيديّة، محوريّة الله في التقنين والولاية والقيادة لا تنفي أبدًا دور الإنسان وإرادته، بل إنّ أهداف الحكومة الدينيّة ومقاصدها الكبرى، من قبيل العدالة الاجتماعيّة، لا يمكن أن تتحقّق أبدًا إلّا بالقبول والمشاركة والسعي الملازم لإرادة الناس العامّة. وفوق هذا، فإنّ إرسال الرسل في التعليم القرآنيّ، وإنزال الكتب السماويّة، هو مقدّمة لقيام الناس من أجل إيجاد العدالة الاجتماعيّة والقسط. ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

آية الله الخامنئي، وبإذعانه لدور الإنسان، انطلاقًا من المعتقدات الإسلاميّة، وثقة القيادة واستنادها إلى إرادة الناس، يقول قاطعًا:

إنّني أؤمن بشدّة بدور الإنسان والإرادة والقدرة الإنسانيّة، فهذا جزء من أصولنا الفكريّة الذي كنت قد توصّلت إليه طوال حقبة الثورة، وأثناء البحث في المسائل الإسلاميّة. وقد عملت على تطبيقه والعمل به، وقد رأيت أيضًا آثاره ونتائجه. فالإيمان بالإرادة الإنسانيّة إلى جانب الاعتقاد والإيمان والاطمئنان بالمدد الإلهيّ يبعثان على حلّ أكبر المشاكل بسهولة. وإنّني انطلاقًا من هذه الرؤية متفائل فيما يتعلّق بمستقبل الثورة

(٤٨) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ٦٠.

(٤٩) المصدر نفسه، الجزء ٥، الصفحة ١٤٠.

والبلاد والنظام. وقد حافظت بقوّة شديدة على هذه النظرة التفاؤليّة، واليوم لا أشعر بمقدار ذرّة من الوهن أو النظرة التشاؤميّة[٥٠].

وفي بيان موجز وفي الخطاب ذاته يقول: «إنّ إرادة الإنسان المؤمن تتفوّق على أيّ نوع من السلاح والعتاد»[٥١].

وفي أفق أوسع وأشمل يقول: «لأيّ بلد ما، تعدّ الطاقة البشريّة كلّ شيء، ونحن إذا لم يكن لدينا طاقة بشريّة، فلا نمتلك شيئًا»[٥٢].

إنّ الإنسان بمقتضى الروح الإلهيّة التي قد نُفخت فيه، لديه روح وحقيقة لامتناهية، ودومًا يطلب الكمال المطلق. ويريد المطلق على صعيد الرؤى والميول. وحركة ووجهة حياته في أيّ جهة كانت أبدًا لا تتوقّف. ومن البديهيّ أنّه لا يسكن ولا يهدأ إلّا من خلال الارتباط والاتّصال بالوجود اللامتناهي، ومنبع كافّة الكمالات، وقلبه لا يشبع ولا يمتلئ إلّا بالله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾. الله الخالق الذي أظهر وأبدع كافّة الظواهر والكائنات والمخلوقات لأجل الإنسان وهي مسخّرة له وتحت إمرته[٥٣]. بغية أن يستفيد منها في الوصول إلى المقصد الحقيقيّ والارتباط بالمبدأ والهدف اللامتناهي، ويستفيد منها في سيره وسلوكه الشاقّ إلى الله، وهذه الحركة والسلوك قد غرسا في أعماق فطرته وخلقته. ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾.

الإنسان هو موجود لا متناهي وغير محدود ومتّصل بالله، ويتمتّع بمعرفة قلبيّة بالله، أي ليس كتلك التي في الحيوان، او كتلك التي في الجماد. ويتمتّع بقدرة لا متناهية في تبديل العالم وتغييره، وطرح رؤية جديدة لحياة الإنسان والغوص في أعماق إمكانات العالم الماديّة. فالإنسان ليس محدودًا طبقًا للرؤية الإسلاميّة[٥٤].

---

(٥٠) المصدر نفسه، الجزء ١، الصفحة ٤٤.
(٥١) المصدر نفسه، الجزء ٢، الصفحة ٨٥.
(٥٢) المصدر نفسه، الجزء ٣، الصفحة ٦٣.
(٥٣) سورة الجاثية، الآيتان ١٢ و١٣؛ سورة إبراهيم، الآيتان ٣٣ و٣٤.
(٥٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٤/٦/١٣هـ.ش.

في الرؤية الكونيّة الإسلاميّة، لا يُنظر إلى الإنسان على أنّه منعزل ومنفرد عن الآخرين. كما أنّ قابليّاته واستعداداته وقدراته لا تتفتّح وتزدهر ولا تتفعّل إلا في ظلّ الارتباط والتواصل مع الآخرين من جنسه. لذا من أفضل وأكثر السبل تأثيرًا للارتباط بالله، والتقرّب إلى الكمال المطلق، وصيرورة الإنسان خليفة الله، هو استحكام شعور التعاطف والتواصل الفعّال مع الآخرين، والسعي لأجل مدّ يد العون لإصلاح الأمور الاجتماعيّة والعامّة، لأنّ الإسلام لا يعرّف الله في مقابل الناس، كما أنّه يعتبر إدخال السرور على العباد وخدمتهم يستجلب رضا الله وعنايته، إلى مستوى أنّ الله عندما يريد أن يعرّف قائد وولي وراعي الأمّة الإسلاميّة، ويبيّن وظيفة المسلمين وتكليفهم بعد الرسول الأكرم (ص)، أشار من بين كافّة الامتيازات والخصائص المختصّة بعليّ (ع) إلى إنفاقه في حال الصلاة[٥٥]؛ يعني أنّ قائم مقام الله والموجّه لدفّة الأمّة الإسلاميّة، ينبغي أن يكون شخصًا في ذروة خلوته وارتباطه بالله، غير غافل عن خلق الله واحتياجات العباد، ولا تجعله عبادته وعرفانه غافلا أبدًا عن المسائل الاجتماعيّة والاهتمام بأمور الآخرين.

إنّ الشعور بالمسؤوليّة والتكليف تجاه الله، يجعل القادة والعاملين مكلّفين وموظّفين أمام الناس. بحيث تمثّل خدمتهم فلسفة الحكومة. وأن يُجعل التمهيد لتفتّح قابليّات الإنسان ووصوله إلى الكمال محور كافّة الإجراءات والتدبيرات. إنّ فلسفة الحكومة في الإسلام وتلك القاعدة والمبنى الذي تستند إليه الحكومة الإسلاميّة، هو عبارة عن التكليف الإلهيّ الذي هو عبارة عن التكليف للقيام بخدمة الناس. الحكومة في الرؤية الإلهيّة هي وسيلة ومسؤوليّة، بحيث إنّ الأشخاص الذين يتصدّون للقيام بهذه المسؤوليّة يكون تصدّيهم من أجل خدمة الناس، وخدمة الناس ليست فقط خدمة بطون الناس وحياة الناس الحيوانيّة، فهذه الخدمة جزء من الخدمات التي ينبغي للحكومة أن تمنحها للناس، وأن تضعها في متناولهم. فالأهمّ من تأمين مسائل الحياة المادّيّة للناس هو في التوجّه إلى معنويّات الناس، قابليّات الناس، التكامل الفكريّ للناس، وتحوّل الإنسان البشريّ الأوّل إلى هيئة إنسان كامل، وتوفير المقدّمات لهذه الحركة الطويلة الأمد لكافّة أفراد المجتمع[٥٦].

---

(٥٥) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾؛ سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٥٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٧/١٠/١٣٦٣هـ.ش.

فما ذُكر هو بعض من أهمّ الأصول التأسيسيّة للسياسة في فكر المفكّر الحكيم والعالم الإسلاميّ الكبير، آية الله الخامنئي دام ظلّه، ولأجل اجتناب الإطالة، نمتنع عن ذكر سائر الأصول من قبيل الأهداف، والفلسفة الوجوديّة للسياسة والحكومة، وموقعيّة الناس في نظام الإسلام السياسيّ (السيادة الشعبيّة الدينيّة)، وغيرها من الموضوعات.

# قضايا الفلسفة السياسيّة في فكر الإمام الخامنئي(دام ظلّه)

الشيخ محسن مهاجرنيا

ترجمة الشيخ عليّ ظاهر

## مقدّمة

إنّ توسّع مسائل الفلسفة السياسيّة عند الإمام الخامنئي يجعل أيّ باحث يواجه مشكلةً في الاختيار. وكما يبدو، فإنّ إيراد جميع المسائل في مقالة واحدة أمر غير مقدور وغير مناسب؛ كما أنّ الاختيار بينها يحتاج إلى مِلاك لترجيح بعضها على الآخر.

سعى مُعدّ هذه المقالة إلى تركيز مسائل الفلسفة السياسيّة على ثلاثة محاور، ليتسنّى، من خلال هذا التصوّر، طرح المسائل الأساسيّة والركنيّة. وهذه المسائل عبارة عن:

١. مسألة الفرد والمجتمع.

٢. مسألة القوّة [القدرة] السياسيّة.

٣. مسألة الحكومة الإسلاميّة.

لكن بالنظر إلى وجود شيء من الغموض في مفهوم «فلسفة السياسيّة في الإسلام»، فقد اعتمد في ترتيب الدراسة أن تكون بداية البحث في هذه المقالة عن ماهيّة فلسفة الإسلام السياسيّة في رؤية الإمام الخامنئي، وإن بشكل مختصر.

## ماهيّة الفلسفة السياسيّة في الإسلام بنظر الإمام الخامنئي

هل هناك وجود لعلم أو رؤية علميّة مستقلّة تحت عنوان «فلسفة الإسلام السياسيّة» أو يمكن أن يوجد مثل ذلك؟ هناك أبحاث تُطرح في هذا المجال. فالبعض أنكر وجود هكذا علم وكذلك إمكانه[1]، والبعض الآخر أنكر وجوده فقط، وآخرون ميّزوا بين فلسفة الإسلام السياسيّة وبين الفلسفة الإسلاميّة السياسيّة، في حين أنهم أيّدوا الثانية ورفضوا الأولى. وفي المقابل، قال البعض بإمكان كلِيهما، وأصرّ على وجودهما. والدليل عند المنكرين هو أنّ الفلسفة السياسيّة تأمّلات عقليّة بشريّة، وهي مختلفة عن التأمّلات القطعيّة الوحيانيّة [نسبةً إلى الوحي] من قبيل التعاليم والمعارف الإسلاميّة. وحدود الفلسفة السياسيّة هي في الموضوعات التي لا يتعرّض لها الوحي. في الفلسفة السياسيّة، يبدأ العقل عمله من المقدّمات البديهيّة كأداة قويّة تجريديّة [انتزاعيّة] ويُرشد الذهن البشريّ إلى الوجهة والهدف، ويتمّ تقييم جميع الظواهر والوقائع السياسيّة بميزان العقل الإنسانيّ.

تقوم هذه المقالة على افتراض وجود فلسفة سياسيّة في الإسلام، وبالطبع، وظيفتها دراسة مسائل الفلسفة السياسيّة الإسلاميّة التي هي متأخّرة عن أصل العلم أو الرؤية، ومترتّبة [ومتوقّفة] على وجوده.

يرى الإمام الخامنئي إمكانيّة الجمع بين العقل والوحي في مقام التفكر، ويقول:

> تقوم السياسة الإسلاميّة على قاعدة ومبنى الفلسفة الإسلاميّة؛ ليست مبتورةً من الفلسفة المستلهمة من القرآن. وبشكل إجماليّ، سياستنا هي على قاعدة إيجاد علاقات منطقيّة

---

(١) يقول الإمام الخامنئي في منكري الفكر الفلسفيّ في الإسلام: «بالطبع هناك من يعتقد أنّ الإسلام لا يريد الفلسفة. ومثل هذا مثل الذي يقول أنّ الأسنان لا تحتاج إلى المينا [البلور]. فالبلور ليس أسنانًا بل هو أصل الأسنان؛ وهذا في الواقع شبيه ذلك. فالفلسفة هي الواقي، الواقي الاعتقادي»؛ كلام للإمام الخامنئي في لقاء هيئة أمناء المذاهب الإسلاميّة، بتاريخ ١٣٨٠/٦/٢١هـ.ش.

ومعقولة وبعيدة عن أيّ نوع من المنازعة في غير محلّها، وكذلك البعيدة عن الإذعان لأيّ هيمنة وإكراه في العلاقة بين الناس[٢].

ويقول في مكان آخر:

الحكمة والكلام كلاهما ضروريّان. وهما بمثابة الضامن للبناء الأساسيّ للنظام الفكريّ والنظام العمليّ، واليوم النظام السياسيّ. فلا يُتصوَرنّ أنّه نخرّج فقيهًا ذي درجة رفيعة ونذر الحكمة والكلام جانبًا! أبدًا، هذا خطأ كبير! نعم تتفاوت أذواق الأفراد في مسألة الحكمة الإلهيّة. فالبعض يقول بأسلوب عمل لفهم الفلسفة الإسلاميّة، والبعض الآخر يقول بطريقة أخرى. والكلام الإسلاميّ - كما يقول بعض أهل الرأي - في الحقبة المتوسّطة والأخيرة، هو في الحقيقة الفلسفة نفسها، التي لبست لبوس الكلام ولا إجحاف في هذا الكلام[٣].

الفلسفة السياسيّة (بالقيد الوصفيّ) أو فلسفة السياسة (بالقيد الإضافيّ) في التعريف القديم، وبتعبير بعض الفلاسفة السياسيّين[٤]، عبارة عن ذلك الشيء الذي هو موضوع مشترك لمجموعة الكتب المشهورة مثل جمهوريّة أفلاطون وسياسة أرسطو، وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي. وقد استُخدم هذا المصطلح، لأوّل مرّة في العالم الإسلاميّ، بواسطة الحكيم أبو نصر الفارابي في كتاب التنبيه على سبيل السعادة. فهو يقول إنّ المفهوم العامّ (الفلسفة المدنيّة) يشمل نوعَين من العلم، ويقول في تعريفه:

الفلسفة المدنيّة قسمان: القسم الأوّل ما يتعلّق بمعرفة الأفعال الحسنة والأخلاق الجميلة التي تصدر منها، والقدرة على أسبابها [ويسمّيها «الصناعة الخلقيّة»...،] والقسم الثاني هو العمل الشامل للمعرفة بالأمور الموجبة لتحصيل الأشياء الجميلة لسكان المدن والقدرة على اكتسابها والحفاظ عليها بهم [وسمّى هذا العلم «الفلسفة السياسيّة»][٥].

---

(٢) كلام للإمام الخامنئي في بداية درس البحث الخارج، بتاريخ ١٣٧٢/٦/٢١هـ.ش.

(٣) انتوني كوينتن، **الفلسفة السياسيّة**، ترجمة مرتضى أسعدي (طهران: نشر بهآور، ١٣٧٤هـ.ش.)، الصفحة ١١.

(٤) أبو نصر الفارابي، **التنبيه على سبيل السعادة** (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانيّة، ١٣٤٦هـ.ق.)، الصفحة ٢١.

(٥) يقول شتراوس أنّ هدف الفلسفة السياسيّة كشف الحقيقة السياسيّة بواسطة العلماء. يمكن تعريف

كما أنّ بعض المفكّرين المعاصرين أشاروا في تعريفهم إلى مضمون الفارابي نفسه وكتبوا:

لكلّ أعمال السياسيّة بذاتها جهة نحو المعرفة بماهيّة الخير؛ أي لجهة التعرّف على الحياة الجيّدة أو المجتمع الجيّد؛ لأنّ المجتمع الحسن هو نفسه السعادة السياسيّة التامّة. إذا أظهر هذه التوجّه نحو معرفة الخير وإذا جعل الناس هدفها الصحيح التعرّف على الحياة الحسنة والمجتمع الحسن تظهر الفلسفة السياسيّة وتتجلّى في مصطلح «الفلسفة السياسيّة»، فإنّ كلمة الفلسفة مبيّنة لمنهج [أسلوب] البحث عن المقولة السياسيّة؛ ذلك المنهج الذي هو واسع وله علقة واتّصال بمسألة التوجّه. وكلمة السياسيّة التي هي مبيّنة لموضوع البحث تُظهر أيضًا العمل الخاصّ لهذه الحرفة [...] الفلسفة السياسيّة هي فرع من الفلسفة التي هي أكثر اقترابًا من الحياة السياسيّة أي الحياة غير الفلسفيّة والحياة البشريّة[٦].

ففي الحقيقة،

ينبغي أن توصلنا الفلسفة إلى المعرفة الكاملة. ينبغي أن ننظر في المجتمع البشريّ لنرى ماذا يحصل في وادي المعرفة. ينبغي أن تطرح في المجالات المتعاقبة أعمال جديدة، أفكار جديدة، وأساليب ونماذج حديثة.

ينبغي أن يتّضح أيضًا، في عنوان «مسائل الفلسفة السياسيّة للإسلام في نظر الإمام الخامنئي»، المقصود من قيدَي «مسائل» و«الإسلام». عند دراسة أيّ علم يبحث عادةً حول زواياه الثماني [رؤوسه الثمانية][٧]، حيث تحظى مسائل أيّ علم بالحجم الأكبر من الأبحاث. إلّا أنّه في هذه المقالة، ونظرًا للاختصار المطلوب، سيتمّ التعرّض لكلّيّات المسائل

---

الفلسفة السياسيّة في القواعد الفكريّة بالنمط التجريديّ الذي ينصبّ على الأبحاث من قبيل غايات الحكومات ووسائلها، والعدالة، والسلطة، وعلاقة الفرد والحكومة. الفلسفة السياسيّة هي على عكس الفكر السياسيّ لا تهدف إلى إحلال المعرفة مكان الظنّ، لا تُحدّ في مكان وزمان. وإنّ عمل المفكّرين هو في الأساس عمل مهنيّ. في المقابل، من الممكن أن يكون الفكر السياسيّ تكهّنيّ تخمينيّ أو عمل أفراد غير مختصّين (كالشعراء) وهو ملازم على الدوام للحياة الاجتماعيّة خاصّةً.

(٦) ليو شتراوس، **ما هي الفلسفة السياسيّة ؟**، ترجمة رجائي (طهران: نشر علمي وفرهنكي، ١٣٧٣هـ.ش.)، الصفحات ٦ إلى ١٥؛ أنوار ولايت (أنوار الولاية)، الصفحة ٦.

(٧) في المصطلح التقليديّ، يُطلَق على هذه الأمور الثمانيّة تسمية «الرؤوس الثمانية» في أيّ علم.

أو لبعضٍ من المسائل الأساسيّة للفلسفة السياسيّة من وجهة نظر الإمام الخامنئي. في مسألة قيد «الإسلام»، يرى كاتب المقالة أنّ هناك خمسة معاني من مجموع الاستخدامات الرائجة لهذا القيد، حيث لاحظها واقتفى أثرها في فكره السياسيّ:

١. الفلسفة السياسيّة للإسلام بمعنى الفلسفة السياسيّة للمسلمين. وكلّ مفكّر إسلاميّ يمكنه، بالنظر إلى فهمه للإسلام، أن يتّخذ فلسفةً سياسيّةً كما كان للفارابي والخواجة والملّا صدرا والإمام الخميني فلسفة سياسيّة إسلاميّة؛ فكذلك للإمام الخامنئي أيضًا فلسفة سياسيّة إسلاميّة.

٢. استخدمت الفلسفة السياسيّة للإسلام بمعناها العامّ، وتعاملوا معها تسامحًا على أنّها تساوي الفكر السياسيّ للإسلام، وهي بيان لأيّ نوع من الفكر والنظر بأسلوب منهجيّ في باب السياسة. وفي هذا المعنى، أدخل الاتّجاه الكلاميّ والفقهيّ السياسيّ أيضًا في إطلاق الفلسفة السياسيّة.

يعبّر الإسلام عن الحكومة بكلمة «الولاية»، ويعبّر عن الشخص الذي يكون على رأس الحكومة بكلمات الوالي، والمولى، وهي كلّها مشتقّة من كلمة الولاية. فما معنى هذا؟ يعني هذا في النظام السياسيّ للإسلام أنّ الشخص الذي يتصدّى لزمام الأمور تربطه مع الناس الذين بيده زمام حكمهم، صِلات وثيقة لا تفصم عراها. وهذا ما يعكس لنا «الفلسفة السياسيّة للإسلام» في قضيّة الحكومة. وكلّ حكومة لا تقوم على هذه الصورة فما هي بالولاية ولا هي بالحكومة التي يصبو إليها الإسلام، فإذا افترضنا على رأس الحكومة أشخاصًا لا يرتبطون بأيّة صلات مع الشعب، فلا ولاية هنا، أو إذا كانت العلاقة مبنيّةً على الخوف والإرهاب – أي خاليةً من المودّة والمحبّة – فما هي من الولاية في شيء[٨].

٣. المقصود من الفلسفة السياسيّة للإسلام مجموعة الأفكار والرؤى العقلانيّة في باب الحياة السياسيّة، تلك التي تجري في ساحة الحضارة

(٨) كلام للإمام الخامنئي في لقاء المسؤولين والعاملين في النظام بمناسبة عيد الغدير الأغر، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش.

الإسلاميّة؛ سواء قلنا بأنّ لها منشأً وطنيًّا وإسلاميًّا أم أنّها اقتُبِست من اليونان وغيره. على كلّ حال، فقد بحث مفكرو المسلمين فيها، وجعلها بعضهم إلى جانب سائر المعارف الإسلاميّة أو في خدمة الدين.

٤. إضافة قيد الإسلام على الفلسفة السياسيّة بدليل ابتنائها على الفرضيّات الإسلاميّة. فالتفكير العقليّ والفلسفيّ، المنطلق من مباني وقواعد التوحيد والمعتقدات الإسلاميّة، جعل الفلسفة السياسيّة متّصفةً بقيد الإسلام، كما يقول سماحة الإمام القائد الخامنئي:

> كذلك في آية ﴿لَهُ المُلْكُ﴾ مبنى الفلسفة السياسيّة والنظام السياسيّ والاجتماعيّ الإسلاميّ موجود أيضًا. النظام السياسيّ الإسلاميّ هو نظام الحكومة الإلهيّة، الحاكميّة الإلهيّة. الحاكميّة الإلهيّة بمعنى تماميّتها من كلّ الجهات. الحاكميّة الإلهيّة تعني أنّ القانون من الله وأنّ منفّذ القانون منصّب من الله أيضًا(٩).

٥. تشير الفلسفة السياسيّة للإسلام إلى ذلك النوع من التعاليم السياسيّة العقليّة في الإسلام كمذهب له اهتمام بالحياة السياسيّة للإنسان.

> هذا الفكر الإسلامي الجديد ناظر إلى ذلك، وهو يطرح الإسلام كمذهب ودين شامل لنظام فكريّ يحلّ العقد الذهنيّة لشعوب العالم ويجيب عن أسئلتهم. كذلك يجيب عن الحاجات الفكريّة المتغيّرة والمستحدثة للناس في هذا العصر. ويقدّم أيضًا نظامًا اجتماعيًّا، نظامًا للحياة. وبالقول الرائج إنّ الإسلام، كدين للحياة، لديه فلسفة لإدارة حياة الإنسان(١٠).

تبتني هذه المقالة بالقدر المتيقّن على معاني الأقسام الأوّل والثالث والرابع؛ أي ما تمّ بيانه بعنوان فلسفة سياسيّة بواسطة فلاسفة المسلمين على قواعد [مباني] الفرضيّات الإسلاميّة المسبقة(١١). ولذلك سنسعى إلى الابتعاد عن استخدام المعنى العامّ للفلسفة السياسيّة.

---

(٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٩٨٢/٨/٥هـ.ش.

(١٠) كلام للإمام الخامنئي في برنامج تلفزيونيّ حول سيرة وحياة الشهيد مطهّري، بتاريخ ١٣٦٧/٢/١٢هـ.ش.

(١١) نبحث في هذا المقال المعنى العامّ للفلسفة السياسيّة، ولن نتعرّض للمسائل السياسيّة العقليّة في الإسلام، تاركين بحثها إلى مجال آخر.

## ١. مسألة الفرد والمجتمع

مسألة الفرد والمجتمع من المسائل المهمّة للفلسفة السياسيّة للإسلام في الفكر السياسيّ للإمام الخامنئي، بحيث يعتبر أنّ صناعة الإنسان والمجتمع هما من أعظم الأهداف الإسلاميّة[١٢]. ويقسّم المجتمع - انطلاقًا من مبانيه القيّمة [المعتبرة] - إلى قسمَين: مجتمع إسلاميّ (توحيديّ، معنويّ، قيميّ)، ومجتمع جاهليّ. ويقول إنّ أحد أهداف رسالات الأنبياء عليهم السلام تنقية المجتمع وتطهيره:

لقد جاء الأنبياء ليبنوا الدنيا بنحو جديد وليقتلعوا الفوضى، وليُحدثوا نهضةً في محيط العصر والزمان الجاهليّ [...] لتبني المجتمع على أساس التوحيد والعدل الاجتماعيّ وتكريم الإنسان وضمان الحرّيّة والحقوق والقانون بين مختلف الجماعات والأفراد ورفض الاستئثار والاحتكار والاستبداد؛ وإتاحة الفرص للاستعدادات، والتحفيز على العلم والتعلّم، وفي الخلاصة قيام المجتمع الذي هو مهد تربية الإنسان ورقيّه من كلّ النواحي وفي كلّ أبعاده الأساسيّة، وأن يعبر به في مسير تكامل حياته من نقطة تحوّل ونقطة استثنائيّة بالغة الأهمّيّة. هذه الوظيفة هي التي أرسل أنبياء الله للقيام بها[١٣].

كلّ واحد من الناس والأفراد الذين يعيشون في المجتمع والنظام التوحيديّ، لنمط تفكيرهم، سلوكهم مع إخوانهم، سلوكهم مع جميع الناس، سلوكهم الشخصيّ مع أنفسهم، له حالة مختلفة ومنفصلة عن حالة الناس الذين يعيشون في الأنظمة المادّيّة؛ فأولئك يعيشون مع الله، ويطلبون من الله، ويحبّون الله ويعشقونه، ويخافونه، ويلجأون إليه، يعتبرون أنفسهم عبيدًا لله، يعطفون على عباد الله ويشعرونهم بالمحبّة، ولا يظلمون عباد الله، ولا يحسدونهم، ولا يطمعون بهم، وكلّ الخلقيّات الفاضلة المذكورة في كتب الأخلاق ناشئة من الإيمان بالله وإنّ ركن وأساس الأخلاق الإسلاميّة الإيمان بالله. وكما تلاحظون فإنّ الاعتقاد بالله وبالتوحيد هو أساس البناء الاجتماعيّ للمجتمع الإسلاميّ، ولا بدّ وأن تعتمد كافّة المسائل الاجتماعيّة على هذا الأصل[١٤].

لقد جاء جميع الأنبياء ليقيموا مجتمعًا على أساس القيم الإلهيّة. أي ليؤثّروا في واقع حياة الناس. فبعضهم استطاع ووصلت مواجهته إلى نتيجة، وبعضهم لم يتمكن و لم يصل إلى

---

(١٢) كلام للإمام الخامنئي في لقاء المسؤولين والعاملين في النظام بمناسبة يوم المبعث الشريف، بتاريخ ١٣٨٣/٧/٢هـ.ش.

(١٣) القائد الصادق، الصفحتان ١٥ و١٦.

(١٤) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٢/٦/٢١هـ.ش.

الهدف. إلّا أنّ هذه الجهة في حياة النبيّ (ص) هي جهة أساسيّة، فهو مظهر قدرة الله في الأرض وبين الناس ومظهر الحاكميّة الإلهيّة والولاية الإلهيّة بين الناس[١٥].

ويقول الإمام الخامنئي حول حقيقة وجود الفرد الإنسانيّ:

وقد بُعث الأنبياء لأجل هذه الحقيقة، وكان وجودهم بين الناس ليبيّنوا لهم أنّ هذه الاختلافات ظاهريّة وسطحيّة، وإنّ كلّ ما لديكم من إرادة، ولسان، وثروة، وقدرة، ومنصب، ووعي سياسيّ وفنّ، وعلم، وصناعة، وقوّة سواعد من الممكن وضعها في خدمة هدف عالم الوجود، كالإنسان الذي يسبح مع تيّار الماء لا العكس، ولا يبقى أيّ أثر للصراع والتباغض والحسد والأحقاد في صدره.

هذه هي الحياة التي أوصانا بها الأنبياء، على العكس ممّا في حياة الشياطين وأشباه الشياطين، التي يسودها التنازع، والتناحر، والسباحة ضدّ تيّار عالم الوجود وفي الاتّجاه المعاكس لهدف الخلقة[١٦].

فبناء المجتمع في الفلسفة السياسيّة للإسلام يقوم على الأصول الدينيّة الأصيلة التي أسّسها؛ كما جاء في القرآن الكريم مفردات «القرية»، و«المدينة»، و«مديَن»، و«مصر»، حيث استعملت عند الحديث عن الأنبياء أولي العزم. وإلى ما قبل النبيّ نوح عليه السلام كانت الحياة حياة ارتحال وهجرة، وتعتمد المعيشة على مورد الحيوانات. لكن مع مجيء النبيّ نوح عليه السلام، ومع رواج الزراعة، انعقدت أوّل نطفة للمجتمع[١٧]:

ما يريده الأنبياء إيجاد المجتمع الإلهيّ، مجتمع يروج فيه القلب الإنسانيّ، العواطف والمشاعر الصحيحة والطاهرة، المجتمع الذي لا يظلم فيه أحدٌ أحدًا ولا مجتمعٌ مجتمعًا. فالمجتمع الذي لا يُبتلى أهله بالغفلة، ولا يغرقون بالمادّيّات والأنانيّة وحبّ الذات، ويكون العمل لله وبهدف الوصول إلى محضر لقائه. فهذا هو الإنسان الكامل، وهذا هو المجتمع الكامل. نعم لقد جاء الأنبياء سلام الله عليهم ليصنعوا هكذا مجتمع. ففي الوقت الذي يفكّر أهل هذا المجتمع بشكل صحيح، ويعملوا فيه بشكل صحيح، ويكون

---

(١٥) كلام للإمام الخامنئي في جمع من العاملين بمناسبة عيد الغدير الأغرّ.

(١٦) كلام للإمام الخامنئي في حشود من عامّة الناس، بتاريخ ١٨/٧/١٣٧٥هـ.ش.

(١٧) محسن عبد اللهي آرن (مهاجري نيا)، «أصول الفكر السياسيّ في القرآن»، قبسات، العدد ٢٠-٢١.

لديهم العطف والمروءة والعزم، ويحملون هم الشعور بالمسؤوليّة أمام حضرة الحقّ المتعال، ويشعرون بالمعنويّات، ولا يغرقون في المادّيات، لا يريدون أيّ شيء لهم[١٨].

ولذلك، ففي هذه الفلسفة، «يكون الاعتقاد بالله وبالتوحيد أساس البناء الاجتماعيّ للمجتمع الإسلاميّ، وأن تستفيد كلّ القضايا الاجتماعيّة من هذا الأصل الأساسيّ»[١٩]. ويُدار المجتمع على أساس الإسلام[٢٠]. في البداية سنتعرّض إلى رؤية الإمام الخامنئي حول المجتمع الإسلاميّ، وفي النهاية رؤيته حول المجتمع الجاهليّ. يقول معرّفًا المجتمع الإسلاميّ:

المجتمع الإسلاميّ هو تلك الجماعة التي ترجع في حاكميّتها إلى الله، فهو مصدر تشريعها وواضع قوانينها؛ فقوانين هذه الجماعة قوانين إلهيّة وحدود الله هي الجارية، والذي يعيّن القائد أو يعزله هو الله. فإذا تصوّرنا المجتمع على شكل هرم، كما هي عادة وتصوّر بعض علماء الاجتماع، فإنّ الله سبحانه هو قمّة الهرم، والجماعة المسلمة هي قاعدته، والذي يوجد الجماعات والتشكيلات هو دين الله، والقرار الربّانيّ الإلهيّ هو الذي يحدّد قوانين الصلح والسلام أو الحرب والقتال. كما أنّ دين الله هو الذي يعيّن الروابط الاجتماعيّة والاقتصاديّة، وهو الذي يشكّل الحكومة ويحدّد الحقوق، وكلّ شيء يمرّ من خلال دين الله وشريعته ورسالته، ودين الله هو الذي يجريه، ودين الله وراء هذا القانون. هذا هو المجتمع الإسلاميّ[٢١].

ويقول في مكان آخر: «المجتمع الإسلاميّ هو ذلك المجتمع الذي يتعلّم الناس فيه ويفكرون بناءً لتعاليم أنبياء الله، ويكون لديهم قوّة العزم واتّخاذ القرار، هم يختارون ويريدون، ويعرفون عدوّهم ويواجهونه»[٢٢].

---

(١٨) كلام للإمام الخامنئي في حشود من أهل مشهد وزوّار الحرم المطهّر للمولى ثامن الحجج الإمام عليّ الرضا عليه السلام، بتاريخ ١٣٧١/١/٥هـ.ش.

(١٩) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٢/٦/٢١هـ.ش.

(٢٠) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مع أساتذة وطلّاب المدرسة الفيضيّة في قم، بتاريخ ١٣٦٦/٩/١١هـ.ش.

(٢١) أنوار ولايت (أنوار الولاية)، مصدر سابق، الصفحة ١١.

(٢٢) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦١/٩/١٢هـ.ش.

«المجتمع الإسلاميّ ذلك المجتمع الذي لا يصدر منه أيّ ظاهرة للتمييز العرقيّ والظلم واللا مساواة، ولا خبر فيه عن الفقر والحرمان»[٢٣].

ويقول في تعريف المجتمع الدينيّ أيضًا:

المجتمع، أي المجتمع المعنويّ، أي المهتمّ بالأصول والمعارف الدينيّة والمتّكئ على الأهداف الإلهيّة، وهدف الآخرة الذي يحصل من خلال العمل في هذه الدنيا (هذه خصوصيّة وميزة الدين والمجتمع الدينيّ، هذا هو)؛ عدم الاستغراق وعدم التقييد بحدود الظواهر المادّيّة[٢٤].

ويقول في تعريف المجتمع التوحيديّ:

ذلك المجتمع الذي يظهر فيه النبيّ صلّى الله عليه ويريد تبديله وتغيير نظمه إلى نظم أفضل ونظام أحسن. وهذا النظم الجاهليّ - اصطلاحًا - حيث نطلقه بتعبير المتشرّعة والإسلام على نظام ما قبل النبيّ، ونقول عن نظم النبيّ أنّه نظم توحيديّ[٢٥].

## مجتمع القيم الإسلاميّ

يقول الإمام الخامنئي:

سيبني إمام الزمان مجتمعه على عدّة ركائز: أوّلها؛ قطع واستئصال جذور الظلم والطغيان، أي إنّه لا ظلم ولا جور في المجتمع الذي سيقوم في عصر إمام الزمان عجّل الله فرجه [...] ولا ظلم في الاقتصاد ولا في السياسة أو الثقافة. الثاني؛ ميزة المجتمع الفكريّة، أي رفع مستوى فكر الإنسان، الفكر العمليّ وكذلك الفكر الإسلاميّ. بمعنى أنّه في عصر إمام الزمان لن ترى أيّ أثر من الجهل والفقر الفكريّ والثقافيّ في العالم. الخصوصيّة الثالثة التي يتميّز بها المجتمع المهدويّ هي أنّه في ذلك اليوم تُستخرَج كلّ الطاقات الطبيعيّة وكل الإمكانات البشريّة، ولا يبقى شيء في باطن الأرض لا تستفيد منه البشريّة. الخصوصيّة الأخرى: هي أنّ المحور أو الركن في عصر إمام الزمان هو الفضيلة والأخلاق. فكلّ من تمتّع بالفضائل الأخلاقيّة أكثر هو المقدّم والأكثر سبقًا[٢٦].

---

(٢٣) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٧/٤/٣١هـ.ش.
(٢٤) كلام للإمام الخامنئي في لقاء أعضاء لجنة إحياء ذكرى رحيل الإمام الخميني، بتاريخ ١٣٨٠/٣/١٢هـ.ش.
(٢٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٣/٢/٣١هـ.ش.
(٢٦) كتاب ديدكاهها (الأفكار) [الرؤى]، الصفحات ٢١٢ إلى ٢١٤.

«في مجتمع القيم الإسلاميّ [...] تصلِ الدنيا إلى كمال نسبيّ [...] نعتبر المجتمع المهدويّ مجتمعًا إنسانيًا عادلًا مئةً بالمئة»[٢٧].

## خصائص المجتمع الإسلاميّ في رؤية الإمام الخامنئي

«ينبغي أن يكون هناك تحوّل وصيرورة دائمة في المجتمع الإسلاميّ، حتّى لا ينقلب الأفراد من خلال هذه الحقنات الأجنبيّة او الترسّبات القديمة»[٢٨].

يريد الإسلام للمجتمع الإسلاميّ القوّة والصلابة والاقتدار المادّيّ والمعنويّ، والحرّيّة الحقيقيّة من قيود جميع الرهانات والأغلال التي قيّدت البشر وأنزلت عليهم البلاء؛ فهذا هو الشيء المطلوب للمجتمع الإسلاميّ ينجي العالم ويهبه الحياة[٢٩].

إنّ المجتمع الذي يمكن تصويره هدفًا لشعب حيّ واعٍ ومستيقظ هو ذاك الذي يذخر بالمعنويّات والعدالة والعزّ والاقتدار والثروة والرفاهيّة، وإذا ما أردنا لمجموعة المفاهيم هذه أن تأتلف مع بعضها فذلك ممّا يتعذّر دون المعنويّات ودون المبادئ المعنويّة ودون الأخلاق ودون التوجّه نحو الله ودون الجهاد في سبيله[٣٠].

«حرّيّة الفكر موجودة في المجتمع الإسلاميّ»[٣١].

«الرؤية التوحيديّة هي أساس البناء الاجتماعيّ للمجتمع الإسلاميّ»[٣٢].

«المجتمع الإسلاميّ مجتمع [محوريّ الإمامة أو] محوره الإمامة»[٣٣].

---

(٢٧) دروس من نهج البلاغة، الصفحة ٤٨.

(٢٨) كلام للإمام الخامنئي في لقاء أعضاء الشورى المركزيّة لمؤسّسة إمداد الإمام الخميني والمسؤولين عنها.

(٢٩) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٥/٢/٢٦هـ.ش.

(٣٠) كلام للإمام الخامنئي في لقاء جمع من حرس الثورة بمناسبة يوم الحرس، بتاريخ ١٣٨١/٧/١٧هـ.ش.

(٣١) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٥٩/١١/١٠هـ.ش.؛ وبتاريخ ١٣٦٠/٤/٥هـ.ش.؛ وكلام له في لقاء مع كتّاب المنشورات الطلّابيّة، بتاريخ ١٣٧٧/١٢/٤هـ.ش.

(٣٢) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٦٢/٦/٢١هـ.ش. وكلام له في صحن الإمام الرضا عليه السلام، بتاريخ ١٣٦١/١/٣هـ.ش.

(٣٣) كلام للإمام الخامنئي في جمع من قادة فيلق «٢٧ - محمّد رسول الله (ص)»، بتاريخ

«المجتمع الإسلاميّ مجتمع يقوم على الإرشاد والتوجيه [إرشاديّ المحور]»[٣٤].

«المجتمع الإسلاميّ مجتمع يقوم على العدالة»[٣٥].

«المجتمع الدينيّ مجتمع ثقافيّ»[٣٦].

«المعنويّات هي حاكمة على المجتمع الإسلاميّ»[٣٧].

«الأخلاق ركن المجتمع الإسلاميّ»[٣٨].

«للمجتمع الإسلاميّ مكانة رفيعة»[٣٩].

«دور الناس في المجتمع الإسلاميّ دور أساس»[٤٠].

«المجتمع الإسلاميّ يضمن بالتمام والكمال احترام الإنسان»[٤١].

---

٢٠/٣/١٣٧٥هـ.ش.؛ وكلام له في خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٠/١٠/١٣٦١هـ.ش.
ويقول: «إذا أردنا أن نكون موحّدين ينبغي أن نعيش في مجتمع يطبّق أحكام الله وأن يكون على رأس ذلك المجتمع شخص فقيه ورع عادل عامل فطن عارف بالله»، كلام له في جمع من علماء الشيعة والسنة في إيرانشهر، بتاريخ ٩/٢/١٣٦٥هـ.ش.

(٣٤) كلام للإمام الخامنئي في مركز التوحيد حول مسألة النبوّة، بتاريخ ١٠/٨/١٣٦٥هـ.ش.

(٣٥) جلسة أسئلة وأجوبة في جامعة طهران، بتاريخ ١٣/٩/١٣٦٤هـ.ش.؛ وكلام له في لقاء أعضاء الحكومة، بتاريخ ٣/٦/١٣٧٢هـ.ش.؛ وخطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ٣١/٤/١٣٦٧هـ.ش.؛ وبتاريخ ٧/١/١٣٦٠هـ.ش.؛ وكلام له في لقاء المسؤولين والعاملين في النظام، بتاريخ ٩/١١/١٣٦٨هـ.ش.؛ وكلام له في لقاء طلّاب الجامعات، بتاريخ ٧/٩/١٣٨١هـ.ش.

(٣٦) كلام للإمام الخامنئي في مراسم لقاء وزير الثقافة والإرشاد الإسلاميّ، بتاريخ ٤/٩/١٣٧١هـ.ش.

(٣٧) كلام للإمام الخامنئي في لقاء حشد من مسؤولي وعناصر الحرس بمناسبة يوم الحرس، بتاريخ ١٧/٧/١٣٨١هـ.ش.؛ وكلام له في خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ٢١/٦/١٣٦٢هـ.ش.

(٣٨) كلام للإمام الخامنئي في خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ٩/٩/١٣٦٣هـ.ش.

(٣٩) رسالة الإمام الخامنئي إلى حجّاج بيت الله الحرام، بتاريخ ٢٦/٣/١٣٧٠هـ.ش.

(٤٠) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ٢٧/٣/١٣٦٢هـ.ش.؛ وخطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٤/٥/١٣٦٢هـ.ش.

(٤١) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٠/١٠/١٣٦١هـ.ش.

«يشاهد التكامل بوضوح في المجتمع الإسلاميّ»[٤٢].

«كون الاقتصاد أداةً، أصل في المجتمع الإسلاميّ»[٤٣].

«المنحى التخصّصيّ محلّ اهتمام في المجتمع الإسلاميّ»[٤٤].

«النزعة القانونيّة أو التوجّه القانونيّ التشريعيّ أصل في المجتمع الإسلاميّ»[٤٥].

«السلوك الواعي في إدارة المجتمع الإسلاميّ من شروط الحكّام والمسؤولين»[٤٦].

«لا تناقض في المجتمع الإسلاميّ»[٤٧].

## المجتمع الجاهليّ

يضع الإمام الخامنئي المجتمع الجاهليّ المرفوض مقابل المجتمع الإسلاميّ المراد والمنشود. ويقول في تعريفه ضمن المعايير الدينيّة:

> المجتمع الذي يُبنى على الشرك تختلف طبقات الناس فيه وهم أجانب عن بعضهم البعض. عندما يطرح وصل الناس بمبدإ الوجود والقوّة القاهرة والمهيمنة على العالم في المجتمعات الملوّثة بالشرك، فمن الطبيعيّ أن تتفرّق أو تنفصل الناس عن بعضها البعض في هذا المجتمع، فواحد يتبع إلهًا، وآخر إلهًا ثان، وآخر ثالث، وهكذا. فالمجتمع الذي يُبنى على الشرك فيه جدار يفصل بين الناس جدار غير قابل للخرق والنفوذ منه وهوّة لا يمكن ردمها[٤٨].

---

(٤٢) مقابلة تلفزيونيّة في برنامج الرياضة والناس، بتاريخ ١٣٦٠/١٢/٦؛ وخطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٦هـ.ش.

(٤٣) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٦/٨/١٥هـ.ش.

(٤٤) رسالة الثورة لجيل الشباب، الصفحة ٢٥.

(٤٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٢/٩/٢٥هـ.ش.

(٤٦) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٢/٨/٦هـ.ش.

(٤٧) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مع حشد من عموم الشعب، بتاريخ ١٣٧٥/٧/١٨هـ.ش.

(٤٨) كلام للإمام الخامنئي في حشد غفير من طلّاب الجامعات والحوزات العلميّة، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٢٩هـ.ش.

## خصائص المجتمع الجاهليّ

١. تكون الشعائر والعلاقات الاجتماعيّة بيد الطاغوت(٤٩).

٢. تعمّ الغفلة ونسيان الذات في المجتمعات الجاهليّة(٥٠).

٣. الابتعاد عن الإنسانيّة والمعنويّات والأخلاق والفضائل(٥١).

٤. ضعف المعرفة والوعي الإنسانيّ(٥٢).

٥. صيرورة المجتمع الجاهليّ مجتمعًا طبقيًّا(٥٣).

## آفّات المجتمع الإسلاميّ

يعتبر الإمام الخامنئي أنّ جذور فساد وانحراف وزوال المجتمع - بالإضافة إلى النزوع إلى مختصّات المجتمع الجاهليّ - أمور نشير إلى موارد منها:

١. خروج المجتمع عن السنن الإلهيّة(٥٤).

٢. صيرورة المجتمع متلقّيًا استهلاكيًّا(٥٥).

٣. الميل إلى [النزوع نحو] الفراغ الأخلاقيّ(٥٦).

٤. الظلم والرضوخ للظلم(٥٧).

---

(٤٩) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٠/١٠/١٣٦١هـ.ش.

(٥٠) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٢/٩/١٣٦١هـ.ش.

(٥١) كلام للإمام الخامنئي في لقاء طلّاب وأساتذة حوزة آية الله مجتهدي، بتاريخ ٢٢/٣/١٣٨٣هـ.ش.

(٥٢) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١١/٨/١٣٦٣هـ.ش.

(٥٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١١/١٢/١٣٦٢هـ.ش.

(٥٤) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ٢٥/٩/١٣٦٧هـ.ش.

(٥٥) مقابلة مع مجلّة شاهد - السيّدات، بتاريخ ١٣/٩/١٣٦٧هـ.ش.

(٥٦) المصدر نفسه.

(٥٧) كلام للإمام الخامنئي في لقاء حشد من المعلّمين والمربّين في أنحاء البلاد بمناسبة يوم المعلّم، بتاريخ

٥. الغرور والاستبداد الفرديّ في المجتمع[٥٨].

٦. ترويج الفساد والانحلال الأخلاقيّ[٥٩].

٧. التمييز وعدم الإنصاف[٦٠].

٨. الغفلة وانعدام التقوى والغرق في بالوعة الشهوات[٦١].

٩. نسيان الذات في المجتمع[٦٢].

١٠. الابتعاد عن الدين والروحانيّة[٦٣].

١١. الفسوق والفساد عوامل زوال المجتمع[٦٤].

## ٢. مسألة القدرة السياسيّة

مفهوم القدرة من المفاهيم السيّالة والتجريديّة، ومن مسائل الفلسفة السياسيّة المهمّة. والقدرة، برأي الإمام الخامنئي، ظاهرة ذات أبعاد، وشموليّة، وقابليّة انطباق على مصاديق مختلفة. يقول في تعريفه لها:

> القدرة هي مجموعة استعدادات وكفاءات مختلفة، عندما تجتمع في موجود ما، وفي شعب، وفي إنسان، يظهر بشكل موجود مقتدر. فعندما تجتمع هذه القابليّات والكفاءات الثقافيّة، الفنيّة والأخلاقيّة والماليّة والعسكريّة، في شعب ما يصبح هذا الشعب مقتدرًا وقويًّا[٦٥].

---

١٣٦٥/١١/٢هـ.ش.

(٥٨) كلام للإمام الخامنئي في جامعة الإمام الحسين (ع)، بتاريخ ١٣٧٧/٢/٢٤هـ.ش.

(٥٩) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٧/٩/٢٥هـ.ش.

(٦٠) المصدر نفسه.

(٦١) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٩/١/١٠هـ.ش.

(٦٢) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦١/٩/١٢هـ.ش.

(٦٣) كلام للإمام الخامنئي في لقاء حشد كبير من فضلاء وأساتذة الحوزة العلميّة، بتاريخ ١٣٧٩/٧/١٤هـ.ش.

(٦٤) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٧/١١/٢٨هـ.ش.

(٦٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٣/٧/٤هـ.ش.

ويعتبر الإمام الخامنئي أنّ هناك اختلافًا بين القدرة والاقتدار والأبّهة والنفوذ [السيطرة]. ويعتبر القدرة - وخلافًا للمفاهيم الثلاثة الأخرى - عبارةً عن ظاهرة [حالة] يمكن أن توجد بواسطة الوسائل ذات المنشإ المادّيّ. فالإنسان في الساحة السياسيّة أو الساحة الاجتماعيّة يصبح مقتدرًا ذا سلطة، بسبب الأسباب المادّيّة التي بين يدَيه؛ وقدراته تتّكئ على المادّة(٦٦). ولذلك، ما لم تتوفّر للعالم الصناعيّ اليوم [الدول الصناعيّة] القوّة الاقتصاديّة، فلن يحوزوا على السلطة السياسيّة أيضًا. وإذا لم يكن لديهم المال، والنفط، والمصانع، سيكون وضعهم كالأسد الذي لا لبدة له، ولا ذنَب ولا بطن. سيفقدون سيطرتهم وتسلّطهم(٦٧). يطلقون على الحاكم في اللغة العربيّة بعض التعبيرات من قبيل السلطان والملك. فكلمة السلطان تستبطن مفهوم السلطة في الحاكم، أي يكون بُعد النزعة السلطويّة ملحوظًا فيه. فالآخرون لا يمكنهم التدخّل في عقول الناس وأمورهم لكنّه هو يستطيع. الملك، والملوكيّة، والمالكيّة، تتضمّن مفهوم تملّك الناس أو [التسلّط] على مصيرهم(٦٨).

## أنواع القدرة

يذكر الإمام الخامنئي أشكالًا مختلفةً للقدرة، منها القدرة المعنويّة(٦٩)، والقوّة السياسيّة(٧٠)، والقوّة الدبلوماسيّة(٧١)، والقوّة الاقتصاديّة،

---

(٦٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦١/٧/٢٣هـ.ش.

(٦٧) خطبة صلاة الجمعة، طهران، بتاريخ ١٣٦٢/١٢/١٢هـ.ش.

(٦٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٠/٢/٣١هـ.ش.

(٦٩) عبّر أحيانًا عن هذه القوّة المعنويّة بالقوّة الغيبيّة، يقول: منذ بداية الثورة كان هناك يد أو قوّة قادت هذا الشعب وهذه الثورة وأرشدتها، واليوم أيضًا نشعر أنّ يد القدرة الإلهيّة الغيبيّة في الحقيقة والواقع تعطي الناس الإرادة والقوّة وروحيّة الحضور في الساحات، وتطمئن قلوبها بالنسبة لأهداف الثورة.

(٧٠) كلام للإمام الخامنئي في افتتاح القمّة الثامنة لرؤساء منظّمة المؤتمر الإسلاميّ، بتاريخ ١٩٧٦/٩/١٨.

(٧١) كلام للإمام الخامنئي في حشد من لواء النجف الأشرف، بتاريخ ١٣٦٧/٥/٢٤هـ.ش.

والقدرة الإنسانيّة، والقدرة الشعبيّة، والقدرة العسكريّة[٧٢]، والمقدرة الثقافيّة[٧٣]. يقول في ما يخصّ قدرات نظام الجمهوريّة الإسلاميّة: «نحن في المنطقة اليوم قوّة عظيمة، قوّة معنويّة وقوّة إنسانيّة، وقوّة اقتصاديّة»[٧٤]. ويقول في تعريف القدرة الوطنيّة: «ما هي القدرة الوطنيّة؟ القدرة الوطنيّة هي أنّ الناس في هذا البلد وبين هذه الأمّة لديها إرادة الصمود والتحرّك نحو أهدافها العليا؛ ولا تخاف من الصعاب والمخاطر»[٧٥]. بالإضافة إلى اصطلاح «القدرة»، استُفيد في فكر الإمام الخامنئي من مفاهيم أخرى مسانخة لها، مثل «الاقتدار»[٧٦]، و«النفوذ/الهيمنة»[٧٧]، و«الأبّهة»[٧٨] أو العجرفة. وعليه، بما أنّه ليس للقدرة قيمة ذاتيّة في نفسها، ينبغي التعامل معها والنظر إليها كأداة، وتقييمها مرتبط ومرهون بـ«الهدف» والغاية منها. «القدرة أو القوّة هي وسيلة بذاتها؛ فلا يصحّ القول إنّها سيّئة أو جيّدة في ذاتها؛ لكنّ الأمر مرتبط باختيار من ستكون ولأيّ هدف تُستعمَل؟»[٧٩].

---

(٧٢) المصدر نفسه.

(٧٣) يقول حول القدرة الثقافيّة في إيران:

اليوم ببركة الجمهوريّة الإسلاميّة، وببركة القدرة الثقافيّة التي لدينا، فإنّ مدى عملنا الثقافيّ هو بمستوى أنّه من كان من أهل البحث والتحقيق وأهل العمل لديه الإمكانيّة لأن يستفيد من كلّ الثقافة المكتوبة المدوّنة في عالم اليوم بالاستفادة من الوسائل الحديثة والإمكانات الإلكترونيّة والرقميّة.

كلام للإمام الخامنئي في لقاء حشود من طلّاب وعلماء المدرسة العالميّة الطالبيّة في تبريز، بتاريخ ١٣٦٦/٤/٢٨هـ.ش.

(٧٤) خطبة صلاة الجمعة، بتاريخ ١٣٥٩/١/٢هـ.ش.

(٧٥) كلام للإمام الخامنئي في لقاء عوائل الشهداء في مسجد الإمام الحسين في بيرجند، بتاريخ ١٣٧٨/٦/٦هـ.ش.

(٧٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦١/٧/٢٣هـ.ش.

(٧٧) المصدر نفسه.

(٧٨) المصدر نفسه.

(٧٩) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مجلس خبراء القيادة، بتاريخ ١٣٨١/٦/١٩هـ.ش.

يقول السيّد القائد في مكان آخر:

إنّ القضيّة الأساسيّة هي في توجيه [توجّهات] تلك القدرة. فما هي توجّهات تلك القدرة؟

يتصوّر البعض أنّ القدرة أو الثروة هي شرّ بذاتها. لكن في الحقيقة الأمر ليس كذلك. فالقدرة والثروة هي كبقيّة مواهب الحياة، هي زينة الحياة ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، فكيف نستفيد من هذه القدرة؟ فإذا استخدمناها بنحو جيّد فهو حسن وخير، إذا وضعناها في خدمة الناس والشعب فهو خير، وإذا جعلناها في خدمة ترويج الأخلاق والمعنويّات والصلاح والصدق لدى الناس فهو خير، لكن إذا استخدمناها لخدمة مآربنا ومطامعنا الشخصيّة والأهواء النفسيّة وكالحيوانات الجارحة، ضدّ هذا وذاك، تصبح شرًّا. وكلّما أوغل فيها على هذا النحو تعاظم شرّها[٨٠].

## ولذلك، يعتقد الإمام الخامنئي أنّ «القوّة ليست للقوّة أو بهدف القوّة»[٨١].

انطلاقًا من رؤية الإسلام وفلسفته، سيتمّ إجراء الأحكام الإسلاميّة الصحيحة بين الناس عندما تُشكّل حكومة وفق مبنى الإسلام. فلو لم تكن الحكومة على أساس الإسلام، ولو لم تكن القدرة والسلطة بيد الإسلام، فلن يُطبَّق. لأنّ الإسلام يريد قيادة المجتمع وسوق الناس نحو تلك المقاصد الشريفة، إلى التكامل، ونحو العدل، وإلى المعرفة، وإلى القرب من الله ولقاء الله. نعم، كيف يمكن قيادة الناس؟ فلا يمكن سوق الناس فردًا فردًا، أو باجتماع من هنا وآخر من هناك، والقول في أذنٍ هنا وأذنٍ هناك. كيف يمكن توجيه مئات ملايين الناس وأحيانًا مليارات الناس؟ ففي بلدٍ ومجتمعٍ يعدّ سكّانه بالملايين، كيف يصبح النظام الاجتماعيّ؟ إذا لم يكن النظام الاجتماعيّ على أساس الإسلام، سيكون مانعًا أمام حركة الناس نحو المقاصد الإسلاميّة[٨٢].

---

هي صلاح الإنسان وفلاحه؛ أي نجاته من مصائب الدنيا المادّيّة والمعنويّة، إنقاذ الإنسان من الظلم، إنقاذه من العداوة والبغضاء والجاهليّة، إنقاذه من مخالب قدرة تلك المجموعة الغافلة العمياء السكرى التي لا تفهم شيئًا غير الأنا، وقد كانت وما زالت هذه هي مصائب الإنسان العظمى. إنّ أهمّ ما تفعله القدرة المعنويّة هو نجاة الإنسان من هذه الأنانيّة، والسيطرة والتحكم بها وبالغرور وبالقدرة المتروكة العنان؛ وهذا من الأمور الأساسيّة؛ غاية القدرة المعنويّة هي نجاة الإنسان من الحياة المادّيّة، نجاته من حيث الحياة الإنسانيّة، ونجاته بلحاظ الجوانب المعنويّة. إنّ نظام الجمهوريّة الإسلاميّة قد بنى أسسه – بفضل من الله – على هذه القدرة؛ إنّ هذا النظام يعتمد الإيمان والأسس المحكمة للعقيدة.

كلام للإمام الخامنئي في لقائه قادة ومسؤولي حرس الثورة الإسلاميّة، بتاريخ ٤ شعبان ١٤٢٠هـ.

(٨٠) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مسؤولي النظام، بتاريخ ١٣٨٢/٥/١٥هـ.ش.

(٨١) كلام للإمام الخامنئي في لقاء أساتذة وجامعيّي قزوين، بتاريخ ١٣٨٢/٩/٢٦هـ.ش.

(٨٢) كلام للإمام الخامنئي في مناسبة شهادة الامام الباقر عليه السلام، بتاريخ ١٣٦١/٧/٢هـ.ش.

وبناءً لهذا المنطق، يعارض الإمام الخامنئي أصحاب الفكر المعوجّ الذين يدّعون أنّه إذا ترافقت القدرة مع الدين يفسد الدين. ويقول:

إذا لم يكن ثمّة نظام وثمّة قوّة تساند الفكر الإلهيّ والإسلاميّ، لا يمكن بسط الأحكام والمفاهيم الإلهيّة وإشاعتها في حياة الناس. على العكس تمامًا من النظرة المنحرفة من أنّه إذا توفرت أسباب القوّة للدين، فسد الدين! كلّا؛ فالقضيّة على العكس. والدين إذا اقترن بأسباب القوّة يتاح له التوسّع والانتشار ويتسنّى له بلوغ الأهداف والتطلّعات الدينيّة، وإنجاز الآمال والشعارات التي يدعو إليها. وهذه لا سبيل لبلوغها بدون توفّر أسباب القوّة، ويتيسّر تحقيقها في ضوء وجود عنصر القوّة[٨٣].

ويقول حول إقدام النبيّ محمّد صلّى الله عليه وآله على تشكيل حكومة إسلاميّة:

في بداية دخول النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله المدينة أقام حكومةً إسلاميّةً وجعل نفسه على رأسها، فلو كان من الممكن للإسلام أن ينتشر ويتوسّع دون قدرة إسلاميّة ودون النظر إلى المسائل السياسيّة للبلاد والمجتمع، كان من الممكن له أن يوكل أمر الحكومة إلى أولئك الأشخاص الذين اتّبعوه وينصرف هو إلى أمر التبليغ[٨٤].

وعلى هذا الأساس وبناءً للمنطق النبويّ والعلويّ، فالقدرة السياسيّة في النظام الإسلاميّ بالاتّجاه الهادف هي ضرورة لا يمكن غضّ الطرف عنها. «فلنظام الجمهوريّة الإسلاميّة أهمّيّة بالنسبة له (أي الإنسان) وليس (طهران)؛ وله (للمسلم) أهمّيّة وليس لـ(المركز). إنّ وظيفة المسؤولين في الجهوريّة الإسلاميّة وواجبهم خدمة الناس»[٨٥].

---

(٨٣) كلام للإمام الخامنئي في لقاء موظّفي وعمّال يوم المبعث الشريف، بتاريخ ١٣٧٥/٩/١٩هـ.ش.

(٨٤) كلام للإمام الخامنئي في لقاء أعضاء لجنة الفعاليّات الإعلاميّة لمنظمة المؤتمر الإسلاميّ، بتاريخ ١٩٩٨/٥/٢٥.

(٨٥) يقول:

لم يوجد النظام بهذا المقصد أن يسلب القدرة [السلطة] من مجموعة هنا ويمنحها لمجموعة هناك أن نكون أنا وأنتم، دون أن يأخذ من هذه المجموعة العهد أمام هذه الحركة العظيمة للناس. شعارات الجمهوريّة الإسلاميّة واضحة ومشخّصة: الاستقلال، الحرّيّة، الرشد المعنويّ والارتقاء المادّيّ، إيجاد المحيط الآمن مع الكرامة للناس، علينا التوجّه نحو هذه المطالب وأن نتحرّك لأجلها.

وكما قال مولانا أمير المؤمنين لابن عباس إنّ هذه الحكومة وهذه القوّة وهذه السلطة السياسيّة التي بيدَي - حيث كانت آنذاك بلاد تحت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ولو حسبناها وحدّدناها اليوم كانت بلادًا كبيرةً واسعة؛ تمتدّ من مصر وشمال أفريقيا إلى أقاصي الشرق وخراسان وقريب ما وراء النهر، كانت هذه حكومة أمير المؤمنين عليه السلام - في ذلك اليوم قال أمير المؤمنين لابن عباس: «إنّ حكومتكم هذه لا تساوي عندي شسع نعل إلّا أن أقيم حقًّا وأدحض باطلًا»، هذا منطق أمير المؤمنين. أي إنّ السلطة والحكومة والإمرة لا قيمة لها، فهي من الدنيا، وما له قيمة في نظره هو خدمة الناس(٨٦).

## ويقول الإمام الخامنئي في مكان آخر شارحًا هذا المنطق:

وهذا يعني أنّ قيمة هذه الوسيلة، الحكومة والسلطة، هي فقط لجهة خدمة الحقيقة، خدمة الحقّ، مواجهة الباطل، خدمة مصير الناس وخدمة الدين، هذه هي القيمة وحسب؛ ومن هذه الجهة؛ وهذه السلطة لا قيمة لها في ذاتها بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام. لاحظوا أيّ منطق عجيب هذا؟(٨٧).

وإذا لم يكن ثمّة نظام وثمّة قوّة تساند الفكر الإلهيّ والإسلاميّ، لا يمكن بسط الأحكام والمفاهيم الإلهيّة وإشاعتها في حياة الناس. فالدين إذا اقترن بأسباب القوّة يتاح له التوسّع والانتشار ويتسنّى له بلوغ الأهداف والتطلّعات الدينيّة، وإنجاز الآمال والشعارات التي يدعو إليها. وهذه لا سبيل لبلوغها بدون توفّر أسباب القوّة، وهل من الممكن تطبيق العدالة الاجتماعيّة، والقضاء على التميز، وتسهيل سيادة القانون على صعيد المجتمع من جهة، وعلى صعيد العالم من جهة أخرى، بدون وجود أسباب القوّة؟!(٨٨).

---

كلام للإمام الخامنئي في مسؤولي النظام، بتاريخ ١٥/٥/١٣٨٢هـ.ش.

(٨٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٦/٥/١٣٧٩هـ.ش. يقول في مكان آخر:
كان هدف أمير المؤمنين من قبول السلطة والورود إلى ساحة القدرة السياسيّة وتحمّل المسؤوليّة هو إقامة العدل في المجتمع أن تقوم العدالة. كان الهدف الإصلاح وقلع الفساد، وأن يعدّ الدين كما بيّنه وجاء به النبيّ الأكرم محمّد صلّى الله عليه وآله. قمع الانحرافات وقلع التحريفات وهذا لا يكون بدون قدرة وسلطة.
كلمته في شهر رمضان المبارك، بتاريخ ٢٠/٢/١٣٦٦هـ.ش.

(٨٧) كلام للإمام الخامنئي في أعضاء الحكومة بمناسبة شهر رمضان المبارك، بتاريخ ٣٠/٩/١٣٧٩هـ.ش.

(٨٨) كلام للإمام الخامنئي في لقاء موظّفي وعمّال يوم المبعث الشريف، بتاريخ ١٩/٩/١٣٧٥هـ.ش.

في الواقع القضيّة الأساسيّة هي في تقييم القدرة في التوجّهات. يعتقد الإمام الخامنئي أنّ أهمّ توجّه في القدرة هو صلاح الإنسان وفلاحه؛ أي نجاته من مصائب الدنيا المادّيّة والمعنويّة، وإنقاذ الإنسان من الظلم، وإنقاذه من العداوة والبغضاء الجاهليّة، وإنقاذه من مخالب قدرة تلك المجموعة الغافلة العمياء والولهة التي لا تفهم شيئًا غير الأنا، وقد كانت ومازالت تشكّل مصائب الإنسان الكبرى. إنّ البشريّة في أكثر عصورها قد ابتليت بقوى أسكرتها الأنانيّة، وكان مصير البشريّة من الأمور التي تفتقد الأهمّيّة عندها.

> إنّ أهمّ ما تفعله القدرة المعنويّة هو نجاة الإنسان من هذه الأنانيّة، والسيطرة عليها وعلى الغرور وعلى هذه القوى التي فقدت العنان؛ وهذا من الأمور الأساسيّة؛ غاية القدرة المعنويّة هي نجاة الإنسان من الحياة المادّيّة، نجاته من حيث الحياة الإنسانيّة، ونجاته بلحاظ الجوانب المعنويّة(٨٩).

## ٣. مسألة الحكومة الإسلاميّة

أدّى طغيان مفهوم الحكومة ومواصفات ورتب المدير أو الرئيس في الأنظمة السياسيّة إلى أن يضع علماء السياسة تعريفات متعدّدة له وإلى ظهور جدل واسع بشأنه. الحكومة من المفاهيم السهلة الممتنعة، فعلى الرغم من اتّفاق رأي العلماء على ضرورة وجودها، شكّك البعض في فوائد ذلك واعتبروها سبب ظهور الشرور والمشاكل والآفات الاجتماعيّة، وفي اللغة السياسيّة المعاصرة من يأمل العيش بلا حكومة ودولة. لكنّ الأدبيّات السياسيّة الإسلاميّة عدّت الحكومة من الحقوق الإلهيّة التي تُعتبَر ضرورتها أيضًا أساس هداية البشر وسعادتهم. فلم يشكك - بهذا اللحاظ - أيّ من علماء المسلمين في أصل الحكومة؛ لأنّ الحقوق الإلهيّة لا تقبل الإسقاط أو الإغفال. على جميع المسلمين إعداد

(٨٩) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مع مسؤولي حرس الثورة الإسلاميّة، بتاريخ ١٣٧٨/٨/٢٢هـ.ش.

شروط وظروف وجود هذه الحكومة، وفي رأي الإمام الخامنئي،

> فإنّ «حقّ الحكومة» من جانب الله تعالى لا يقبل التفويض أبدًا. حتّى إنّه لم يفوّض إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله أو إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام؛ وهو حقّ إلهيّ يتمّ إعماله بشروط وظروف خاصّة، بل حتّى عندما يتولّى الناس إدارة السلطة السياسيّة تكون الحكومة مرتبطة بالله. في فقهنا السياسيّ المشهور يعبّر عن هذا الحقّ باصطلاح «السلطنة من الله»: «الأصل عدم ثبوت الولاية لأحد بشيء من الأمور المذكورة» (التصرّف في الأموال والأنفس) خرجنا عن هذا الأصل في خصوص النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم أجمعين [...] إنّ للإمام سلطنة مطلقة على الرعيّة من قبل الله تعالى[٩٠].

يقول الإمام الخامنئي:

> الولاية على المجتمع والرعاية له مرتبطة بالله تعالى، الولاية تعني الحاكميّة والإشراف على المجتمع الإسلاميّ، من الطبيعيّ هو شيء منفصل [مختلف] عن الولاية والرعاية والحكومة في المجتمعات الأخرى، في الإسلام رعاية المجتمع متعلّقة بالله تعالى وليس لأيّ إنسان هذا الحقّ بأن يتولّى شؤون غيره من الناس الآخرين فهذا الحقّ مختصّ بالله تعالى، الخالق والموجد والعالم بمصالح العباد والمالك لأمورهم؛ بل هو المالك لكلّ ذرّات عالم الوجود [...] فلا قدرة ولا سيف ولا ثروة ولا حتّى أيّ علم وتدبير يعطي الحقّ لأيّ شخص ليكون مالكًا ومدبّرًا ومقرّرًا لمصير الناس الآخرين، هذه قيم. لا يعطى حقّ تولية الأمور ومصير الناس لشخص، فهذا الحقّ متعلّق بالله. والله تعالى يُعمل هذه الحاكميّة وهذه الولاية من خلال مجاريها الخاصّة، أي عندما يكون هناك حاكم ووليّ لأمر المسلمين – سواء كان تعيين شخصه [بالنصّ] أو الانتخاب على ضوء المعايير والشروط كما هي عقيدتنا في تحقّقها في أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام – وعندما يعطى هذا الحقّ له أن قم بإدارة شؤون الناس، تكون هذه الولاية أيضًا، ولاية الله. هذا الحقّ هو حقّ الله، هذه القدرة والسلطة التي يتمّ إعمالها وإجراؤها على الناس إلهيّة[٩١].

كما يظهر من الكلام السابق، فإنّ تحقّق الحكومة الإسلاميّة المشروعة ممكن فقط عن طريق النصب الإلهيّ، حيث استفاد الإمام الخامنئي من كلمة «الولاية» في كلّ مستويات الحكومة، وأنّه من خلال الإشارة إلى

---

(٩٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٦/٢/١٣هـ.ش.

(٩١) الشيخ الأنصاري، المكاسب، الصفحة ١٥٣.

العبارات المختلفة الموجودة في مسألة الحكومة، يشير إلى سبب اختياره لعنوان ومصطلح «الولاية». فالنبيّ الأكرم محمّد صلّى الله عليه وآله قد عبّر عن الحكومة في حادثة الغدير العظيمة والتنصيب الذي حصل بالـ«الولاية». في اللغة العربيّة، وفي اللغات الأخرى، استُخدمت تعبيرات مختلفة لمعنى هذه الظاهرة التي هي الحكومة والسلطة والحكم، أي الشخص أو الجماعة التي تُسلّط على مجتمع وتديره، وكلّ واحدة منها تشير إلى جانب وجهة خاصّة؛ فمثلًا، تعبير الحكومة يشير إلى أنّ ذاك الشخص الذي هو على رأس السلطة، أو تلك الجماعة التي على رأس الهرم تكون الحكومة بيدهم [هم يحكمون] والناس تطيع أحكامهم وقراراتهم. وهناك تعبير آخر وهو السلطة أو السلطنة، التي هي بمعنى التسلّط والاقتدار وجعل الأمور تحت سلطته. في الفارسيّة هناك عبارات أيضًا مثل «السلطة» التي تشير إلى جانب من الحكومة، أو مثلًا اصطلاحَي «الحاكميّة» و«القيادة»، حيث يدلّ كلّ منهما على جانب من القضيّة. في الإسلام، استندوا على كلمة «الولاية» أكثر من غيرها[٩٢].

## الولاية، المعيار القيميّ للحكومة الإسلاميّة

بناءً عليه، وبالنظر إلى النوع والنموذج المطلوب للحكومة الإسلاميّة في قالب «الحكومة»، يعتقد «أنّ مسالة الولاية والحكومة في الإسلام مسألة مهمّة وأساسيّة». وفي إطار تشريح معنى الولاية، يذكر لها معنيَين اثنَين: الأوّل، مفهوم عامّ، بمعنى الاتّصال المباشر والصلة الوثيقة بين الشيئَين، وتعني في الأساس قرب الشيئَين من بعضهما البعض، كالحبلَين على سبيل المثال، إذا أبرما مع بعضهما حتّى لا يعود من السهل نقضهما، نقول

---

(٩٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٠/٤/١٣٦٩هـ.ش. ويُراجع كتاب روي توحيد نفي عبوديت غير خدا (روح التوحيد نفي عبوديّة غير الله)، الصفحة ٣٧.

لديهما ولاية، ونقول أنا وأنتم لدينا ولاية أي متّصلون ببعضنا، ويقال باللغة العربيّة «ولي». إذا ما كان الشيئان مرتبطان معًا [...] وجميع المعاني التي وردت في اللغة لكلمة الولاية [...] يعبّر كلّ واحد منها عن نوع من القرب والصلة القائمة بين الطرفَين اللذين تجمعهما الولاية. أمّا الثاني، المعنى الخاصّ للولاية، وهو عبارة عن اتّحاد الناس والمجتمع مع قائدهم وإمامهم، وهذه الولاية تظهر أكثر في المسائل التنفيذية.

ويقول:

الولاية تصدق حيثما يرتبط الوليّ أو الوالي مع الناس الذين يتولّاهم بصلات وثيقة وحميمة، كما هو الحال بالنسبة لرسول الله صلّى الله عليه وآله الذي «بُعث من أنفسهم» أو «بُعث منهم». أي أن يكون الشخص الذي يأخذ بولاية الناس، من الناس أنفسهم، وهذه هي الركيزة الأساسيّة في حاكميّة الإسلام[٩٣].

فالإمام الخامنئي، وبالنظر إلى المفهوم الخاصّ للولاية، يعتبر أنّ المجتمع الولائيّ له تنظيم منسجم ومتّحد. وهو بالاستناد إلى المباني الاعتقاديّة التوحيديّة يقوم على جاذبات في داخله، ومن خصائصه البارزة رفض الشرك ومواجهة الكفر. يقول:

الولاية تعني الاتّصال والارتباط الوثيق والمحكم، الذي لا يقبل الانفصال والانفكاك، للمجتمع الإسلاميّ الذي فيه الولاية، بمعنى أنّ كلّ أجزائه متّصلة ببعضها البعض ومتّصلة بمحور ومركز لهذا المجتمع أي «الوليّ». ولازم هكذا ارتباط واتّصال أن يكون المجتمع الإسلاميّ واحدًا ومتّحدًا في داخله ومؤتلفًا ومتّصلًا ببعضه، وهو بالنسبة للخارج جاذب للأجزاء المساعدة له أيضًا ودافع لتلك الأجزاء التي تعاديه ومعاند لها بشدّة، أي إنّ «أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم» هي من لوازم ولاية وتوحيد المجتمع الإسلاميّ. وإنّ أساس ومبدأ التوحيد والاعتقاد بوحدانيّة الحقّ جلّ وعلا له تأثيره في كلّ شؤون الحياة الفرديّة والاجتماعيّة في المجتمع الإسلاميّ، ويُصنع المجتمع المتّحد والمتكاتف والمتعاون مع بعضه المتمتّع بالوحدة[٩٤].

توجد بين الحاكم والناس، في الحكومة الولائيّة، روابط فكريّة

---

(٩٣) كلام للإمام الخامنئي في لقاء بمناسبة عيد الغدير، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش.

(٩٤) كلام للإمام الخامنئي بمناسبة عيد الغدير، بتاريخ ١٣٦٩/٤/٢٠هـ.ش.

وعقائديّة، وعلاقة محبّة ورأفة، كما أنّ لدى الناس أيضًا محبّة له ومودّة. وقد شبّه الإمام الخامنئي العلاقة بين الحاكم والناس، في إحدى خطاباته، بالحبلَين الذين إذا ما رُبطا معا استحكمت وقويت عقدتهما بحيث لم يعد من السهولة بمكان انفكاكهما عن بعضهما البعض(٩٥).

يذكر أنّ للولاية مميّزات تمنحها الأصالة وهي الخاصّيّة الإلهيّة أو الله. «مسألة الولاية من أكثر مسائل الدين أصالةً، لأنّ الولاية هي ظلّ التوحيد وآيته. الولاية تعنى الحكومة، الشيء الذي هو في المجتمع الإسلاميّ متعلّق بالله تعالى»(٩٦).

وعليه، ففي النظام الذي يكون على رأسه وليّ الله شخصًا كالنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله أو كأمير المؤمنين عليه السلام، يكون ذلك المجتمع مجتمعًا ولائيًا، والنظام نظامًا ولائيًا. فالولاية صفةٌ للمنصب الذي حاز عليه النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله أو خلفاؤه من جانب الربّ المتعال، وكذلك هي خصوصيّة للمجتمع الإسلاميّ الذي يعيش في ظلّ تلك الحكومة ويستمتع بضيائها.

يؤكّد الإمام القائد أنّ «ذلك الشخص الذي عهد الله إليه أمر إدارة أمور الناس، ينبغي أن يحقّق نموذجًا متواضعًا وشعاعًا من تلك الولاية الإلهيّة، وأن يظهر أنّ لديه خصوصيّات الولاية الإلهيّة»(٩٧).

يذكر الإمام الخامنئي أربع خصائص أساسيّة للحاكم والولاية:

١. القدرة.

٢. العدالة.

---

(٩٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٨/٩/٢٩هـ.ش.

(٩٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش.

(٩٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٠/١/٢٦هـ.ش.

٣. الحكمة.

٤. الرحمة.

ينبغي أن يكون الشخص أو الجهاز الذي أوكلت إليه إدارة شؤون الناس مظهر القدرة، والحكمة، والعدالة، والرَحمة[٩٨]. يقول في «حديث الولاية» ذاكرًا بعض الخصائص والشروط الإيجابيّة للولاية:

الولاية في الإسلام ناشئة من القيم. القيم التي يحمي وجودها تلك الوجهة وتصون الشعب أيضًا؛ على سبيل المثال العدالة [...] هي من شروط الولاية التي إذا ما توفّرت تكون الولاية مصانةً من الآفّات[٩٩].

الولاية مفهوم شعبيّ موجّه للاهتمام بحقوق الناس ورعايتها وحفظ جانب الناس؛ بل هي من أكثر الحكومات شعبيّةً[١٠٠].

ينبغي أن يكون الحاكم من جمهور الناس، مثلما كان الأمر بالنسبة للوجود المقدّس للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله «بعث من أنفسهم» أو «بعث منهم»[١٠١].

ضمانة تطبيق هذه الحكومة داخليّة[١٠٢].

الحاكم والوالي وبقيّة الناس سواسية من جهة القانون[١٠٣].

الولاية تعني حاكميّة الأتقياء، الورعين، المخالفين لشهواتهم والعاملين للصالحات[١٠٤].

خير الإنسانيّة ومصلحة المجتمع الإسلاميّ في الولاية[١٠٥].

## المفاهيم والشروط السلبيّة للولاية

إلى جانب الشروط الإيجابيّة المذكورة للولاية، نجد في الفكر السياسيّ

---

(٩٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٩/٤/٢٠هـ.ش.

(٩٩) المصدر نفسه.

(١٠٠) حديث ولايت (حديث الولاية) (سازمان تبليغات إسلامي، ١٣٧٦هـ.ش.)، الجزء ٧، الصفحات ١٨٦ إلى ١٨٨.

(١٠١) المصدر نفسه.

(١٠٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش.

(١٠٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٨/١/١٦هـ.ش.

(١٠٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/١/٦هـ.ش.

(١٠٥) المصدر نفسه.

للإمام الخامنئي شروطًا سلبيّةً أيضًا. وفيما يلي قسم منها:

١. ليست الولاية ملكيّةً بأيّ نحو من الأنحاء[١٠٦].

٢. أيّ حكومة ليس لها علاقة قريبة من الناس ومحبّة لهم ليست من الولاية[١٠٧].

٣. إذا كانت علاقة الناس بالحاكم قائمةً على الرعب والخوف فليست من الولاية[١٠٨].

٤. لن تكون الولاية صادقةً إذا قامت على الانقلاب[١٠٩].

٥. إذا كان منشأ السلطة الوراثة والخلافة النسبيّة فلا صدق للولاية هنا[١١٠].

٦. إذا ارتبط شخص بالناس دون إحراز تلك المعايير الواقعيّة فليست هذه ولاية[١١١].

٧. لا وجود لأيّ أمر قبيح في مفهوم الولاية[١١٢].

٨. ليست الولاية طعمة للوالي ولا للتشكيلات الإداريّة، إنّما هي أداة[١١٣].

٩. في نفس الوقت الذي يكون [للولاية] الاقتدار والعزّة والجزم

---

(١٠٦) المصدر نفسه.
(١٠٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/٤/١٣٧٠هـ.ش.
(١٠٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٦/٢/١٣٧٦هـ.ش.
(١٠٩) المصدر نفسه.
(١١٠) المصدر نفسه.
(١١١) المصدر نفسه.
(١١٢) المصدر نفسه.
(١١٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/٤/١٣٧٠هـ.ش.

والقاطعيّة، لا وجود لأيّ شيء من الاستبداد والنفعيّة والطمع والرياء.

١٠. ليس معنى الولاية الحجر على الناس والقيمومة عليها[١١٤].

يقول الإمام الخامنئي في معرض تأكيده على أهمّيّة مفهوم الولاية:

> لمفهوم الولاية أهمّيّة كبرى، يعني أنّ الإسلام الذي خرج منه مفهوم الولاية هذا، وهو مفهوم شعبيّ ومهتمّ بحقوق الشعب وحمايتها وحفظ أرواح الناس، لا يقبل أيّ حاكميّة [أخرى] على الناس، ولا يطرح أيّ عنوان آخر في باب الحكومة[١١٥].

التوجيه العامّ للولاية قد يضيء على مفهوم عامّ لها يحمل معاني ومتلقّيات مختلفة عن الحكومة، إلّا أنّه يتّضح في فكر القائد أنّ الجهد مركّز على دائرة مفهوم الولاية وحدودها الاعتقاديّة. ويحصر ذلك في الحكومة الإسلاميّة المطلوبة [المنظورة] - التي تشمل ثلاثة مستويات من الحكومة: الحكومة النبويّة، وحكومة الإمامة، وحكومة الفقيه، - ويميّزها عن الحكومة الملكيّة[١١٦]، والحكومة بالتوارث[١١٧]، والاستبداد[١١٨]، وحكومات الانقلاب[١١٩]، وغيرها، حيث يشير في خلاصتها إلى هذه المستويات الثلاثة للولاية.

### أ. الولاية النبويّة

هناك اتّفاق في الرأي عند علماء المسلمين على أنّ الله تعالى قد أعطى حقّ إعمال الحكومة للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، والوقائع التاريخيّة تبيّن هذا الأمر. يشير الإمام الخامنئي بإطلاقه الولاية على هذا الأمر المهمّ:

> إنّ أكثر مسألة أساسيّة في الإسلام هي الولاية، لأنّ الولاية آية التوحيد وظلّه. الولاية أي

---

(١١٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٦/١/١٣٧٩هـ.ش.

(١١٥) المصدر نفسه.

(١١٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/٤/١٣٧٠هـ.ش.

(١١٧) المصدر نفسه.

(١١٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٦/٢/١٣٧٦هـ.ش.

(١١٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٦/١/١٣٧٨هـ.ش.

الحكومة هو الشيء المتعلّق بالله في المجتمع الإسلاميّ ووصل منه تعالى إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله ومنه إلى أمير المؤمنين عليه السلام[١٢٠].

يظهر أنّه لا حاجة إلى الأبحاث النظريّة في خصوص الولاية النبويّة، لأنّ كلّ الفرق الإسلاميّة قبلت النموذج الحسن للحكومة في صدر الإسلام. وما يشار إليه متعلّق بجهود النبيّ صلّى الله عليه وآله في مرحلة مكّة والمدينة بهدف تشكيل الحكومة. ففي مرحلة مكّة، يعتقد أكثر علماء المسلمين أنّها كانت بالنسبة للإسلام والمسلمين مرحلة التديّن الفرديّ والاعتقاديّ والعباديّ، وفي خطّة العمل لم يُطرح الإسلام السياسيّ في شكل وقالب الحكومة. في المقابل، يعتقد جماعة من العلماء أنّه، وبعد البعثة مباشرةً، قامت نهضة ثوريّة من أجل تشكيل الحكومة الإسلاميّة، إلّا أنّ وجود زعماء قريش وعدم توفّر مساحة ومجال للحكومة في مكّة كانا سببًا لعدم تحقّق هذا المقصد هناك، ولكنّه مع الهجرة إلى المدينة ومع توفّر هذا العنصر الأساسيّ فقد أعلن قيام الحكومة على الفور[١٢١].

## يعتقد الإمام القائد بهذه الرؤية ويقول:

في المرحلة المكّيّة جاهد النبيّ صلّى الله عليه وآله لثلاث عشرة سنة. إلّا أنّه من المهمّ أن نعلم أنّ هذه المواجهة كانت لأجل قيام وإيجاد مجتمع إسلاميّ. جاهد نبيّ الإسلام للوصول إلى مدينة ومحيط اجتماعيّ. فذلك النحو الذي يظهر من حركته صلّى الله عليه وآله طوال فترة المرحلة المكّيّة خاصّةً السنوات الأخيرة من تلك الفترة أنّه صلّى الله عليه وآله كان دائمًا في سعي لإيجاد زاوية من زوايا هذه الدنيا الكبيرة حتّى يتسنّى له عرض وتطبيق رؤيته وتعاليمه، أن ينشر الإسلام والتوحيد في المجتمع. فلم يكن ذهابه وراء قبائل المناطق المجاورة لمكّة، أو رحلته إلى الطائف ودعوته الناس هناك، أو أن يرسل أصحابه إلى الحبشة، أو دخوله في مفاوضة قبيلتَي الأوس والخزرج على مقربة من مكّة إلّا ليوفّر أرضيّة قيام المجتمع التوحيديّ[١٢٢].

(١٢٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش. يقول الإمام الخامنئي:
فالأمر الإلهيّ الخاصّ الصادر عن الله عزّ وجلّ، والذي عيّن علي أساسه الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله شخصًا بهذه المواصفات كولي من بعده، يُعدّ بحدّ ذاته أمرًا مهمًّا ودرسًا كبيرًا ويشكّل جانبًا مهمًّا من الإسلام، بل وربّما يمكن القول إنّ أساس الإسلام وركيزته تكمن في هذا الجانب من القضيّة، حتّى إنّ هذا الأمر على قدر من الأهمّيّة بحيث تقول الآية الشريفة:
﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.

(١٢١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٠/١/٢٦هـ.ش.

(١٢٢) راجع، «أصول الفكر السياسيّ في القرآن المكيّ في ميزان النقد»، في: مجلّة قبسات، العدد ٢١-٢٢.

كانت مواجهة النبيّ صلّى الله عليه وآله لسلطة الشرك المسيطرة على مكّة انطلاقًا من مبدأ التعاليم القرآنيّة قد ضيّقت على النبيّ وأصحابه ساحة النهضة والحركة الثوريّة. كانت ضغوط زعماء قريش هائلةً ومضنيةً. في هذا المجال، تعرض التجربة السياسيّة للأنبياء السابقين كالنبيّ موسى عليه السلام والحكومة الموسويّة، وتجربة مواجهة إبراهيم الخليل وعيسى بن مريم وبقيّة الأنبياء نموذج المقاومة والمواجهة من أجل الوصول إلى الأهداف السامية. فالإمام القائد، إضافةً إلى تحليله الواعي لما ذكر أعلاه حول عصر المواجهة المكيّة طبقًا للوقائع التاريخيّة، يعتقد أنّ للفكر السياسيّ الإسلاميّ مرحلتان متواليتان، في المرحلة الأولى ظهرت في شكل نهضة وحركة ومواجهة ثوريّة. ففي السنوات الأخيرة من المرحلة المكيّة، وجّه النبيّ صلّى الله عليه وآله هذه النهضة مستعينًا بقوّة العناصر المؤمنة وخاض في مكّة مواجهةً حكيمةً وذكيّةً وقويّةً دامت ثلاث عشرة سنة. وبعد ذلك، وفي المرحلة الثانية، ومن خلال توجيهاته وتعاليمه والشعارات التي رفعها والتدبير والتنظيم الذي أقامه والتضحيات التي قدّمت ومع مجموع العوامل التي حدثت، أقام هذا الفكر حكومةً وشيّد نظامًا، وبدّل شكل الإسلام من حركة ثوريّة إلى حكومة[١٢٣].

## ب. الولاية السياسيّة للأئمّة عليهم السلام

المستوى الثاني في النظام السياسيّ الولائيّ في فكر الإمام الخامنئي هو ولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام، التي كانت المحور الأساس في قضيّة الخلافة في المجتمع الإسلاميّ طيلة ثلاثمائة سنة، أي ابتداءً من رحلة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وحتّى الغيبة الكبرى.

يقول في قبسات النور:

إنّ طريق الجهاد والمواجهة طيلة ٢٥٠ سنة للأئمّة قد استمرّ بأشكال مختلفة وكان الهدف منه: أوّلًا، تبيين الإسلام الأصيل والشرح الصحيح للقرآن وتقديم صورة واضحة عن المعرفة الإسلاميّة؛ وثانيًا، تبيين مسألة الإمامة والحاكميّة السياسيّة في المجتمع الإسلاميّ؛ وثالثًا، السعي لتشكيل ذلك المجتمع وتحقيق هدف النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ومرام كلّ الأنبياء عليهم السلام، أي إقامة القسط والعدل ومواجهة أنداد الله وإخراجهم من ساحة الحكومة ووضع زمام إدارة شؤون الحياة والناس في عهدة خلفاء الله وعباده الصالحين[١٢٤].

---

(١٢٣) في منبر الجمعة، الجزء ٥، الصفحة ٤٤٩.

(١٢٤) قبسات النور، الصفحة ٨٩.

إنّ الإمام في مذهب التشيّع وفي الثقافة الشيعيّة هو المكمِّل لطريق النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله. الإمامة في ثقافة الإسلام وفي ثقافة التشيّع هي استمرار للنبوّة، ومسألة الإمامة في كلام الأئمّة عليهم السلام تعني قضيّة الحكومة[١٢٥]، أي قيادة المجتمع[١٢٦]. لكنّ هذه الحكومة ليست مسألة حكم وقرار محض يكون اختياره بيد الشعب، بل كما سبق ومرّ معنا، الإمامة إعمال الحقّ الإلهيّ بالحكومة من مجاريها الاختصاصيّة، حيث يطلق عليها في الاصطلاح القرآنيّ بـ«أولو الأمر»، ومصاديقها أصحاب الفضائل المطهّرون والمعصومون الذين صدر باسمهم الأمر الإلهيّ[١٢٧].

لكنّ الوقائع التاريخيّة تبيّن أنّ هذا الحقّ لم يوضع في مجراه ولم يتمّ الاستفادة من وجود الولاية الإسلاميّة خلال هذه العصور المديدة للمجتمع الإسلاميّ إلّا في برهة خاصّة ومحدودة، وإنّ أعظم شخصيّة بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله - باعتراف واتّفاق جميع الفرق والمذاهب الإسلاميّة - هي شخصيّة أمير المؤمنين عليّ، حيث يعتبر الشيعة أنّ ولايته منصوصة من الله وأنّه منصّب من جانب الرسول محمّد صلّى الله عليه وآله، وقد أبعد عن ساحة الحكومة وقيادة المجتمع. فأمير المؤمنين عليه السلام هو مظهر ولاية الإسلام والمصداق التامّ للوليّ الذي عيّن للناس. وإنّ الولاية السياسيّة التي هي حقّ له قد أخذت منه. بالطبع الولاية المعنويّة أمر منفصل، فهي في إمامة التشيّع [عقيدة التشيّع] شيء مفروغ عنه ولازم [واجب]، وهو موجود وموجود في كلّ حين وليس مرتبطا بالولاية الظاهريّة [السياسيّة][١٢٨]. يقول الإمام الخامنئي في معرض بيانه لوظائف الإمامة الخاصّة إنّ للإمام وظيفتان أساسيّتان: الأولى مسؤوليّة

(١٢٥) المصدر نفسه، الصفحة ٩٤.
(١٢٦) المصدر نفسه، الصفحة ٨٧.
(١٢٧) كلام للإمام الخامنئي بمناسبة عيد الغدير، بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦هـ.ش.
(١٢٨) قبسات النور، الصفحة ٩١.

تبيين وشرح أصول الإسلام وأحكام الشريعة، والثانية مسؤوليّة عظيمة وهي قيادة المجتمع[١٢٩].

وعلى الرغم من الضغوط الشديدة في تلك المراحل لم يترك الأئمّة التكليف الأوّل أبدًا، فكما أنّهم في المسؤوليّة السياسيّة لم يصرفوا نظرهم عن حقّه في الولاية، لم يعترفوا رسميًّا أيضًا بالحكومات القائمة. ولهذا السبب كلّ الأئمّة عليهم السلام - باستثناء الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الذي هو حيّ غائب بأمر الله ومعجزته - قد تعرّضوا للظلم و لم يتوفّوا وفاةً طبيعيّةً. فقد شدّد الأئمّة عليهم السلام من مواجهتهم السياسيّة بأساليب متناسبة مع الظروف والأوضاع آنذاك. كان أعظم هدف لهذه المواجهة والمعارضة تشكيل نظام إسلاميّ وتأسيس حكومة على أساس الولاية[١٣٠].

ولذلك كانوا يجهدون من أجل هذا الهدف وهذا الخطّ، وكانوا يسعون على الدوام لتشكيل الحكومة الإسلاميّة[١٣١].

ولو أنّ هذه الولاية لم تتحقّق، لكنّنا نعتقد أنّ وليّ العصر صلوات الله عليه هو وريث جميع الأنبياء عليهم السلام سيأتي وينجز الخطوة النهائيّة لإيجاد ذلك المجتمع الإلهيّ [...] في عصر صاحب الزمان ستكون الحكومة حكومة الصالحين بكلّ معنى الكلمة، حكومة القرآن، حكومة الإمام [...] المجتمع المهدويّ أي ذلك المجتمع الذي يتشكّل في عصر يأتي فيه الإمام المهديّ عليه السلام ليحوّل الدنيا، ويصنعها، حيث كانت بعثة كلّ الأنبياء في العالم من أجلها، أي إنّ جميع الأنبياء كانوا مقدّمةً لكي يوجد هذا المجتمع الإسلاميّ المثالي، حيث سيتحقّق في نهاية المطاف وتشيّد أركانه في هذا العالم على يدَي صاحب الزمان المهديّ الموعود عليه السلام.

## ج. ولاية الفقيه

مع أنّ أصل الحكومة والولاية من الأصول الضروريّة للدين والمجتمع الإسلاميّ، إلّا أنّ نمط هذه الحكومة الإسلاميّة في العقيدة الشيعيّة يرتبط بالزمن الذي تقوم فيه، بمعنى أنّ كلّ نمط هو في مرحلة تاريخيّة، ومع وجوده لا يتحقّق النمط المتأخّر. فمع وجود حكومة النبيّ صلّى الله عليه

---

(١٢٩) رسالة الإمام الخامنئي إلى المؤتمر العالميّ حول الإمام الرضا عليه السلام، الصفحة ٨.

(١٣٠) بحث حول سيرة الإمام السجّاد عليه السلام، الصفحة ١١.

(١٣١) قبسات النور، الصفحتان ١١٧ و١١٨.

وآله لا إمكانيّة لقيام حكومة بقيادة الإمام عليه السلام، لأنّ الإمام هو خليفة النبيّ، ومع وجود حكومة المعصوم لا تقوم حكومة الوليّ الفقيه؛ لكنّ مفهوم الولاية الذي له في فكر الإمام الخامنئي مميّزات خاصّة هو وجه مشترك في مختلف مستويات الحكومة.

فكما استُخدم مصطلح «الإمام» لمختلف الأنماط مع ما بينها من اختلاف، فإنّهم ذكروا «الإمامة» في نمط حكومة الوليّ الفقيه بعبارة «الولاية العامّة»[١٣٢]. مسألة الإمامة (أي قيادة المجتمع وتولّي الأمّة)، بالمعنى العامّ للكلمة، هي في كلّ الأزمنة. فإذا أراد المجتمع أن يتحوّل ويتغيّر، أو أراد أن يكون حيويًّا وفي خطّ المواجهة إسلاميًّا، ولو أراد إن كان إسلاميًّا أن يبقى إسلاميًّا، فإنّه يحتاج إلى الإمامة. بالتأكيد عندما نقول الإمامة لا نعني العصمة، لأنّ العصمة مختصّة بالأئمّة الإثني عشر سلام الله عليهم. يطرح الإمام الخامنئي في تعريف ولاية الفقيه أنّها امتداد لولاية الأئمّة، ويعتبر أنّ أصل الولاية بمعنى الحكومة الإلهيّة، تلك الحكومة التي لا أثر فيها للأنانيّة والملكيّة والسلطنة والسلطة الفرديّة[١٣٣]: «تتشكّل 'ولاية الفقيه' من كلمتَين 'الولاية' بمعنى ومفهوم القيادة والإدارة و'الفقيه' بمعنى مفهوم 'معرفة الدين'، إذًا تعني ولاية الفقيه إدارة وقيادة علماء الدين في المجتمع»[١٣٤].

وإذ يؤكّد على أنّ ولاية الفقيه هي نوع خاصّ من الحكومة تتميّز عن كلّ الحكومات الموجودة العالم[١٣٥]، وأنّ الحكم بشأنها غير ممكن أبدًا من خلال النظر في المعايير الموجودة، وبالالتفات إلى الفهم الخاصّ الذي لديه حول مفهوم الولاية، يعتقد أنّ أصل ولاية الفقيه يعني إيجاد ملايين

---

(١٣٢) المصدر نفسه، الصفحتان ٩٠ و٩٤.

(١٣٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٨/١/١٦هـ.ش.

(١٣٤) دروس من نهج البلاغة، الصفحة ١٣٩.

(١٣٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٩/٤/٢٠هـ.ش.

الروابط الدينيّة بين قلوب الناس مع محور النظام ومركزه. المعنيّ في البحث هنا ليس شخصًا، إنّما المقصود هو الهويّة والمعنى والشخصيّة[١٣٦]. وإنّ كلّ الطرق الأساسيّة للنظام تنتهي في مركز الولاية، النقطة المشعّة في النظام الإسلاميّ[١٣٧]. من جملة المواضيع المطروحة في مسألة ولاية الفقيه الأدلّة على وجودها وضرورتها وموقعيّتها. حيث إنّ ولاية الفقيه في نظر الإمام الخامنئي من فروع الدين، لأنّ الولاية، بمعنى النظام وخصوصيّاته، جزء من فروع الدين لا الأصول التي ترتبط بدائرة العقائد[١٣٨].

يقول في أجوبة الاستفتاءات[١٣٩]:

ولا نرى الالتزام بولاية الفقيه قابلًا للفصل عن الالتزام بالإسلام وبولاية الأئمّة المعصومين عليهم السلام، لذلك يعتبر أنّ أصل ولاية الفقيه حكم شرعيّ يؤيّده العقل، ومشروعيّته الدينيّة ممضاة من الشرع.

أمّا نحو اختيار مصداقه، فيعتقد بالطريق العقلائيّ وبطريقة الانتخاب التي جاءت في قانون الجمهوريّة الإسلاميّة[١٤٠]، يقول الإمام الخامنئي في إحدى خطب الجمعة عام ١٣٦٢:

لكي نثبت أنّ ولاية الفقيه هي حكومة الفقيه في المجتمع الإسلاميّ لا نحتاج إلى دليل نقليّ مع أنّ الأدلّة النقليّة، القرآن والروايات، هي أيضًا شاهدة وصادقة ودليل على حكومة الفقهاء والعلماء الربّانيّين الصادقين، ولو قلنا إنّه لا وجود لأيّ دليل نقليّ على حكومة العلماء في المجتمع الإسلاميّ، إلّا أنّ دليل العقل والاعتبار العقليّ يكفي في الدلالة على القول بأنّه يلزم لإجراء الأحكام الإلهيّة في المجتمع وجود أشخاص لديهم الكفاءة الضروريّة لذلك[١٤١].

---

(١٣٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/٥/٥هـ.ش.

(١٣٧) رسالة للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٨/١٠/١٨هـ.ش.

(١٣٨) أجوبة الاستفتاءات، الصفحة ٢٣.

(١٣٩) المصدر نفسه، الصفحة ٢٢.

(١٤٠) في مدرسة صلاة الجمعة (در مكتب جمعة)، الجزء ٦، الصفحة ٣٠١.

(١٤١) منوشهر محمّدي، «السيادة الدينيّة الشعبيّة، الجمهوريّة الإسلاميّة»، كتاب نقد، العدد ٢٠-٢١.

## ٤. مسألة السيادة الدينيّة الشعبيّة

### أ. نموذج الجمهوريّة الإسلاميّة

كان انتصار الثورة الإسلاميّة في عالم يسوده نظام القطبَين بعد الحرب العالميّة الثانية طرحًا جديدًا لنموذج الحكومة الدينيّة التي يكون للشعب فيها دور مهمّ في اختيار النظام السياسيّ. ويبرز هنا نموذج من صناعة القوّة، وهو أنّ بعضهم كان، لسنوات، يقدّم التركيب المؤلّف من جزئَي «الجمهوريّة» والـ«الإسلاميّة» على أنّه غير مؤتلف، بحيث إنّ منتقديه كانوا يتّخذون ذلك على الدوام ذريعةً لتضعيفه [تصوّر تضادّه وعدم انسجامه بحسب زعمهم]، وفي هذا المجال كان البعض ممّن ارتموا في أحضان الديمقراطيّة الليبراليّة ينتقدون الوجهة الدينيّة للنظام، والبعض الآخر قد عارضوا ذلك - خوفًا من ذهاب الإسلام ضحيّة التعامل مع الديمقراطيّة - وتجاهلوا دور الشعب وإرادته. وقام بعض الكتّاب، بهدف حلّ هذا اللغز، بطرح فرضيّة الثيوديمقراطيّة داخل المفاهيم الخطابيّة المطروحة، مع فرضيّة مسبقة هي أنّ أنموذج الجمهوريّة الإسلاميّة ينطوي على ثنائيّة موجودة: الثيوقراطيّة والديمقراطيّة، إلّا أنّ كلًّا منهما لا تصدق بمفردها على هذا النموذج، لذلك من الأفضل أن نعتبره نوعًا من الثيوديموقراطيّة[١٤٢].

وهنا يكفي لانتقاد هذه الرؤية أن نعتبر أنّ كلًّا من هذه المفاهيم الثلاثة قد تشكلت في إطار وعمليّة الفكر السياسيّ الغربيّ، ولديها مفهوم خاصّ وفرضيّات مخصوصة لا تصدق على المفاهيم المقابلة لها في الجمهوريّة الإسلاميّة[١٤٣].

---

(١٤٢) أصول الفكر السياسيّ في القرآن في ميزان نقد أثر المؤلف [كاتب التعليق].

(١٤٣) صحيفة اطّلاعات، ١٣٧٩/٩/١٥هـ.ش.

يقول الإمام الخامنئي في هذا الخصوص:

أوّلًا، نظام السيادة الشعبيّة الدينيّ ليس شيئَين اثنَين. فليس الأمر على نحو أن نأخذ من الغرب الديمقراطيّة ونحقنه في الدين ليكون لدينا مجموعة كاملة! لا، فالسيادة الشعبيّة الدينيّة نفسها متّصلة بالدين[144].

وقد ساهم البحث المطّرد حول مفهوم السيادة الشعبيّة الدينيّة ما بين عامَي ١٣٧٩هـ.ش. [٢٠٠١ ميلاديّ] و١٣٨٠هـ.ش. [٢٠٠٢ ميلاديّ] في ظهور فهم أنّه قد حدث تحوّل في الفكر السياسيّ للإمام الخامنئي. إلّا أنّه يتّضح، بمراجعة أبحاثه وآرائه السابقة، أنّه قد طرح هذه الأبحاث نفسها في ما مضى، لكن مع طروء ظروف فكريّة جديدة يكون قد قدّم شرحًا جديدًا لنظريّة الجمهوريّة الإسلاميّة نفسها. يقول في إحدى خطب الجمعة في بدايات انتصار الثورة الإسلاميّة:

القول أنّ الديمقراطيّات والسيادة الشعبيّة هي حكومات غير دينيّة، وأنّ الحكومة الدينيّة لا يمكنها أن تكون حكومةً ذات سيادة شعبيّة، هو مغالطة. الحكومة الدينيّة يمكنها، في عين أنّها حكومة إلهيّة، أن تكون حكومةً شعبيّةً أيضًا. ونموذج ذلك صدر الإسلام زمن النبيّ الأكرم محمّد صلّى الله عليه وآله والخلفاء في البدايات، ونموذجها الآخر [حاليًا] حكومة الجمهوريّة الإسلاميّة التي هي حكومة الشعب. حكومة مشاعر الناس، حكومة آراء الناس، الحكومة المنتخبة من الناس، وحكومة العناصر الشعبيّة في هذه الحكومة[145].

وعليه، يمكن الاكتفاء بهذا الفرض؛ وهو أنّ السيادة الشعبيّة الدينيّة الجديدة هي ذاتها نموذج الجمهوريّة الإسلاميّة.

---

(١٤٤) في مدرسة صلاة الجمعة (در مكتب جمعة)، الجزء ٦، الصفحة ٣٦٥.

(١٤٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/٨/٢٨هـ.ش.

### ب. نموذج السيادة الشعبيّة الدينيّة

السيادة الشعبيّة الدينيّة نظام سياسيّ تكون الحاكميّة فيه مرتبطةً بالله تعالى وتتّصل بعقيدة وإيمان وعواطف وآراء الشعب[١٤٦]. والتعريف أعلاه يُظهر أنّ السيادة الشعبيّة الدينيّة في فكر الإمام الخامنئي ليست مركّبة من قسمَين: «سيادة الشعب» و«الدينيّة»، بل هي حقيقة واحدة داخل الدينيّة التي لا يمكن تعريفها إلّا في إطار المسائل الدينيّة. يقول في إطار بيان الفرق والتمايز بين السيادة الشعبيّة الدينيّة والديمقراطيّة الغربيّة:

> ليست السيادة الشعبيّة الدينيّة بمعنى أنّها تركيب مشكّل من الدين والشعب بل هي حقيقة واحدة وجارية في جوهر النظام الإسلاميّ، لأنّه لو أردنا نظامًا يعمل طبقًا لتعاليم الدين، فلا يتحقّق بدون الشعب، كما أنّه أيضًا لا إمكانيّة لتحقّق حكومة السيادة الشعبيّة الواقعيّة دون الدين[١٤٧].

وعلى الرغم من أنّ هذا المفهوم هو حقيقة واحدة، إلّا أنّ له في تعيّنه في الخارج أجزاء يكون لبعضها أولويّة وأهمّيّة أكثر من غيرها. جزء «الدين» والأحكام الدينيّة، وجزء «الشعب» وإراداتهم العامّة [الجمعيّة]، والجزء الثالث جزء «الحكومة» والنظام السياسيّ، والجزء الرابع جزء «الحاكميّة» والقدرة الأعلى. وقد تبلورت في هذا المجال – بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران – نظريّتان اثنتان:

الرؤية التي تقول إنّ الحاكميّة هي من الله، لكنّ الإرادة الجمعيّة [رأي الشعب] وانتخاب الشعب مقدّم على الأحكام الدينيّة. وأيّ مبنًى وأيّ أنموذج لحكومة يختارها شعب المسلمين مقبولة من الدين ويصدق عليها عنوان السيادة الشعبيّة الدينيّة.

الرؤية التي تقول إنّ الحاكميّة هي من الله، وتعتقد أنّ الله مطّلع على

(١٤٦) صحيفة اطلاعات، ١٤/١٠/١٣٧٩هـ.ش.

(١٤٧) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ٢٣/٥/١٣٨٠هـ.ش.

كلّ حاجات الإنسان ونواقصه، ويهدي الناس بواسطة الأحكام الدينيّة وقد وضع لهم أفضلِ القوانين الفرديّة والاجتماعيّة. لذلك، فالشعوب المسلمة تختار في ظلّ التعاليم الدينيّة نوع الحكومة وأنّ إرادتهم العامّة [الإرادة الجمعيّة] لا تقبل الانفكاك عن ما يعتقدونه دينيًّا [عن معتقداتهم الدينيّة][١٤٨]. وهنا من المناسب تحليل وتبيين ما يعتقد به الإمام الخامنئي فيما يتعلّق بالنظريّة الثانية، حيث يقول:

في النظام الإسلاميّ - أي حاكميّة الشعب الدينيّة - فإنّ الشعب هو الذي ينتخب وهو صاحب القرار وهو الذي يمسك بمقدّرات البلد وإرادته عن طريق منتخبيه، بيد أنّ رغبته وانتخابه وإرادته إنّما تستظلّ بظلّ «الهداية الإلهيّة»، ولا يحيد بها عن جادّة الصلاح والفلاح ولا يخرج عن الصراط المستقيم أبدًا، وهذا هو البعد الجوهريّ في حاكميّة الشعب الدينيّة.

بالطبع، عبارة «الهداية الإلهيّة» الواردة أعلاه ليست صرف اعتقاد فارغ من القوانين والأحكام الدينيّة؛ لكنّها في فكره قابلة للتحقّق في ساحة القوانين والأحكام الإلهيّة بعيدًا عن أيّ عيب ونقص. ويقول:

والأمّة تتبوّأ شأنًا ومنزلةً في القوانين السماويّة والإلهيّة التي يتضمّنها القرآن، والجماهير هي التي تنتخب وتمسك بمصير البلاد وإدارتها؛ وحاكميّة الشعب هذه تمثّل أرقى أشكال حاكميّة الشعب التي يشهدها عالمنا المعاصر، إلّا أنّ هذا الانتخاب وهذا الاختيار، في ظلّ الأحكام الإلهيّة والهداية الإلهيّة لا يخرج أبدًا عن جادّة الصلاح والفلاح والصراط السويّ المستقيم [...] والإطار الذي تتقولب فيه الديمقراطيّات الغربيّة عبارة عن مصالح وأطماع الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال المتسلّطين على مقدّرات المجتمع، وفي هذا الإطار فقط يكتسب رأي الشعب اعتباره [أي عندما تتأمّن مصالح الرأسماليّين]. فإذا ما تطلّع الشعب إلى ما يتعارض مع مصالح الرأسماليّين وذوي القدرة ماليًّا واقتصاديًّا - وسياسيًّا تبعًا لذلك - فليس هنالك من ضمان بأن تذعن هذه الأنظمة الديمقراطيّة لإرادة الشعب، فثمّة إطار متماسك ومحكم يهيمن على هذه الأهداف والديمقراطيّات.

وفي البلدان الاشتراكيّة السابقة التي كانت تدّعي الديمقراطيّة أيضًا، كان الحزب الحاكم هو الذي يمثّل هذا الإطار ولم تكن أيّة فاعليّة أو فائدة لرأي الشعب خارج إطار توجّهات الحزب الحاكم وسياساته وتطلّعاته. على أيّة حال، ثمّة إطار يفرض نفسه. أمّا

---

(١٤٨) المصدر نفسه.

ميزة النظام الإسلاميّ، فهي أنّ الأحكام الإلهيّة المقدّسة وقوانين القرآن ونور الهداية الإلهيّة الذي يشعّ على قلوب أبناء الشعب وأعمالهم وعقولهم ويهديهم[149]، هي التي تمثّل هذا الإطار؛ فهداية الأمّة واحدة من تلك القضايا ذات الأهمّيّة القصوى التي طواها الإهمال في الأنظمة السياسيّة الشائعة في العالم ولا سيّما الأنظمة الغربيّة. وهداية الأمّة تعني العمل على أن تتّخذ إرادة الأمّة سيرها باتّجاه الفضائل الأخلاقيّة وإقصاء الأهواء المفسدة - التي تُطرح أحيانًا تحت يافطة آراء الشعب وإرادته - عن آفاق الانتخاب الشعبيّ، وذلك إثر التعليم والتربية الصحيحَين وإرشاد الأمّة نحو مناهل الفضيلة.

إنّكم تشاهدون اليوم في الكثير من الديمقراطيّات الغربيّة اتّخاذ أقبح الانحرافات - الانحرافات الجنسيّة وما شابهها - طابعًا قانونيًّا ورسميًّا على أنّها رغبة شعبيّة وتتمّ الإعانة عليها، وهذا ما يدلّل على غياب العنصر المعنويّ والهداية الإيمانيّة.

إنّ الحكم وحقّ الحاكميّة على الشعب دون إرادته ورغبته وانتخابه مثله كالمال الذي يورثه الحكام لأبنائهم وذراريهم حتّى أجيال متعدّدة. وخلال الفترات المتأخّرة - أي منذ منتصف الحقبة القاجاريّة والعهد البهلوي بأكمله - استباح عنصر بشع آخر ميدان الحكم في البلاد هو التدخّل الأجنبيّ؛ فلقد جاء الإنجليز برضا خان بهلوي إلى سدّة الحكم في ضوء اختيارهم وأسبغوا عليه دعمهم، ثمّ جاؤوا بابنه، وبعد انقلاب ٢٨ مرداد كان الأمريكيّون هم صنّاع القرار في إيران والممسكين بالسلطة والحكومة في بلادنا، ولم يكن للشعب أيّ دور أبدًا. فالشعب لم يكن هو صاحب الخيار في أهمّ شؤون حياته؛ في التربية والتعليم، في الاقتصاد، في السياسة، في علاقاته الدوليّة، وفي نظامه الحياتيّ العامّ، والذين يسيطرون على مقدّراته ويحكمونه لم يستأذنوه في التصدّي لهذه المسؤوليّة، فلم نجرّب أبدًا أيّ مشاركة شعبيّة ولا رأيًا للشعب إلّا في غضون فترة وجيزة وبشكل ناقص. إنّه الإسلام والثورة وجهاد هذا الشعب وتضحياته وشخصيّة الإمام العظيم التي قلّ نظيرها هي التي مهّدت لنزول اللطف والرحمة الإلهيّة فأصبحت هذه الهدية العظمى من نصيب الشعب الإيرانيّ.

إنّ الإيمان الدينيّ هو ذلك العنصر الذي يقوّي على المحافظة على الشعب الإيرانيّ صلبًا صامدًا بالرغم من افتقاره للعدّة التي تمتلكها القوى الكبرى؛ فلا بدّ من المحافظة على الإيمان الدينيّ لدى الشعب كي يستطيع المحافظة على مقاومته وصموده ويقدّم دعمه للمسؤولين ويواجه الأخطار مشرّعًا صدره. إنّنا كمسؤولين لا قيمة لنا ولا حول لنا للقيام بأيّ عمل دون الدعم الشعبيّ، فقيمتنا واقتدارنا وقوّتنا على الساحة العالميّة وفي مواجهة العواصف رهن بالدعم الشعبيّ، وإنّ نظامنا يُعدّ اليوم، والحمد لله، أكثر الأنظمة شعبيّةً في العالم، فالآصرة والعلاقة التي تشدّ المسؤولين للشعب هي علاقة إيمان

---

(١٤٩) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/٥/٢٣هـ.ش.

وعواطف وثقة، ومثل هذه الآصرة والرابطة ممّا لا نظير لها في العالم[150].

تُظهر الكلمات أعلاه حقيقة أنّ السيادة الشعبيّة الإسلاميّة في فكر الإمام الخامنئي مطروحة في إطار سياسة إسلاميّة ديناميكيّة حيّة. لأنّ السياسة الاسلاميّة بالنسبة للناس ليست بلا معنى وغير ذات اتّجاه، وليست هي فقط لتأمين الحاجات المادّيّة وحفظ الوضع الموجود، بل إنّ هداية الناس في هذا المسار السياسيّ وتقدّمهم انطلاقًا من التعاليم الدينيّة هو أصل أساسيّ، وإنّ معنى هداية الناس هو أنّه، وبنتيجة التعليم والتربية الصحيحة والإرشاد إلى مناهل الفضيلة، يثمر أن تكون إرادة الناس في اتّجاه الفضائل الأخلاقيّة، وأن تطرد الأهواء المفسدة التي تطرح تحت عناوين خيارات الناس من آفاقهم. فاليوم ترون في الديمقراطيّات الغربيّة أقبح الانحرافات لها وضع قانونيّ ورسميّ وهذه الديمقراطيّات تساعد على ترويجها وإشاعتها بين الناس. وهذا يُظهر غياب العنصر المعنويّ والهداية الإيمانيّة[151]، ومن الطبيعيّ أنّ الدور البنّاء والمرشد للحكومة الإسلاميّة المتّكئ على رأي الشعب إنّما يتحقّق عندما يجهد الحاكمون في تطبيق الأحكام الإلهيّة، ولازم هذا الأمر أن يكون زمام الأمور بيد الحكام الصالحين[152]. ولو حدث ذلك، يصبح بناء الحكومة الإسلاميّة أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور في مقاربة المسائل العالميّة وفي أوساط الناس التي جُعلت أيضًا ظلمات كثيرة أمامها. إنّ إرادة الدين هي أن تُخرج الإنسان من ظلمات الأنا والأنانيّة والشهوات وانشغاله الحصريّ بأموره الشخصيّة والورع في التعامل مع أيّ شخص وأيّ أمر ومع أيّ ظاهرة من ظواهر العالم، وأن تدخله في نور المعنويّة [الروحانيّة]، نور الهداية ونور الهمّة. فلو حصل ذلك سيكون المجتمع

---

(١٥٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣/٥/١٣٨٠هـ.ش.

(١٥١) صحيفة اطّلاعات، ٢٨/٨/١٣٧٩هـ.ش.؛ صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٦/٨/١٣٨٠هـ.ش.

(١٥٢) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١١/١١/١٣٧٩هـ.ش.

مجتمعًا نورانيًا[١٥٣].

تُعرّف السيادة الشعبيّة الدينيّة في فكر ورؤية الإمام الخامنئي كنظام للقيم[١٥٤]. ولها قابليّة للتحقّق في المجتمع «سواء كانت في داخل الناس أو في الأنظمة والمقرّرات أو في داخل القائمين على التطبيق والإجراء مع إخلاص النورانيّة»[١٥٥]. ومع هذه الأوصاف لحاكميّة الشعب الدينيّة، يكون المجتمع النظيف والفاضل حيث تكون هذه القيم في متناول المتديّنين، حيث يقدّمون سلوك أمير المؤمنين السياسيّ على أنّه نموذج حاكميّة الشعب الدينيّة[١٥٦]، وفي زمن الغيبة يكون نظام ولاية الفقيه مصداق هذه الحاكميّة الدينيّة الشعبيّة[١٥٧]. يتحدّث الإمام الخامنئي في خطبة صلاة الجمعة حول العناصر الأربعة لسيادة الشعب الدينيّة فيقول:

> الوجه الآخر لسيادة الشعب الدينيّة أنّ الناس تختار المسؤولين. والوجه الآخر أنّه عندما يستلم المسؤولون دفّة الحكم تكون جميع مساعيهم وهممهم منصبّةً على رفع حاجات الناس العمل لهم. ولو أراد المسؤولون والحكّام القيام بهذه الوظائف فإنّهم يحتاجون إلى أمر آخر وهو الإخلاص وأن يكون عملهم لله ويوطّدوا علاقتهم به. فالمسؤول والمتولّي للأمور وصاحب المنصب في النظام الإسلاميّ، ليست مسألته العلاقة والتعامل مع الناس، فلو لم يكن متّصلًا بالله سيكون عمله للناس ناقصًا وخدماته لهم عرجاء[١٥٨].

---

(١٥٣) صحيفة انتخاب، خطاب في أصفهان، ١٣٨٠/٨/١٢هـ.ش.

(١٥٤) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٧٩/١١/١١هـ.ش.

(١٥٥) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/٩/١٧هـ.ش.

(١٥٦) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/٣/١٣هـ.ش.

(١٥٧) صحيفة اطّلاعات، ١٣٨٠/٩/٢٦هـ.ش.

(١٥٨) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/٥/١٣هـ.ش.

### ج. أصول وقواعد حاكميّة الشعب الدينيّة

ج.١. **محوريّة الفضيلة**: نظام الحاكميّة الشعبيّة الدينيّة نظام سياسيّ يكون المجتمع فيه غنيًا بالفضائل المعنويّة، ومنقًّى من الفساد والرذائل الأخلاقيّة. وهذا هو البُعد الجوهريّ في حاكميّة الشعب الدينيّة؛ وهذه هي هديّة الثورة الإسلاميّة للشعب الإيرانيّ، إنّها تجربة حديثة وفتيّة لكنّها جديرة بالتأمّل والمتابعة والاقتداء من الذين تهفو قلوبهم نحو الفضائل ونحو مجتمع إنسانيّ نقيّ صالح؛ ويعانون الأمرَّين من الجرائم والرذائل الأخلاقيّة وتفشّي القبائح الخلقيّة بين البشر(١٥٩).

ج.٢. **محوريّة الهداية**: من المميّزات الأساسيّة لنظام السيادة الشعبيّة الدينيّة [الحاكميّة الشعبيّة الدينيّة] هو أنّ كلّ التوجّهات [الاتّجاهات] تحدّد على أساس القوانين الإلهيّة ويجري الانتخاب الشعبيّ أيضًا وفق هذا الإطار، ولهذا السبب يُطرح، في رؤية الإمام الخامنئي، كـ«أرقى» نوع للسيادة الشعبيّة(١٦٠).

ج.٣. **الحاكميّة الإلهيّة**: في المجتمع الذي يقوم على القوانين السماويّة، تكون الحكومة مرتبطةً بالله تعالى. «في النظام السياسيّ الإسلاميّ وفي السيادة الشعبيّة الدينيّة، تكون الحاكميّة لله المتّصلة بالعقيدة والإيمان والعواطف وآراء الناس»(١٦١).

---

(١٥٩) المصدر نفسه.

(١٦٠) صحيفة إيران، ١٣٧٩/٨/٢٨هـ.ش.

ويقول حفظه الله، مشيرًا إلى هذه النقطة:

بيد أنّ أصالة النظام الإسلاميّ وتأثير الأحكام النورانيّة للإسلام أتاحتا لمسؤولي هذا النظام – وبما أسبغ الله عليهم من توفيق – العمل والتحرّك؛ وشعبنا بدوره اقتحم معنا الميادين بإيمان واندفاع مواصلًا هذه المسيرة الإسلاميّة، فكان أن حقّقنا نجاحات باهرة، وعلينا أن ننظر بعين البصيرة لهذه الإنجازات الكبرى التي حقّقها هذا النظام؛ فنظام مستقل مستند لأحكام الإسلام النورانيّة، ونظام قوامه الجدارة في الحاكميّة، نظام يتملك الجماهير فيه الشعور بالتديّن، ومستقبل يزدهر بتحقّق كامل الأحكام الإسلاميّة.

(١٦١) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٧٩/١١/١١هـ.ش.

ج. ٤. **الإيمان الدينيّ**: يذكر الإمام الخامنئي أنّ هناك علاقةً ذات جهتَين أو طرفَين بين الإيمان والمعتقدات الدينيّة للناس في تشكل الحكومة الدينيّة الشعبيّة ووظيفة الحكومة في حفظ الإيمان الدينيّ، ويقول:

إنّ الغاية التي تطمح إليها الحكومة الإسلاميّة تتمثّل في إخراج العباد من الظلمات إلى النور [...] فغاية الدين هي إخراج الإنسان من ظلمات الأنانيّة وحبّ الذات والشهوة والتقوقع بين ركام القضايا الشخصيّة والتجرّد عن التقوى في التعامل مع الآخرين ومع سائر الأشياء والظواهر الكونيّة، وإدخاله في النور؛ نور الإخلاص والصفاء والتقوى، نور المعنويّات والهدى والهمّة العالية في سبيل الله، وفي مثل هذه الحالة يتحوّل المجتمع إلى مجتمع نورانيّ. إنّني أعتقد اعتقادًا راسخًا أنّ من الأساليب المهمّة للغاية والجوهريّة في قيام صرح الجمهوريّة الإسلاميّة وصموده بوجه الممارسات الخبيثة التي دأبت عليها قوى الشرّ والتعسّف وأذنابها وعملاؤها هي تلك النورانيّة التي تستبطنها الجمهوريّة الإسلاميّة، سواء لدى الجماهير أو في القوانين أو في ضمير المسؤولين المتواجدين في جميع مفاصل البلاد والحمد لله[١٦٢].

وعليه، فالإمام الخامنئي يعتقد أنّ الحكومة التي تتشكّل على أساس الإيمان والنورانيّة ينبغي أن تحفظ الإيمان الدينيّ للناس، ليتسنّى للناس المقاومة والثبات وأن يكونوا سندًا للمسؤولين وأن يشرحوا صدورهم للأخطار[١٦٣].

ج.٥. **الانتخاب الشعبيّ**: في المجتمع الذي يتشكّل على أسس القوانين الإلهيّة والمعتقد بحاكميّة الله المطلقة، وتكون معتقدات الناس الدينيّة أساس عموم توجّهاتها المختلفة، فإنّ شكل الحكومة أيضًا يتمّ تنظيمه بانتخاب الناس واختيارهم. يقول الإمام:

ثمّة وجهَين للحاكميّة الشعبيّة [...] الأوّل يتلخّص في إقرار نظام ما طبقًا لرأي الشعب ورؤيته؛ أي أن يختار الشعب النظام، والحكومة، والنوّاب، والمسؤولين الكبار، سواء أكان ذلك الانتخاب مباشرًا أو غير مباشر[١٦٤].

---

(١٦٢) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/٥/١٣هـ.ش.؛ وكلام للإمام الخامنئي بحضور المسؤولين والمشرفين على قوافل الحجّاج الإيرانيّين، بتاريخ ٤ ذي القعدة ١٤٢١هـ.

(١٦٣) صحيفة اطّلاعات، ١٣٧٩/٩/١٥هـ.ش.

(١٦٤) صحيفة اطّلاعات، ١٣٧٩/٩/١هـ.ش.؛ و١٣٧٩/٩/٢٦هـ.ش.؛ وكلام للإمام الخامنئي

«وأمّا الوجه الآخر لقضيّة الحاكميّة الشعبيّة فيتعلّق بنا نحن المسؤولون، الذين انتخبهم الشعب، حيث تقع على كواهلنا مسؤوليّات جدّيّة و حقيقة»(١٦٥).

وعليه، وبناءً لرأيه، «للحاكميّة الدينيّة الشعبيّة وجهان، أحدهما دور الشعب في تشكيل الحكومة واختيار المسؤولين، والوجه الآخر الاهتمام بمشاكل الناس وشؤونهم».

ج.٦. **القيم أو النزعة القيميّة**: في نظام سيادة الشعب الدينيّة الذي تشكّل تعاليم الدين وإيمان الناس واعتقادهم الدينيّ ركنَيه الأساسيَّين، «ليس النظام الإسلاميّ نظام أفراد بل نظام قيم»(١٦٦). المقولة والشعار الأساس للشعب هي أنّه على الجميع أن يوجدوا الطرق ويتوسّلوا السبل من أجل تقوية النظام وإصلاح الأعمال والمناهج، وحلّ العقد، وتبيين القيم والأهداف، والاستفادة من القدرات العظيمة للابتكار والحركة والإرادة، ودافعيّة الناس وإيمانهم، وفتح الطريق نحو القيم الساميّة لهذا النظام الذي يريد إيصال الجميع إلى السعادة(١٦٧).

ج.٧. **محوريّة التكليف [أداء الوظيفة]**: يشير الإمام القائد في العديد من المناسبات إلى وجود ركنَين ووجهَين اثنين للحاكميّة الشعبيّة الدينيّة: أحدهما دور الناس في إيجاد [انبثاق] النظام السياسيّ؛ والآخر [اتّجاه] الحكومة والمسؤولين لتأمين مصالح الناس(١٦٨). ومن اللافت أنّه يؤمن في كلا الوجهَين أنّ أساس الانتخاب والعمل هو على قاعدة التكليف والوظيفة الشرعيّة، وبالطبع فإنّ حاجة هذه الوظيفة [مقدّمة القيام بها]

---

بحضور كبار مسؤولي النظام الإسلاميّ، بتاريخ ٥ رمضان ١٤٢١هـ.

(١٦٥) صحيفة انتخاب، ١٣٨٠/٨/١٢هـ.ش.؛ وكلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٥ رمضان ١٤٢١هـ.

(١٦٦) صحيفة شما، ١٣٧٩/٤/٢٣هـ.ش.

(١٦٧) صحيفة اطّلاعات، ١٣٧٩/٩/١هـ.ش.

(١٦٨) صحيفة اطّلاعات، ١٣٧٩/٩/١٥هـ.ش.

المسبقة هي تحصيل المعرفة. «في نظام السيادة الشعبيّة الدينيّة، على الناس أن ينتخبوا، وليعرفوا وليقرّروا ليصبح التكليف الشرعيّ منجزًا بحقّهم. فبدون المعرفة والاطّلاع والإرادة لن يكون هناك تكليف [لن ينجز التكليف]»[١٦٩]. وعليه، فالميزة الأساسيّة والخاصّيّة المهمّة للسيادة الشعبيّة الدينيّة هي أنه، في البداية، يحصل الوعي والاطّلاع، ثمّ بناءً عليه تتشكّل مختلف التصرّفات. يقول الإمام الخامنئي في لقائه مسؤولي النظام:

> فليبذل كلّ منكم جهده، وليطابق نفسه مع النموذج الإسلاميّ، واجعلوا من دينكم وتقواكم واهتمامكم بأمور الناس ومراعاتكم للأحكام الشرعيّة ورعايتكم لبيت المال والاجتناب عن الأنانيّة وحبّ النفس ومحاباة الأصدقاء والأقارب والابتعاد عن الكسل والبطالة وحبّ الشهوات وما إلى ذلك متطابقًا مع النموذج الإسلاميّ[١٧٠].

ويقول أيضًا:

> إذا ما أراد الحكّام وأصحاب المناصب في النظام الإسلاميّ الاضطلاع بهذه الواجبات فهم بحاجة إلى خصلة أخرى هي الإخلاص لله والعمل في سبيله وإدامة الاتّصال به؛ فلا يقتصر ارتباط القائم على الأمور وصاحب المنصب في النظام الإسلاميّ على العلاقة مع الأمّة، فإذا لم يوثّق علاقته بالله تعالى تعثّر العمل من أجل الناس وخدمتهم[١٧١].

**ج.٨. لياقة الحكم [الكفاءة]:** من مميّزات الحاكميّة الإلهيّة ومحوريّة الدين والإيمان الشعبيّ والاتّجاه التكليفيّ [العمل بالتكليف] الاستنتاج أنّ من الخصائص البارزة للسيادة الشعبيّة الدينيّة أنّ قيادة المجتمع والمسؤوليّات الحكوميّة ينبغي أن تكون في أيدي الصالحين، وأنّ الناس المؤمنين ينتخبون - استنادًا إلى الملاكات والمعايير الدينيّة - أليَق الناس وأكثرهم كفاءةً. يقول الإمام القائد واصفًا هكذا نظام:

> نظام مستقلّ مستند لأحكام الإسلام النورانيّة، ونظام قوامه الجدارة في الحاكميّة، نظام

(١٦٩) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٨٠/٩/١٥هـ.ش.

(١٧٠) صحيفة اطّلاعات، ١٣٧٩/٩/٢٦هـ.ش.

(١٧١) كلام للإمام الخامنئي في لقاء مجلس الخبراء، بتاريخ ١٣٨٠/٦/١٥هـ.ش.

يتملك الجماهير فيه الشعور بالتديّن، ومستقبل يزدهر بتحقّق كامل الأحكام الإسلاميّة إن شاء الله، كلّ ذلك يثقل كواهلنا بمسؤوليّات جسام[١٧٢].

ج.٩. **محوريّة القانون والنظام:** بُنيَ نظام السيادة الشعبيّة الدينيّة على أساس وقاعدة ميثاق عموميّ عامّ، وفي هذا النظام اعتقاد بأنّ الوصول إلى الأهداف والقيم وتحقّق الفضائل والوظائف ممكن في ظلّ استقرار القانون والنظام. «إنّ التقدّم الشامل وتطوّر البلاد غير ممكن بدون العدالة، ولا تتحقّق العدالة إلّا مع استقرار النظام وسيادة القانون»[١٧٣]. لذلك، بناءً لفكر الإمام الخامنئي: «إنّ دستورنا هو ميثاقنا الشعبيّ والدينيّ والثوريّ العظيم، والإسلام الذي يمثّل كلّ شيء بالنسبة لنا قد تبلور وتجسّد في الدستور»[١٧٤].

ج.١٠. **الرضا والقبول:** الناس في النظام الإسلاميّ بمثابة «العلّة الفاعليّة» وفي موقع «وليّ النعمة». تتمثّل ناتج أهداف السيادة الشعبيّة الدينيّة والقيم والشعارات التي تحويها، في الحقيقة، في أنّ الناس في هكذا نظام ومن خلال الحافز الدينيّ والشعور بالمسؤوليّة تحمي أركان النظام وتدافع عنه، «لأنّ النظام الإسلاميّ والبلاد متعلّقان بالناس ومرتبطان بالناس»[١٧٥].

---

(١٧٢) صحيفة كيهان، ١٣٧٩/٨/٢٩هـ.ش.

(١٧٣) دوريّة شما، ١٣٧٩/٤/٢٣هـ.ش. وقال في ١٥ محرّم ١٤٢١هـ بمناسبة أسبوع الشباب:
إنّ الإسلام هو الذي يشكّل دستورنا ويقود قوانيننا، والعدالة الاجتماعيّة تقع على رأس القيم التي وصّى بها هذا الدين. فإن لم يعمل المسؤولون في البلاد على توفير العدالة الاجتماعيّة، والتغلّب على الفقر في المجتمع، وتقليل الفوارق بين الطبقات الفقيرة والغنيّة، لَزَهد فيهم الشعب وأدار لهم ظهره ورفضهم كمسؤولين يحبّهم ويقبل بهم.

(١٧٤) صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٧٩/٩/١هـ.ش.

(١٧٥) كلام للإمام الخامنئي في لقائه مع مجلس الخبراء، بتاريخ ١٣٨٠/٦/١٥هـ.ش. وقال في ١٦ جمادى١ ١٤٢١:
بيد أنّ معنى حاكميّة الشعب هو انبثاق النظام السياسيّ والقائمين عليه من صميم الشعب، وهذا هو المعنى الحقيقيّ للكلمة، فمتى ما تضافرت إرادة الشعب وعواطفه وإيمانه وحبّه وشعوره بالمصلحة في إقامة النظام السياسيّ، إذ ذاك تتحقّق حاكميّة الشعب بحقيقتها.

النظام المتّكئ على رأي الناس وفكرها وإيمانها، فلا يمكن إنكار ذلك، وإنّ الناس قد انتخبت أصل النظام(١٧٦).

وعليه، إنّ أولياء النعمة في هذا النظام، وكذلك العاملين والمسؤولين، يقومون بالخدمة ويتقبّلون الخدمة برضًا تامّ وبإخلاص(١٧٧).

القدرة، والعزّة، والكرامة، وحسن السمعة، والإمكانيّات جميعها، في المنطق الإسلاميّ، إنّما تكمن في خدمة الشعب فقط، والسير بالنفس والمجتمع والبلاد في طريق النظام الإسلاميّ المقدّس، وبلوغ الطموحات الرفيعة التي يصبو إليها بنو الإنسان. إنّ المنصب تنافس للخدمة والكدح، فلينزل إلى الساحة كلّ من لديه الاستعداد للعمل أكثر من الآخرين، ولا تراوده المطامع التي تراود المسؤولين في سائر الدول من مناصبهم ومواقعهم، ولا يتصوّر أحد أنّ بلوغ منصب الرئاسة يفترض معه الحصول على الكثير من المزايا كما هو متعارف ورائج في العالم(١٧٨).

ويقول مخاطبًا المسؤولين:

> فليبذل كلّ منكم جهده، وليطابق نفسه مع النموذج الإسلاميّ، واجعلوا من دينكم وتقواكم واهتمامكم بأمور الناس ومراعاتكم للأحكام الشرعيّة ورعايتكم لبيت المال والاجتناب عن الأنانيّة وحبّ النفس ومحاباة الأصدقاء والأقارب والابتعاد عن الكسل والبطالة وحبّ الشهوات وما إلى ذلك متطابقًا مع النموذج الإسلاميّ. وبوسع كلّ منكم أن يقوم بواجبه في هذه المجالات وأن يشقّ طريقه إلى الأمام وأن يبني نفسه(١٧٩).

## استنتاج

اقتضت مراعاة التناسب بين عنوان المقالة واتّساع الموضوع، ومشكلة عدم إمكان التعرّض لجميع المسائل، أن يصبّ الكاتب جهده في إطار

---

(١٧٦) صحيفة كيهان، ١٣٧٩/٨/٢٨هـ.ش.

(١٧٧) يوميّة الجمهوريّة الإسلاميّة، ١٣٧٩/٩/١٣هـ.ش.

(١٧٨) كلام للإمام الخامنئي في محافظة جيلان، بتاريخ ٧ صفر ١٤٢٢هـ.

(١٧٩) كلام للإمام الخامنئي في لقاء كبار مسؤولي النظام، بتاريخ ٥ رمضان ١٤٢١هـ.

البحث حول ثلاثة محاور أساسيّة للفلسفة السياسيّة في فكر الإمام الخامنئي. وإنّنا نعتقد أنّ التوجّه إلى «الإنسان» كموضوع أساسيّ للفلسفة السياسيّة في «المجتمع»، الذي يُعدّ أهمّ ظرف لكلّ الظواهر السياسيّة، من المسائل التي على قدر كبير من الأهمّيّة للفلسفة السياسيّة. كما أنّ مفهوم «القدرة السياسيّة» السيّال والانتزاعيّ كان، على مرّ التاريخ، محلّ نظر واهتمام فلاسفة السياسة. وفي النهاية، تركّز البحث على مسألة محوريّة دائرة الفلسفة السياسيّة؛ أي بحث «النظام السياسيّ»، و«الحكومة الإسلاميّة»، و«السيادة الدينيّة الشعبيّة»، من وجهة نظر وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئي.

# الكلام السياسيّ في فكر الإمام الخامنئي (دام ظلّه)

الدكتور غلام رضا بهروزلك

ترجمة الشيخ عليّ ظاهر

## تمهيد

شهد الفكر السياسيّ الإسلاميّ في القرون الأخيرة تحوّلات أساسيّة وتجديديّة مهمّة. ويمكننا العثور على أهمّ وأبرز تحوّل في الفكر السياسيّ الإسلاميّ في تحوّلات الثورة الإسلاميّة في إيران وآراء وأفكار قادتها. ففكر الإمام الخميني وآراؤه كمؤسّس لأوّل نظام سياسيّ أصيل وشيعيّ في إيران على درجة كبيرة من الأهمّيّة. كما أنّ الفكر السياسيّ للإمام الخامنئي، كتلميذ وفيّ للإمام ورفيق له، يحوز على دور ومكانة مهمَّين أيضًا. فالرؤية الحكيمة والتجربة العمليّة لقادة الثورة الإسلاميّة في خضمّ الحوادث المختلفة، قرابة العقدَين من الزمن، تُبرز أهمّيّة وقيمة الالتفات إلى أفكارهما وآرائهما السياسيّة. والبحث عن نظريّات ورؤى وأفكار الإمام الخامنئي السياسيّة يمكن تناوله في مجالات الفكر السياسيّ المختلفة، وهذه المقالة بصدد البحث الإجماليّ للإطلالة على أهمّ آرائه في الكلام السياسيّ.

### ١. ماهيّة الكلام السياسيّ في فكر الإمام الخامنئي

الكلام السياسيّ أحد المجالات المهمّة في الفكر السياسيّ، خصوصًا على مستوى الفكر السياسيّ الشيعيّ. مع أنّه يندر أن اختصّ الكلام السياسيّ بأبحاث مستقلّة في التراث السياسيّ الإسلاميّ، بنحو مستقلّ،

كنظائره في الفقه السياسيّ والفلسفة السياسيّة، لأنّ أبحاث الكلام السياسيّ كانت تُطرح دائمًا في الكتب والنصوص الكلاميّة. بسبب محوريّة الإمامة ودورها، عند مذهب التشيّع، كإحدى الأصول الأساسيّة في المذهب، فقد خاض الأعلام في دراسة ومعالجة الأبحاث السياسيّة عمليًا ضمن مسائل الإمامة، وقد يتمّ أحيانًا معالجتها في زاوية ما بنحو مستقلّ. أمّا أهل السنّة، فقد عالجوا مسائل الكلام السياسيّ بشكل مستقلّ، وهم، وإن اعتبروا الإمامة بحثًا فرعيًا ومتّصلًا بالفقه، إلّا أنّهم، وفي ظلّ مناقشاتهم لنظريّات الشيعة الكلاميّة في الإمامة، أوجدوا حيّزًا خاصًّا للكلام السياسيّ.

إنّ الكلام السياسيّ يشكّل قضيّةً حقيقيّةً في الفكر السياسيّ الإسلاميّ، ويُعدّ أحد فروع علم الكلام، وهو من هذه الجهة تابع لمميّزات علم الكلام وخصائصه. ومن هذه الجهة، ينبغي عند تبيين وتعريف الكلام السياسيّ الإطلالة أيضًا على تعريف علم الكلام. وبالالتفات إلى خصائص علم الكلام يمكن أيضًا تعريف الكلام السياسيّ على هذا النحو: «الكلام السياسيّ هو أحد فروع علم الكلام، يبحث في تبيين وتحليل التعاليم والمفاهيم الايمانيّة والرؤى الواسعة للدين في باب مسائل السياسة وشؤونها، ويدافع عنها في قبال النظريّات والتعاليم المقابلة»[1]. يُراد من هذا التعريف إظهار ثلاث خصائص لعلم الكلام :الارتباط بالعقائد الايمانيّة، خاصيّة التبيين والتوضيح للكلام، والخاصيّة الدفاعيّة له. كذلك يمكن اعتبار موضوع الكلام السياسيّ العقائد السياسيّة الدينيّة. وهكذا موضوع يتماثل ويتماهى مع الموضوع المختار - علم الكلام - الذي تشكل «العقائد الدينيّة» محوره.

(١) فيما يتعلّق بماهيّة الكلام السياسيّ، راجع، غلامرضا بهروزلك، «ماهيّة الكلام السياسيّ»، في: فصليّة قبسات، العدد ٢٨.

إنّ وجه جامعيّة هذا الموضوع يعود إلى شموله على المفاهيم والتعاليم السياسيّة الدينيّة التي ترتبط بالأصول الاعتقاديّة، ووجه المانعيّة فيه هو خروج أبحاث الفقه السياسيّ منه، حيث تعود إلى مكانها في متن فروع الدين وترتبط أكثر بالتكاليف الجزئيّة في الساحة السياسيّة.

المراد من العقائد الدينيّة في تعريف الكلام السياسيّ نظر الدين العميق والدقيق للأمور المختلفة. من هذه الحيثيّة، لا تتحوّل العقائد الدينيّة إلى أصول عقائديّة محضة، بل تشمل كلّ رؤية ذات أهمّيّة تتعلّق بنظر الدين إلى القضايا المختلفة التي تتعلّق بالدنيا والآخرة والإنسان. وهذه المسألة يمكن طرحها من جهتَين وبلحاظَين: الأوّل؛ طرح الأبحاث الكلّيّة (العامّة) في الكلام التقليديّ عندنا وكذلك الكثير من أبحاث الكلام الجديد ضمن رؤية الدين للمسائل المختلفة. كما أنّ بعض الباحثين ذكر أنّ الأبحاث الكلاميّة تنقسم إلى مجموعتَين: فبعضها يرجع إلى الأصول العقائديّة مباشرةً، أشمل وأعمّ من أصول الدين أو أصول المذهب. وبعضها الآخر يشمل كافّة الأبحاث الاعتقاديّة البحتة[٢].

من البديهيّ أنّ الاختلاف في الأبحاث التي تدخل ضمن أصول الدين يمكن أن يخرج من مذهب اعتقاديّ ما، لكنّ الاختلاف في الفئة الثانية ليس على هذا النحو.

وكنموذج لذلك، يمكن الإشارة إلى بحث الحسن والقبح في الكلام التقليديّ ومسألة توقّع البشر من الدين في الكلام الجديد التي هي أبحاث عميقة واسعة، وهي ليست بالضرورة أبحاثًا عقائديّةً أصوليّةً، وترجع إلى كلّيّات الاعتقاد الدينيّ والأبحاث المتّصلة به.

---

(٢) انظر، جوادي الآملي، ولاية الفقيه: ولاية الفقاهة والعدالة (قم: دار الإسراء للنشر، ١٣٧٨هـ.ش.)، الصفحة ٩٨.

إنّ الأبحاث الكلاميّة من جهة أخرى ليست بالضرورة أصولًا اعتقاديّةً دينيّةً بمعناها الخاصّ، ويرجع ذلك إلى الوجه الدفاعيّ لعلم الكلام. كنموذج على ذلك، الأبحاث الدفاعيّة في علم الكلام التي يُراد منها الدفاع عن الرؤى الدينيّة الاعتقاديّة في الأبحاث والمسائل الفقهيّة، والتي لا تعود بالضرورة إلى الأصول الاعتقاديّة. فوظيفة المتكلّم هنا الدفاع عن عموم النظريّات الاعتقاديّة الدينيّة، في حين يكون دور الفقيه إثبات التكاليف والأحكام الإسلاميّة.

بناءً على هذا التعريف للكلام السياسيّ، تكون الأبحاث الكلاميّة السياسيّة في فكر آية الله الإمام الخامنئي عبارةً عن تلك المجموعة من الأبحاث السياسيّة، التي هي بنظرة واسعة في صدد بيان وشرح التعاليم والعقائد السياسيّة الإسلاميّة وتقوم على الدفاع عنها في مقابل النظريّات الأخرى المخالفة. وقد أكّد سماحته في أبحاثه على أهمّيّة علم الكلام وأوصى الحوزات العلميّة ودعاها إلى الاهتمام به لموازاة علوم الفقه والتغيير. واعتبر أنّ البحث عن المسائل الكلاميّة–الفلسفيّة في النظريّة الإسلاميّة، ونظرًا للهجمة الغربيّة الفكريّة والثقافيّة، واهتمام العالم بالأصول والمبادئ الإسلاميّة، أمر ضروريّ بالنسبة لعالم اليوم.

فحينما نشاهد أنّ العلم الذي انطلقت هذه الحركة السياسيّة على أساسه – أي العلوم والمعارف الإسلاميّة والكلام الإسلاميّ والفقه الإسلاميّ – يحظى اليوم بكلّ هذا الاهتمام من قبل الأوساط العلميّة والسياسيّة العالميّة، يجب علينا بذل المزيد من الاهتمام والدقّة وتقييم عملنا من جديد بصفتنا علماء دين وأصحاب رأي في القضايا الدينيّة[٣].

من هذه الجهة، ونظرًا إلى سعة الفكر الإسلاميّ، فإنّ العمل على الأبحاث الكلاميّة السياسيّة، كأحد عناوين أقسام الأبحاث الكلاميّة، سيكون ضروريًا.

---

(٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٨/٦/٢٨هـ.ش.

## ٢. مبادئ الكلام السياسيّ

المراد من مبادئ الكلام السياسيّ مجموعة الأبحاث التي تشكّل الأسس والقواعد النظريّة لآراء ونظريّات الكلام السياسيّ. وهذه الأبحاث تُطرح ضمن الأبحاث الكلاميّة العامّة واستُخدمت تحت عنوان الأصول الموضوعة، لا كبحث مستقلّ في أبحاث الكلام السياسيّ. وإن كان بالإمكان، من هذه الحيثيّة، جعل كثير من الموضوعات أصولًا موضوعةً لأبحاث الكلام السياسيّ، إلّا أنّ المراد من مباني الكلام السياسيّ هنا، بالتحديد، مجموعة الأبحاث التي تُظهر كيفيّة اتّخاذ الموقف إزاءها، وهي نموذج بارز في مسائل الكلام السياسيّ. ومن هذه الحيثيّة، توجد مدخليّة لجملة أبحاث. ومن هذه الجهة أيضًا، يمكن العثور على بعض المحاور المهمّة لمباني الكلام السياسيّ في أبحاث علم المعرفة، ومعرفة الوجود، وعلم الأنسنة، وعلم الغاية.

ينبغي الاستقصاء عن أوّل مبنًى لأبحاث الكلام السياسيّ في كيفيّة النظر إلى علم المعرفة وانعكاسه في الأبحاث الكلاميّة. وإنّ دور الأبحاث المعرفيّة في هذا الميدان يظهر مع فرض اعتبار المعرفة البشريّة تامّةً ومستغنيةً عن الاستمداد بالوحي، ففي هذه الحالة، سيكون الإنسان قادرًا بنفسه على تقديم نظريّات للحياة السياسيّة. وفي أبحاث الإمام الخامنئي، مع قبوله بحجّيّة العقل في المعرفة البشريّة، إلّا أنّه لا يعتبره مستغنيًا عن مساعدة الوحي. يقول مستندًا إلى حديث الإمام الصادق:

ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام ورد الحثّ على اجتناب خصلتَين، يهلك بهما كثيرون، إحداهما أن تفتي برأيك في المسائل الدينيّة. أحيانًا يظهر الإنسان ما يدركه عقله في مسائل، فلا مانع من ذلك؛ لكن في أمر الشريعة لا يمكن الإفتاء بالرأي، وينبغي أخذ ذلك وتعلّمه من أهل الشرع، ثمّ يدلي بما فهمه. بالطبع ليس المقصود من هذه الرواية أصول الدين التي ينبغي إدراكها بالعقل والتفهيم العقليّ، بل المراد هو أحكام الدين وفروعه الشرعيّة، وسبب ذلك أنّ الدين هو لإدارة حياة البشر، والذي يعرف الناس وصلاحهم هو الله تعالى. لذا فهو من يقدّم الدين للناس، وإلّا فهم أنفسهم لديهم

جهالة تامّة في هذا الجانب، وعندها ينبغي على الإنسان أن يبحث عن الأمور التي لا علم لديه بها. ولا يمكن التديّن والالتزام بالظنّ والتوهّم بشيء واعتباره من الدين.

ولازم هكذا استدلال اتّباع صاحب الشريعة في تنظيم الحياة الدنيويّة الفرديّة والاجتماعيّة. وأن تستحوذ هدفيّة الوجود ودور السنن الإلهيّة في ميدان علم المعرفة على أهمّيّة كبيرة. وقد بيّن أيضًا من هذه الجهة، التي هي في الميدان الاجتماعيّ والسياسيّ، مظاهر ونماذج هذه السنن الحاكمة على عالم الوجود. حيث قال مشيرًا إلى مورد في السنّة الإلهيّة لأتباع طريق الحقّ:

فحيثما توفّر التدبير والعمل والجدّ سيعطي ثماره، وهذه سنّة إلهيّة. فحتّى الذين يسعون وراء المادّيّات المحضة، بعيدًا عن المعنويّات، سينالونها إن توفّرت لديهم الإدارة والتدبير الصحيح وتحلّوا بالجدّ والاجتهاد ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، وهذا هو صريح القرآن وليس البحث هنا، وإنّما الكلام فيما إذا كان السعي والعمل وراء المادّيّات، إذ ذاك ستحصل الثروة والقدرة ولكن بلا سعادة.

طبقًا للمنهج الحِكميّ-الكلاميّ [الفلسفيّ-العقائديّ] الشيعيّ، أكّد أيضًا، من زاوية علم المعرفة، على محوريّة التوحيد والربوبيّة الإلهيّة، والحكمة وإتقان عالم الوجود والسنن الإلهيّة في المجتمع والتاريخ. وخلافًا للرؤى التقليديّة التي تفهم التوحيد وتعرضه بصورة منفصلة عن الميدان السياسيّ والاجتماعيّ، بناءً لرؤيته، فإنّ للتوحيد أبعادًا سياسيّةً-اجتماعيّةً تامّةً ومحتّمةً حاكمةً على مفاصل وجزئيّات الحياة الجمعيّة للناس:

الإسلام دين التوحيد، والتوحيد يعني خلاص الإنسان من العبوديّة والطاعة والتسليم لأيّ شيء أو أيّ شخص سوى الله، ويعني تحطيم كلّ قيود النظام السلطويّ الإنسانيّ، ويعني كسر سرّ الخوف من القوى الشيطانيّة والمادّيّة، ويعني الاعتماد على الطاقات المطلقة التي أودعها الله في وجود الإنسان وطلب منه الاستفادة منها كفريضة لا يمكن التخلّف عنها. أي الاعتماد على الوعود الإلهيّة بانتصار المستضعفين على الظالمين والمستكبرين شريطة القيام والكفاح والثبات.

إنّنا نجد في عصر التسلّط الاستكباريّ أنّ الغفلة عن التوحيد الإسلاميّ الأصيل ومفهومه الحياتيّ الشامل هي التي تركت الساحة مفتوحةً للآلهة الاستعماريّة وفسحت المجال لآلهة التبر والقهر لتتفرّد بالساحة. لقد عمل الأعداء من خلال خطط معدّة، مسبقًا، على محو تأثيرات الدين من الساحة الحياتيّة في الأقطار الإسلاميّة مطبّقين شعارهم المبدئيّ في هذه البلاد (فصل الدين عن السياسة)، فكانت النتيجة أن تمكن التقدّم العلميّ الغربيّ من أن يحوّل هذه الأقطار والبلدان إلى قوالب تابعة للبلدان الصناعيّة، فيسهل لأيدي الناهبين الغربيّين قيادة مصيرها السياسيّ والاقتصاديّ. وإلى مدد طويلة لا تجبر خسائرها[٤].

من هذه الجهة، تعود غاية عالم الوجود وخلق الإنسان إلى الله:

فالقرب من الله، الذي هو الهدف من خلقنا، هو الهدف من الحياة الدنيا ومن العيش فيها، الهدف من الجهاد والمواجهة في سبيل قيام الحكومة الإسلاميّة أن يتمكن الإنسان من أن يصل إلى القرب الإلهيّ في ظلّ الحكومة الإسلاميّة. كما أنّ الهدف من العدالة الاجتماعيّة هو هذا، لكن، هذه العدالة لأجل ماذا؟ لأيّ هدف؟ لأجل أن يسلك الناس طريق العبوديّة لله في محيط عادل دون عوائق أو مشاكل و هواجس[٥].

من زاوية علم الأنسنة، أشار الإمام الخامنئي أيضًا إلى الجِبلّة والطينة النظيفة والنقيّة. هذه الفطرة مبتنية على جملة استعدادات خالصة ينبغي أن تثمر وتؤتي أكُلها على أيدي الأنبياء الإلهيّين والأولياء الربّانيّين:

الإنسان مجموعة استعدادات وطاقات. جملة خصال. وهذه الخصال ينمّيها النبيّ ويربّيها في الناس، النموّ الصحيح، لا الخاطئ، لأنّه من الممكن أن تنمو هذه الاستعدادات الموجودة في الناس في الجهة الخطإ. لذلك، ينبغي أوّلًا العلم والمعرفة، وهذه المعرفة هي لدى الأنبياء. وفي أيدي أولياء الله، والفنّ الكبير للأنبياء والأولياء وما يريدونه هو كشف الاستعدادات وإظهار الخصال الحسنة للإنسان وتنمية هذه الخصال[٦].

ويرى الإمام الخامنئي أنّ ماهيّة الحياة الاجتماعيّة هي السعي الجادّ والجامع (المشترك) لنيل السعادة. ولأنبياء الله والتعاليم الدينيّة في هذا

---

(٤) قال عليه السلام: «من أفتى الناس بغير علم ولا هدًى لعنته ملائكة الرحمن وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»؛ ورد في تحف العقول.

(٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/٣/١٣٦٩هـ.ش.

(٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/١٢/١٣٧٢هـ.ش.

المضمار أيضًا الدور الأساسيّ:

المجتمع، الاجتماع الإنساني بمفهومه السياسيّ هو مجموعة الناس التي تعيش ضمن القوانين والنظم الخاصّة، ويطيعون جهة قياديّة مركزيّة، ويتحرّكون نحو أهدافها بتوجيهها وإرشادها ويواجهون عدوّهم المشترك، هذا هو معنى المجتمع(٧).

على هذا المنوال، فالمجتمع التوحيديّ هو ذلك المجتمع الذي يكون تحت قيادة وإمرة الولاة والقادة الدينيّين:

لذلك عندما نقول إنّ النبيّ يريد إيجاد مجتمع إلهيّ وتوحيديّ بنظمه وترتيبه، فمعناه الأوّل هو أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله يريد أن يأخذ زمام السلطة في ذلك المجتمع، وهذه النكتة هي التي أيقظت اهتمام الأعداء وسلّطوا عداوتهم على النبيّ صلّى الله عليه وآله(٨).

## ٣. النبوّة والرسالة

في الكلام السياسيّ الشيعيّ، يُنظر للنبوّة من نافذة الاتّجاه الاجتماعيّ-السياسيّ. عمل متكلّمو الشيعة، باختيارهم المشرب العقليّ وأخذهم بحجّيّة العقل كرسول باطنيّ، على الاستفادة من الاستدلالات العقليّة، وعلى البحث في ضرورة النبوّة وأبعادها. ولهذا الغرض تمسّكوا بقاعدة اللطف في بحث النبوّة العامّة. ففي البداية، يُثبت بحث النبوّة العامّة في الكلام الشيعيّ وجه حاجة الناس إلى التكاليف الشرعيّة؛ إذ يُثبت أيضًا، من خلال ثبوت الحاجة إليها، ضرورة إرسال الرُّسُل. وقد التفت متكلّمو الشيعة أيضًا، عند إثباتهم حاجة الناس إلى التكاليف الشرعيّة، إلى البُعد السياسيّ والاجتماعيّ للتكليف.

يتمّ التأكيد عند البحث عن حاجة الإنسان إلى التكليف وإرسال الرُّسُل، وبشكل أساسيّ، على الحاجة إلى وضع تكاليف للحدّ من غلبة

(٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/٨/١٣٦٥هـ.ش.
(٨) المصدر نفسه.

القوى الشهوانيّة على العقل الآدميّ. وينطلق ذلك من حاجة الإنسان إلى وجود قوانين في الميدان الاجتماعيّ.

يطرح الخواجة نصير الدين الطوسي، في تحليله للحكم، حسن التكليف الاستدلاليّ. وخلاصة طرحه على النحو التالي:

١. بقاء النوع (الإنسان) ببقاء الأشخاص أمر حسن.

٢. لا تحصل تلك الغاية إلّا بالتعاضد والتعاون.

٣. الحياة الجماعيّة مظنّة التنازع.

٤. لا محيص، في رفعه [التنازع]، من وضع قانون وسنّة عادلة.

٥. لو اشترك الناس كلّهم في وضع القانون عاد التنازع، فلا بدّ أن يكون مستندًا إلى شخص متميّز عنهم بكمال قواه.

٦. التعرّف على ذلك الشخص يتحقّق بمعجزات تدلّ على أنّها (أي القانون والسنّة) من عند الله.

٧. الناس مختلفون في قبول الخير والشرّ حسب اختلاف أمزجتهم. فوجب أن يكون هذا الشارع (النبيّ) مؤيّدًا بالبرهان، والوعظ، وغيره.

٨. بما أنّ النبيّ لا يوجد في كلّ زمان، لكن وجب بقاء الشريعة إلى وقت اضمحلالها، ففرضت عليهم العبادات وفيها منافع ثلاث، إحداها رياضة النفس باعتبار الإمساك عن الشهوات ومنعها، الثانية: تعويد النفس النظر في الأمور الإلهيّة، الثالثة: تذكّرهم ما وعدهم الشارع من الخير والشرّ الأخرويَّين لحفظ نظام الحياة[٩].

(٩) العلّامة الحلّي، كشف المراد، تعليق جعفر السبحاني (قم: مؤسّسة الإمام الصادق (ع)، ١٣٧٥هـ.ش.)، الصفحة ٩٨.

والفرض الذي يقوم عليه هذا الاستدلال كون الإنسان اجتماعيًّا أمرًا مفروغًا منه ومبتنًى عليه.

وما يترتّب على هذا الاستدلال الكلاميّ، المبتني على ضرورة حاجة الناس إلى هداية السماء في أبحاث آية الله الإمام الخامنئي، الكشف عن الأبعاد السياسيّة-الاجتماعيّة للنبوّة. بناءً لرؤية الإمام الخامنئي، أهمّ وأبرز ميادين حركة الأنبياء الإلهيّين تعليم العلوم والهداية العلميّة للناس. يقول:

الأنبياء عليهم السلام جاؤوا أوّلًا ليعلّموا الناس الوعي والفكر. لم تعرف البشريّة التفكّر لولا الأنبياء. ونحن نعتقد أنّه لو لم تكن سلالة النبوّة في التاريخ لم تصل البشريّة اليوم إلى هذه التقنيّات والصناعة والتقدّم المادّيّ ولم يكن لديها أيضًا هذه الأنشطة العلميّة المحيّرة للعقول.

إلّا أنّ ماهيّة النبوّة هي نوع من البعث والاستثارة، تحدث داخل النبيّ نفسه، ثمّ يوجدها في محيطه وفي العالم[10].

وللحصول على هكذا دافعيّة واسعة، جهد الأنبياء لبناء الحضارة والمجتمع الإلهيّ.

كلّ من يأتي في هذا المجتمع يصبح إنسانًا؛ وإذا لم يصر إنسانًا كاملًا، لم تكتمل إنسانيّته، فهو مجبور على المضيّ في مسير الناس. ومن تكون لديه إرادة أن يكون في مجتمع النبيّ سعيدًا، يمكنه أن يكون كذلك؛ في حين أنّه ليس كذلك في المجتمعات غير الإلهيّة[11].

لقد بُعث النبيّ صلّى الله عليه وآله ليعلّم الناس ويزكّيهم، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾، وورد في مواضع أخرى ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. فلا بدّ من تعليم الناس وتزكيتهم أيضًا، كي يتسنّى لهذا المجتمع البشريّ الكبير الذي يقطن هذه المعمورة أن يطوي طريق الكمال كأسرة متوحّدة سليمة، ويتنعّم بما في هذا العالم من خيرات، وهذا هو الهدف من بعث الأنبياء؛ فكلّ مَن بُعث منهم عليهم السلام أنجز هذه المهمّة العظمى في التربية والتعليم بما كانت تسمح به الإمكانيّات المتوفّرة في زمانه [...] فأنّى وكيف يتسنّى

(١٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٠/٣/٢٧ هـ.ش.
(١١) أنوار الولاية، الصفحة ١٠.

السير بالبشريّة نحو ذلك المنزل النهائيّ؟ إنّه يتحقّق عندما تتواصل عمليّة التربية إلى جانب التعليم المتواصل الذي تمارسه الحكومة والنظام السياسيّ - ذلك النظام السياسيّ الذي يقوده أيضًا شخص مثل النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو المعصوم - حيث يقود المجتمع البشريّ ويتولّى تربيته وتهذيبه من العوالق الذميمة كي تبلغ البشريّة تلك المحطّة التي تمثّل منطلقًا للحياة السعيدة التي تحلم بها الإنسانيّة، وذاك ما نعبّر عنه بعهد وليّ العصر أرواحنا فداه[١٢].

## ٤. الإمامة والمهدويّة

الإمامة والولاية في الفكر السياسيّ الشيعيّ هي تالية تلو الرسالة والنبوّة. تقتضي قاعدة اللطف الإلهيّ، في الكلام الشيعيّ، واستمرارها لما بعد النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله، أن يعيّن وينصّب من بعده خليفةً له وإمامًا. وهذا التنصيب هو من الله تعالى، ويُعلَن ويُبلَّغ من النبيّ صلّى الله عليه وآله. وما جاء في القرآن الكريم حول تبليغ الرسالة حاكٍ عن هذه الرؤية. غالبا ما استفاد متكلّمو الشيعة في الاستدلال العقليّ على الإمامة من قاعدة اللطف أو دليل اللطف. يقول الخواجة نصير الدين الطوسي في كلام مختصر: «وجود الإمام لطف إلهيّ، وتصرّفه في أمر الإمامة وقيادة المجتمع الإسلاميّ لطف آخر، وعدم تحقّقه منّا (بسببنا)»[١٣]. أشار الخواجة الطوسي في هذه الكلمات الموجزة إلى أمور ثلاثة: الإمامة، وسبب قعود الأئمّة، وفلسفة الغيبة.

كما نرى في أبحاث الإمام الخامنئي أيضًا تأكيدًا على الرؤية الشيعيّة، حيث يعتبر الإمامة هي حكومة الله على الأرض:

الإمامة تعني الحكومة، أي القيادة، لأنّ الحكومة في الإسلام ليست حكومةً مادّيّةً محضة. فالمادّة والمعنى فيها ممتزجان معًا ومتّحدان، والحاكم لا يدير أمور حياة الناس وحسب، إنّما يدير أيضًا فكر الناس وروحهم وقلوبهم. فالحكومة عندما تُطرح تظهر

---

(١٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/١٢/٢٤ هـ.ش.

(١٣) «ووجوده لطف، وتصرّفه آخر، وعدمه منّا»؛ انظر، كشف المراد، المصدر السابق.

بمعنى الإمامة واسمها؛ جوهر الإمامة هو الخلافة الإلهيّة على الناس وعلى الأرض ولا تنتهي بقضايا حياة الناس بل ترشد قلوبهم وأرواحهم، ويندرج ضمن وظائفها توجيه أهداف الناس وفي إطارها تتشكّل منظومة حياة الشعب(١٤).

## يعتبر الإمام الخامنئي - مستندًا إلى حديث عن الإمام الرضا عليه السلام(١٥) - أنّ الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّة الآخرة:

هو نظام المسلمين، أي إنّه لا نظام للمجتمع الإسلاميّ دون الإمامة والولاية والحكومة الإسلاميّة. فالذي يضفي النظم على المجتمع هو اليد المقتدرة للولاية الإلهيّة في المجتمع وصلاح الدنيا. فصلاح الدنيا في الأصل، أي ذلك الشيء الذي يعمر الدنيا، هو الحاكميّة الإسلاميّة التي لو أفرغناها من الدين ومن مجموعة الأحكام فمن المؤكّد أنّه لن يبقى شيء له تلك الآثار(١٦).

حتّى أنّ أساس الدين يبقى بوجود الإمام المعصوم. جعلت الحكومة - بهذا اللحاظ - في مركز ونظام الإمامة، ومن دون حكومة وولاية الأئمّة «سيكون الدين مجموعة أحكام متفرّقة ومتشتّتة بحيث لن تستطيع - حقًّا ويقينًا - أن تؤدّي رسالتها الأساسيّة التي هي هداية الناس وإيجاد الجنّة في هذه الدنيا وإيصال الناس إلى الكمال». فهذا النظام مختلف كلّيًّا عن الأنظمة الاستبداديّة والملكيّة وهو في الجهة المقابلة لها تمامًا(١٧).

## إنّ ماهيّة الحكومة الإسلاميّة وماهيّة نظام الإمامة أنّه نظام شعبيّ.

في صدر الإسلام، وإلى ما بعد ارتحال النبيّ الأكرم (ص) بفترة، كانت حكومة المجتمع الإسلاميّ حكومةً شعبيّةً. وفي عهد أمير المؤمنين (ع)، كان للناس دخالة في ساحة الحكومة بنحو واقعيّ، يبدون رأيهم، يقرّرون، وكان حقّ المشورة - الذي دعا الله تعالى نبيّه إليه في القرآن - متعلّقًا بالناس حيث كان الأمر ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(١٨).

---

(١٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٧/٣/١٩هـ.ش.

(١٥) في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين»؛ انظر، عزيزالله عطاردي الخبوشاني، **مسند الإمام الرضا** (ع) (مشهد: المؤتمر العالميّ للإمام الرضا، ١٤٠٦هـ)، الجزء ١، الصفحة ٩٨.

(١٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٦/١١/٢هـ.ش.

(١٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/١/١٦هـ.ش.

(١٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٢/٥/١٤هـ.ش.

من المؤكّد أنّه في نظام الإمامة - كما في عصر النبيّ - «لا شأن للناس في تعيين الحاكم المعيّن من الله تعالى. فالناس، سواء علموا أم لم يعلموا، شاؤوا أم أبوا، النبيّ هو إمام المجتمع وزعيمه وحاكمه». فمن هذه الجهة، في عصر الأئمّة عليهم السلام، على الرغم من أنّهم لم يحكموا في المجتمع ولم يُعرفوا بين الناس كحاكمين، إلّا أنّ كلّ شؤون الإمامة والقيادة متعلّقة بهم [دون غيرهم]، ولذلك فقد كانوا يسعون لتتحقّق شروط ولايتهم وظروف حاكميّتهم. والنموذج البارز لتلك الحركة، الإمام السجّاد عليه السلام - خلافًا لما قد يُتصوّر عن حركته التبليغيّة - حيث إنّ مقدّمات ولايته تحتاج إلى ثلاثة أمور، ومن دون التمهيد لها لا سبيل لإقامة الحكومة الإسلاميّة:

> الأوّل، أن يعرّف الناس على تعاليم الإسلام وفكره الصحيح [...] الثاني، أن يوضح لهم ويبيّن حقيقة مسألة الإمامة، أي الحكومة الإسلاميّة وحاكميّة أئمّة الإسلام الحقيقيّين [...] الثالث، أن يوجدوا نوع تشكيلات وجماعة من الأصحاب ليكونوا بمثابة الكادر العامل والباني لجهاز [عمل] الإمامة. ومع هذه الأعمال الثلاثة يمكن أن تتهيّأ الأرضيّة لتشكيل الحكومة الإسلاميّة والنظام العلويّ(١٩).

من الأدلّة الواضحة - برأي الإمام الخامنئي - على سعي الأئمّة عليهم السلام للإمساك بالسلطة السياسيّة أنه:

> لو لم يكن الأئمّة عليهم السلام دعاة الحكومة، ولو نسب إليهم علم الأوّلين والآخرين، ولم يكن هناك بحث السلطة السياسيّة والدعوة إلى الاقتدار السياسيّ، لم يكن ليواجهوا أيّ قمع او اعتراض؛ ولا أقلّه لم يكن ليلحق بهم بهذا النحو من الشدّة(٢٠).

المهدويّة (وانتظار الفرج) بعنوان [الدعوة إلى] التحقّق الكامل لنظام الإمامة هي إحدى التعاليم الشيعيّة الباعثة على الأمل. فعلى الرغم من أنّ ظهور الفرج والمنجي الموعود مطروح في كافّة الأديان السماويّة؛ إلّا أنّ الخصلة البارزة في الفكر الشيعيّ هي الاعتقاد بحضوره القطعيّ وإنّ حضرة تلك الشخصيّة مشخّصة من وراء تلك الغيبة. وهذا الأمر باعث على الأمل والمستقبل المشرق للمسلمين وللشيعة.

---

(١٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٦/٥/١٣٦١هـ.ش.

(٢٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢ /١١/ ١٣٦٦هـ.ش.

إذا استثنينا وحذفنا قضيّة الخاتمة الحسنة والنهاية العادلة للتاريخ من حياة البشر فستغرق الدنيا في ظلمات اليأس [...] إنّ مسالة المجتمع المستقبليّ للبشريّة والمجتمع القائم على الفكر والتعاليم الإسلاميّة، في مسألة الانتظار والمهدويّة والاعتقاد بإمامة صاحب الزمان، عنصر أساسيّ يبقي آمال البشريّة حيّة[٢١].

سيقيم المجتمع المثاليّ المهدويّ الحضارة الإسلاميّة المتكاملة، فعلى الرغم من أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله والأنبياء السابقين والائمّة المعصومين عليهم السلام قد بذلوا جهودًا لأجل تحقيق الحضارة الإسلاميّة، إلّا أنّ تحقّق القابليّات والاستعدادات الكاملة للأهداف الإلهيّة ستكون في عصر ظهور المنجي الموعود.

في عصر الظهور، ستتحقّق الحضارة الإسلاميّة وستظهر دنيا الإسلام الحقيقيّة. يتصوّر البعض أنّ عصر ظهور بقيّة الله عجّل الله فرجه هو آخر الدنيا [نهاية الدنيا]! وأنا أقول إنّ عصر ظهور بقيّة الله تعالى هو أوّل الدنيا! هو بداية حركة الإنسان على الصراط الإلهيّ المستقيم، مع عقبات أقلّ أو من دونها، وبسرعة أكبر، ومع توفّر جميع الإمكانات لهذه الحركة[٢٢].

في ذلك المجتمع المثاليّ، يصل الإنسان إلى أعلى تكامل له وينهل من العلم الكامل.

ميزة المجتمع العقائديّ [المثاليّ] الذي سيصنعه إمام الزمان عجّل الله فرجه أنّه سيرفع من مستوى علم الانسان ومعرفته، سواء المعرفة العلميّة أو المعرفة الإسلاميّة. وهذا الأمر كان أحد الأهداف الكبرى للأنبياء عليهم السلام، حيث بيّنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة إذ قال: «ويثيروا لهم دفائن العقول»[٢٣].

العدالة إحدى الخصائص المهمّة للمجتمع المهدويّ. «المحور الأساس للاعتقاد والدنيا التي سيحضر فيها إمام الزمان عجّل الله فرجه مسألة العدل والقسط وإقامة الحدود الإلهيّة ومنح القوّة للمظلومين والمستضعفين

---

(٢١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٦/١/٢٤هـ.ش.
(٢٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/٧/١٤هـ.ش.
(٢٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٥٩/٤/٦هـ.ش.

والمحرومين في العالم»[٢٤]. بالتأكيد، ومع أنّ العدالة تتحقّق في ذلك العصر، لكن ليس هذا الأمر بمعنى انعدام الشياطين.

ففي عصر الظهور ستأتي حكومة إلهيّة، حكومة العدالة، حكومة المساواة والمواساة، حكومة الروحانيّة والمعنويّات، حكومة الفضيلة. بالطبع لا يندحر الشيطان. لا تزال هناك شياطين. وهناك مساوئ، إلّا أنّ الحاكميّة هي حاكميّة الخير، حاكميّة الحسن[٢٥].

بالطبع ينبغي الالتفات، هنا، إلى أنّ العدالة ليست هي الغاية النهائيّة إنّما الغاية في دولة المهديّ تحقّق سعادة الإنسان وعبوديّته لله تعالى.

إنّ ظهور العدالة له أهمّيّة فائقة. إلّا أنّ هذه العدالة لأجل ماذا؟ لكي يتمكّن الناس من سلوك طريق العبوديّة لله في محيط عادل دون عقبات أو موانع أو هواجس. هذه هي المسألة[٢٦].

دولة المهديّ هي، كحكومة المعصومين عليهم السلام، تقوم على الحضور الفعّال للناس في الميدان السياسيّ-الاجتماعيّ:

يثبّت إمام الزمان من خلال آحاد الناس المؤمنين - وبالاعتماد عليهم - أركان العدل الإلهيّ في كلّ أرجاء الدنيا؛ يقيم حكومة شعبيّة ١٠٠٪. إلّا أنّ الفرق بين هذه الحكومة الشعبيّة وبين حكومات العصر المدّعية للشعبويّة والديمقراطيّة هو من الأرض إلى السماء.

والسبب في ذلك أنّ المنافسة الحقيقيّة بين الديمقراطيّات الحاليّة هو بين أصحاب القدرة والثروة، «والمنافسة لو وجدت ما بين المجموعات الديكتاتوريّة فإنّها محصورة بين تلك المجموعات ليس إلّا. ولا شأن أو دور للناس فيها»[٢٧].

بالرغم من أنّنا في العصر الحاليّ محرومون من فيض حضور تلك

(٢٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٣/٢/٢٧هـ.ش.
(٢٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٧/١٠/٢٧هـ.ش.
(٢٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٢/١٢/١٠هـ.ش.
(٢٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٨١/٧/٣هـ.ش.

الحضرة، إلّا أنّ بركاتها شاملة لعصرنا:

إنّ الوجود المقدّس لحضرة الحجّة أرواحنا فداه بين الناس وعلى الأرض هو مصدر البركات، منبع العلم، مصدر التلألؤ والجمال، ومصدر كلّ الخيرات. وإنّ عيوننا الرمداء وغير المستعدّة لا ترى ذلك الوجه الملكوتيّ عن قرب، لكنّه مشعّ كالشمس، متعلّق بالقلوب، متّصل بالبواطن والأرواح، وبالنسبة للإنسان العارف، لموهبة عظيمة وفضيلة لا أسمى منها أن يشعر أنّ وليّ الله إمام الحقّ، العبد الصالح، العبد المختار من بين جميع العباد الصالحين والمخاطب بخطاب الخلافة الإلهيّة في الأرض هو إلى جانبه، يراه ومتّصل به. يحوز شعب إيران اليوم على هذا الامتياز وهو أنّ فضاء هذه البلاد هو فضاء إمام الزمان. وليس الشيعة في العالم فقط هم المنتظرون للمهديّ الموعود بل المسلمين، كلّ المسلمين في كلّ العالم(٢٨).

ولأجل الوصول إلى هكذا مجتمع ينبغي امتهان الفضيلة ورواج التقوى.

فإذا ما استطعتم أن توجدوا في مجتمعاتكم التقوى والفضيلة والتديّن والزهد والقرب من الله، في أنفسكم وفي الآخرين، عند ذلك تكونوا قد ثبّتم وأحكمتم أسس ومقدّمات ظهور وليّ العصر أكثر فأكثر صلوات الله وسلامه عليه(٢٩).

لذلك فالانتظار الفعّال والحيويّ مختلف عن الانتظار السلبيّ.

بالطبع، الوعد الإلهيّ حقّ، وإنّ استقرار العدل العالميّ سيتمّ فقط في عصر ظهور حضرة بقيّة الله أرواحنا فداه. لكنّ المؤمن والثوريّ يستطيع أن يوفّر تلك الأرضيّة لتشكيل هذه الحكومة. مثل الشعب الإيرانيّ الذي استطاع حتّى الآن التغلّب على الكثير من المشاكل(٣٠).

ويشير الإمام الخامنئي إلى وجود نظير تفكير سلبيّ ويعتبره عائقًا أمام تقدّم المجتمع الإسلاميّ وحركته:

فيما مضى، كان هناك من استفاد من مسألة إمام الزمان وقضيّة الانتظار بنحو مهين،

---

(٢٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٣/ ٩/١٣٦٢هـ.ش.
(٢٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٦/٤/١٣٥٩هـ.ش.
(٣٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٨/٤/١٣٦٨هـ.ش.

حيث جعلوا قضيّة إمام الزمان بمثابة مكبح لحركات المجتمع، إلّا أنّ الرؤية الصحيحة في هذه المسألة تقلب البحث مئة وثمانين درجة. بمعنى أنّ الناس تستفيد من نتيجة الثورة، بحيث تصبح حركة المجتمعات الإسلاميّة وحركة كلّ المجتمعات البشريّة نحو الخير والإصلاح، نحو حكومة الحقّ والعدالة، نحو تحطيم قصور الاستبداد، نحو حكومة المستضعفين، بحيث تحصل بشكلها الأكثر بروزًا في عصر ظهور وليّ الأمر عجّل الله تعالى فرجه[٣١].

## ٥. العدالة

العدالة إحدى القيم الأساسيّة في الفكر الإسلاميّ. وقد جُعلت – وخلافًا لبقيّة المذاهب – في قلب ومركز الفكر الشيعيّ. وإنّ اتّخاذ العدل كواحد من أبرزِ الصفات الإلهيّة في أصول الدين هو النموذج الواضح على هكذا اتّجاه ومنهج. العدل، بناءً للرؤية الشيعيّة، هو بمعنى التوازن ورعاية الاستحقاقات. ونرى هذه المعاني بوضوح في كلمات وأبحاث الإمام الخامنئي. يقول:

العدالة وضع كلّ شيء في مكانه. هذا هو معنى العدل. وليست العدالة بمعنى أن يكون المجتمع متساويًا. العدالة بمعنى العمل طبق الحقّ. هذه هي العدالة. إعطاء كلّ شيء وكلّ شخص حقّه[٣٢].

أو بمعنى «إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه»[٣٣]. أو بمعنى آخر، حيث يقول إنّ العدالة بمعنى الموازنة الصحيحة «أي السلوك الصحيح، والموازنة الصحيحة، الاعتدال، عدم تخطّي الحدود وترجيح طرف دون مرجّح، هذا هو العدل». في النهاية، تمايز العدل والقسط هو «العدل نفسه في المواقف الاجتماعيّة»[٣٤]. مع تحقّق هذه العدالة تتوفّر كلّ الحاجات المادّيّة والمعنويّة.

---

(٣١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٢/٣/٧هـ.ش.
(٣٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧١/١٠/١٧هـ.ش.
(٣٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٨١/٥/١٧هـ.ش.
(٣٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٩٧١/١١/١.

بهذا المعنى من العدل خلق الله عالم الوجود،

فللعدالة دور أساسيّ في الكون وفي عالم الخلق، أي إنّ سُنّة الخلق هي العدالة، وأيّ نظام يتحرّك باتّجاه هذه السّنة الطبيعيّة وقانون الخلقة الإلهيّ سيكون نصيبه الخلود والنجاح والظفر [...] وبناءً على هذا، فإنّ للعدالة – على ضوء الرؤية الإلهيّة – جذورًا تكوينيّة وطبيعيّةً في عالم التكوين(٣٥).

بناءً لهذا الأساس أقيم بنيان المجتمع الإسلاميّ على قاعدة العدل. وإنّ للإسلام تشديده وتأكيده الخاصّ على العدالة.

يتّكئ الإسلام على قضايا هي آمال للبشريّة ثابتة متجذّرة منذ بداية التاريخ البشريّ وإلى يومنا هذا. يؤكّد الإسلام على العدالة والأخوّة والكرامة الإنسانيّة؛ البشريّة اليوم متعطّشة لها، متعطّشة للكرامة والعدالة والإنسانيّة الحقيقيّة(٣٦).

في الحياة الجمعيّة والحكومتيّة للإمام عليّ عليه السلام – كإمام شيعيّ أيضًا – «نلاحظ العدالة النقطة الأبرز من كلّ شيء. فكما أنّ التقوى كانت النقطة الأبرز في أعمال أمير المؤمنين الفرديّة، كانت العدالة النقطة الأبرز في أعماله الحكوميّة والسياسيّة وشؤون الخلافة»(٣٧).

العدالة إحدى الحاجات البشريّة الأساسيّة. «حاجة البشريّة إلى العدالة هي فوق أيّ حاجات أخرى»(٣٨). وهذه الحاجة هي من سنخ حاجات الإنسان التي لا تتغيّر.

أي إنّ البشر محتاجون إلى العدالة منذ بداية التاريخ طالما هم على قيد الحياة. العدالة قيمة دائمة ثابتة. فمع تغيّر الزمان لا تتبدّل هذه القيمة، نعم تتغيّر أشكال وأساليب تحقيق العدالة مع مرور الزمان وحسب طبيعة الزمان. لكنّ قيمة العدالة دائمًا تبقى ثابتة.

جُعلت العدالة في مركز حقوق الإنسان في الإسلام.

ونحن نعتقد أنّ أجلى وأدقّ النماذج لحقوق الانسان هي الموجودة في الاسلام. فحقّ

---

(٣٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٨٠/٤/٧هـ.ش.
(٣٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢/ ١٠/ ١٣٨٢هـ.ش.
(٣٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٨٢/٨/٢٣هـ.ش.
(٣٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٨/١/٩هـ.ش.

الحياة، حقّ الحريّة، حقّ التمتّع بالحريّة، حقّ الاستفادة من الرفاه وبقيّة الحقوق الأساسيّة للمجتمع يمكن توفيرها في الإسلام[٣٩].

تتحقّق العدالة في الساحة الاجتماعيّة من خلال تأسيس الحكومة الإسلاميّة. «إحدى تشكيلات استقرار العدالة في المجتمع الإسلاميّ هو الحكومة الإسلاميّة والدولة الإسلاميّة، وبتعبير أوضح الجهاز التنفيذيّ الإسلاميّ»[٤٠]. هدف المجتمع الإسلاميّ أيضا تحقّق العدالة. «إذا تأمّلتم في مختلف المتون والآثار الدينيّة الإسلاميّة سيظهر جليًّا أنّ الهدف والغاية من حركة المجتمع الإسلاميّ هو تشكيل المجتمع العادل»[٤١]. العدالة هي أيضًا وجه تمايز المجتمع الإسلاميّ عن المجتمع الجاهليّ. «هناك نقطة أخرى في الدعوة الإسلاميّة ، عبارة عن استقرار العدل بين الناس. فخصوصيّة الجاهليّة كانت النظام الظلاميّ»[٤٢].

بالطبع لا محوريّة للعدل المحض في الحكومة الإسلاميّة، بل

الحكومة الإسلاميّة هي تلك الحكومة التي مثلما أنّها ترفع من روحانيّة الناس وتضاعف إيمانهم، هي أيضًا تنمّي العدالة، وتنشر الأمن والأمان في الجوامع البشريّة، وتوفّر سعة العيش والرفاه لمختلف طبقات الشعب[٤٣].

في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، يقوم بنيان الحياة الاجتماعيّة على العدالة. «أساس نظام الجمهوريّة الإسلاميّة يقوم على العدالة»[٤٤].

ينبغي أن تظهر العدالة بصورتها الواقعيّة في المجتمع، وهو أمر ممكن، كما تيسّر للثورة الإسلاميّة ونظام الجمهوريّة الإسلاميّة تطبيق أبعاد من العدالة، كان تطبيقها في إيران في عداد المحالات خلال فترة من الفترات [...] لقد كانت العدالة الاجتماعيّة خارج حدود التصوّر في بلدنا يومًا ما، بيد أنّ جانبًا منها قد تحقّق الآن[٤٥].

---

(٣٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٥/١١/٩هـ.ش.
(٤٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٦/١٠/١١هـ.ش.
(٤١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٢/٦/٣هـ.ش.
(٤٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٣/١٠/١٠هـ.ش.
(٤٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٥/٦/٧هـ.ش.
(٤٤) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٧/٦/١٢هـ.ش.
(٤٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٩/١٢/٢٦هـ.ش.

وفي إطار تحقيق القيم والأهداف الإسلاميّة، «الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة تنادي في الساحة الدوليّة بالعدالة والحرّيّة، وتنادي بالقيم الإنسانيّة والمعنويّة، وتنادي بالأخوّة والمساواة، وتدعو لعزّة الأمم وشرف الشعوب»[٤٦].

إنّ دور الحاكم والقائد، في المجتمع الإسلاميّ، تطبيق العدالة. «إنّ فلسفة وجودي ووجود أمثالي هنا – وأنا كأحد الطلبة – هي أن نتمكّن من تطبيق العدالة ولا غير»[٤٧]. الشرط الأساسيّ لتحقّق العدالة في قيادة المجتمع الإسلاميّ هو تهذيب النفس. «وأوّل خطوة له في سبيل العدالة هي أنّه أبعد الأهواء والتسويلات عن نفسه، وأجرى الحقّ على لسانه، وعمل بهذا الحقّ أيضًا»[٤٨].

النقطة البارزة في المعارف [الرؤى] الكلاميّة عند الإمام الخامنئي، هي التأكيد على العدالة كإحدى المطالب الواقعيّة للبشريّة. ويشير، من خلال تأكيده على العدالة في لبّ ومتن أهداف الثورة الإسلاميّة، إلى جهود الاستكبار العالميّ وأياديه وعملائه في الداخل في حرف الناس عن هذا الهدف.

> ولأنّ مستكبري العالم قد عجزوا عن بثّ روح اليأس لدى شعوب العالم التي تنشد العدالة والحقّ [...] فإنّهم يسعون للقيام بأحد أمرَين: إمّا القضاء على هذا النبع قضاءً كلّيًا، وإمّا السعي لاستلاب ماهيّة الجمهوريّة الإسلاميّة. ولعلمهم بتعذّر الأوّل في ظلّ وعي الشعب ويقظته، فإنّهم يقومون باستبدال التوجّهات وتشويه المفاهيم التي تعدّ من مسلّمات وبيّنات الثورة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة[٤٩].

---

(٤٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٨/٤/١٣٨٣هـ.ش.
(٤٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٤/٧/١٣٧٧هـ.ش.
(٤٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٦/١٢/١٣٧٩هـ.ش.
(٤٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٤/٣/١٣٨١هـ.ش.

## ٦. ولاية الفقيه (الحكومة في عصر الغيبة)

إنّ ولاية الفقيه واحدة من التعاليم الكلاميّة–الفقهيّة الشيعيّة المهمّة التي أسّسها وشرّعها الأئمّة المعصومون عليهم السلام من أجل تدبير الوضعيّة السياسيّة لعصر الغيبة. بالرغم من أنّ أغلب الأبحاث المطروحة في باب ولاية الفقيه قد تمّ تناولها من الزاوية الفقهيّة وطُرحت من خلال المنهج الفقهيّ، إلّا أنّه يظهر، بالالتفات إلى تقدّم وأوّليّة وأولويّة أبحاث الكلام السياسيّ على الفقه السياسيّ، أنّه من اللازم في البداية طرح المنهج الكلاميّ للمباني النظريّة لولاية الفقيه، ثمّ بالاستفادة من هذه المباني يتمّ عرض الأبحاث الفقهيّة المتّصلة به. بعض المعاصرين أكّد أيضًا على البعد الكلاميّ لولاية الفقيه[٥٠]. وقد اعتبر أنّ محدّد وعلامة البحث الكلاميّ اتّصاله بالله تعالى وبأفعاله. وبلحاظ هذه الجهة، عندما نطرح ولاية الفقيه كمرتبة تالية لأبحاث الإمامة بعنوان اللطف والنصب الإلهيّ، فهو مستند بنحو ما إلى اللطف والعمل الإلهيّ.

يمكن تصنيف المناهج الموجودة في بحث ولاية الفقيه إلى شكلَين أساسيَّين. الشكل الأوّل، الأبحاث التي تُطرح بالاستدلال العقلانيّ وعلى مباني الإمامة الشيعيّة. ويمكن اعتبار هذا النوع من الأبحاث ضمن منهج الكلام السياسيّ. انطلاقًا من تعريف الشهيد مطهّري، علم الكلام علم يبحث في استخراج العقائد الإسلاميّة وتبيينها والدفاع عنها[٥١]. من هذه الجهة يكون البحث الواسع في ولاية الفقيه كأحد التعاليم الإسلاميّة من سنخ أبحاث الكلام السياسيّ. ويمكن اعتبار السنخ الآخر لأبحاث

---

(٥٠) آية الله جوادي الآملي هو أيضًا من جملة الذين يطرحون ولاية الفقيه من الزاوية الكلاميّة. فهو يرى أنّ الوجه الكلاميّ لولاية الفقهيه هو كونه مرتبطًا بفعل الله؛ راجع، جوادي آملي، **ولاية الفقيه: ولاية الفقاهة والعدالة** (قم: دار الإسراء للنشر، ١٣٧٩هـ.ش.)، الجزء ٢، الفصل الثالث.

(٥١) مرتضى مطهّري، **إطلالة على العلوم الإسلاميّة**، «قسم الكلام»، (قم: دار النشر الإسلاميّ، ١٣٦٥هـ.ش.)، الصفحة ١٤٧.

الكلام السياسيّ في باب ولاية الفقيه بمثابة أبحاث دفاعيّة–تطبيقيّة. وترتبط هذه الأبحاث بالدفاع الاستدلاليّ عن ولاية الفقيه من الزاوية العقليّة. والمخاطب بهذه الأبحاث ليس ملتزمًا بالأسلوب الفقهيّ، ونوع الأبحاث يتعدّى البحث الفقهيّ. ومجموعة الأبحاث التي تدافع عن نظريّة ولاية الفقيه مقابل النظريّات الأخرى، كالليبراليّة والعلمانيّة، هي من هذا القبيل.

النوع الثاني من أبحاث ولاية الفقيه هو الاتّجاه الفقهيّ الذي لا يتعدّى الأسلوب الفقهيّ الصرف في إطار الكشف عن وظيفة وأحكام المكلّفين.

يمكن أن نجد في كلمات الإمام الخامنئي كِلَي السنخَين من البحث. ففي مجموعة الأبحاث الحاكية عن رؤيته الكلاميّة، يسعى إلى بحث ولاية الفقيه بمنظار عقليّ استدلاليّ، وأن يبيّن خصائصها العامّة؛ والأبحاث التي تعتبر قبول ولاية الفقيه بمقتضى القبول بأصل الدين هي من هذا القبيل. بالطبع، استفاد – في كثير من الأبحاث – من الأسلوب الفقهيّ.

طُرحت نظريّات مختلفة في باب الوضعيّة [الحالة] السياسيّة لعصر الغيبة، إلّا أنّه يظهر أنّ الولاية العامّة أو المطلقة للفقيه قد طُرحت بشكل عامّ بين فقهاء الشيعة[٥٢]. وإنّ تأكيد الشيخ حسن صاحب **الجواهر** على محوريّة الولاية العامّة للفقيه، في تعبيره أنّ الذي لا يقبل الولاية العامّة للفقيه لم يذق من طعم الفقه شيئًا[٥٣]، إشارة إلى هذه المكان.

---

(٥٢) انظر، محمّد هادي معرفت، **ولاية الفقيه** (قم: مؤسّسة الثقافيّة لنشر التمهيد، ١٣٧٧هـ.ش.)، الصفحة ٧٤.

(٥٣) محمّد حسن النجفي، **جواهر الكلام** (بيروت: دار إحياء التراث العربيّ، ١٣٨١هـ.ش.)، الجزء ٢١، الصفحة ٣٩٧.

إنّ ظهور مبدإ ولاية الفقيه في العصر الحاضر يرجع في جذوره إلى جهود الإمام الخميني القائد الكبير للثورة الإسلاميّة ومساعيه، حيث نجد الحديث عن «ولاية الفقيه» - كنظام سياسيّ شيعيّ متقدّم ومطلوب في عصر الغيبة - في مختلف كتابات وآثار الإمام الخميني. يمكن أن نجعل تقديم نظريّة ولاية الفقيه في أبحاث الإمام الخميني على أربع مراحل: الأولى، في مطاوي أبحاث كتاب **كشف الأسرار** الذي كتبه ردًّا على شبهات حكيمي زاده في كتابه **أسرار ألف سنة**. الثانية، في أبحاثه الفقهيّة الاستدلاليّة والفتوائيّة التي نشاهدها على التوالي في بحث «الاجتهاد والتقليد» من كتاب **الرسائل**، وبحث «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» في كتاب **تحرير الوسيلة**، وبحث «ولاية الفقيه» في كتاب **البيع**. المرحلة الثالثة، وكانت زمانيًّا في النصف الثاني من العام ١٣٥٨هـ.ش.، حيث جاء بنحو متفرّق في كلماته وبياناته في إطار الدفاع عن إقرار أصل ولاية الفقيه في دستور الجمهوريّة الإسلاميّة. الرابعة، مجموعة آراء الإمام ورؤيته لصلاحيّات الوليّ الفقيه وشرائطه، التي جاءت في طيّات مجموعة رسائل وكلمات ابتداءً من شتاء ١٣٦٦هـ.ش.، حتّى ما قبل رحيله بشهر. وهذه الرسائل جاءت بالعموم أجوبةً على استفتاءات وإشكالات طرحها مسؤولو البلاد من الصفّ الأوّل[٥٤].

وقد اختار تلامذة الإمام الخميني وأنصاره، في عقد الخمسينات [السبعينات الميلاديّ] من القرن الماضي، فكرة ورؤية الحكومة الإسلاميّة أو الحكومة القائمة على ولاية الفقيه كهدف ومثال جهاديّ في المواجهة الثوريّة. واستطاعوا في نهاية الأمر إيصال الثورة بقيادة الإمام إلى الانتصار عام ١٣٥٧هـ.ش. فالإمام الخامنئي - كأحد تلامذة الإمام البارزين -

---

(٥٤) كاظم قاضي زاده وسعيد ضيائي فر، **الآراء الفقهيّة-السياسيّة للإمام الخميني** (طهران: مركز البحوث الاستراتيجيّة التابع لرئاسة الجمهوريّة، ١٣٧٧هـ.ش.)، الصفحة ١٥٨.

جعل ولاية الفقيه نقطة أساس في فكره السياسيّ. ومسألة الحكومة في الإسلام، على الأقلّ، هي من وجهة نظره في عداد المسائل التي هي، لجهة الأهمّيّة، في مصافّ الدرجة الأولى، إن لم نقل إنّها أهمّ مسألة وأكثر المسائل أساسيّةً في الإسلام.

فلو أخرجنا مسألة الحكومة ومسألة الولاية من الدين، سوف يكون الدين مجموعة أحكام متفرّقة ومشتّتة، بحيث لن تستطيع – حقًّا و يقينًا – أن تؤدّي رسالتها الأساسيّة التي هي هداية الناس وإيجاد الجنّة في هذه الدنيا وإيصال الناس إلى الكمال(٥٥).

يعبّر الإسلام عن الحكومة بكلمة «الولاية»، والولاية هي نوع ارتباط بين الشعب والحاكم الذي يتصدّى لزمام الأمور وتربطه مع الناس الذين بيده زمام حكمهم صِلات وثيقة لا تُفصم عراها.

إنّ الولاية كصفة للحكومة في الإسلام وكمؤشّر يميّز النظام الاجتماعيّ والسياسيّ في الإسلام، لها معنًى دقيق وذو مغزى، يعكس المعنى الأصليّ للولاية، وذلك هو الترابط والتلاحم والانسجام والتداخل، والذي تتداعى على أثره إلى الأذهان معاني الوحدة والتكاتف والعمل الموحّد والتضامن ووحدة الطريق والهدف، والاتّحاد في كلّ الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة.

الولاية تعني الترابط: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا﴾ [...] فالترابط الولائيّ الذي يُعدّ ظاهرةً سياسيّةً واجتماعيّةً وموقفًا مصيريًّا في الحياة يتحقّق بالجهد والحركة والهجرة والعمل المشترك والموقف الموحّد. ولهذا لا يكون الوليّ في النظام الإسلاميّ بمعزل عن الأمّة. فالولاية تعني التلاحم والانسجام والترابط، كما وتعني في أحد أبعادها المحبّة، وتعني في موضع آخر التآزر والتعاون. وهذه المعاني كلّها تمثّل في الواقع مصاديق للارتباط والتضامن والاتّحاد والوحدة. أمّا المعنى الحقيقيّ فهو الاتّحاد والتلاحم(٥٦).

[و]الولاية تعني الرعاية والارتباط والتلاحم، ارتباط شيئين مع بعضهما بعضًا، هذا هو معنى ومفهوم الولاية في الإسلام، تطلق الولاية على الحكومة في المجتمع الإسلاميّ،

---

(٥٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٦/١١/٢هـ.ش.

(٥٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٨/ذي الحجة/١٤١٨هـ

والرابطة بين الوليّ والناس هي رابطة ولائيّة، واتّصالهم وارتباطهم لا ينفكّ، وكلّ عناصر وأجزاء المجتمع الإسلاميّ متّصل ببعضه ولا يقبل الانفصال(٥٧).

من هنا تكون مصالحهم ومنافعهم [من النظام] متساويةً. لا وجود مثيلًا لهكذا علاقة وارتباط في الحكومات غير الولائيّة، ومصالح الناس هناك متمايزة في الواقع عن مصالح الحكام.

«إنّ أهمّيّة الولاية في الإسلام تظهر في ما قام به النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله في آخر أسابيع حياته الشريفة من الاهتمام بتوضيح هذه القضيّة للناس وتذكيرهم بها»(٥٨).

أمر الولاية أمر ضروريّ في الإسلام. وانطلاقًا من الاستدلالات القرآنيّة،

إنّ حفظ الوحدة والترابط الداخليّ ورفض التبعيّة الخارجيّة بالنسبة للمجتمع الإسلاميّ متوقّف على وجود سلطة متمركزة وثابتة في المجتمع، ليتسنّى لها قيادة وإدارة كلّ النشاطات والفعاليّات والتوجّهات والمواقف والأقطاب والأجنحة المختلفة لهذا المجتمع، ونطلق على هذا الحاكم إسم «الوليّ»(٥٩).

وهذا المفهوم مختلف عن المصطلح الرائج للحاكم.

فحاكم الناس ووليّهم ليس بسلطان؛ أي إنّ عنوان الحكومة لا يلحظ من جهة قوّته وقدرته على السيطرة، ولا يلحظ من زاوية أنّ بإمكانه فعل أيّ شيء يريد فعله؛ بل من جهة ولايته ورعايته، وهي أنّه وليّ المؤمنين أو وليّ أمور المسلمين، هذا الحقّ وهذا العمل وهذا المنصب هو محلّ الاهتمام(٦٠).

---

(٥٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٠/٤/١٣٦٩هـ.ش.
(٥٨) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٣/٦/١٣٦٣هـ.ش.
(٥٩) أنوار الولاية، مصدر سابق، الصفحة ٦٨.
(٦٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/٤/١٣٧٠هـ.ش.

الولاية في الإسلام هي في الأصل من الله. فلا ولاية لأحد على أحد. ولذلك فإنّ منشأ الولاية والحاكميّة من الله.

وليّ الأمر في الإسلام هو ذلك الشخص الذي أرسله الله. الشخص الذي يعيّنه هو. لأنّه لو كان الفرض أنّه ليس لأحد - بحسب طبيعة الخلقة والخلق - حقّ التحكّم بالناس الآخرين، فالذي لديه حقّ التحكّم هو الله تعالى، ولأنّ لديه ذلك، فهو يستطيع بما له من مسؤوليّة على الناس إعطاء هذا الحقّ لمن يريد، وفعل الله ليس بخارج عن المصلحة، ليس ديكتاتوريًا، ليس متعسّفًا ولا سفّاحًا، فعل الله هو طبق منافع الناس[٦١].

في إطار الولاية الإلهيّة، جعل الله ولاية النبيّ وأولي الأمر من مقولة واحدة.

هناك كثر يدّعون أنّهم مع الله ورسوله، ولذلك لهذا السبب ورد «أولي الأمر» في أماكن متعدّدة، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، لذا فالله والرسول وأولي الأمر ليسوا جهات متعدّدة، هم جهة واحدة[٦٢].

إنّ قبول الولاية الإلهيّة مستلزم أيضًا أن يكون مبنى مشروعيّة النظام الإسلاميّ هو المشروعيّة الإلهيّة. انطلاقًا من محوريّة التوحيد في الفكر الدينيّ، فإنّ مقتضى التوحيد نفي حاكميّة غير الله.

روح التوحيد تعني أن ننفي [رفض] عبوديّة غير الله [...] وأنّ الطاعة لله هي بمعنى تنفيذ الأحكام الإلهيّة؛ وأن يُقبل النظام الإلهيّ والمستند إلى الرؤية الإلهيّة؛ وأن يُطاع القائد والحاكم الذي يحمل القيم الإلهيّة واعتباره حاكمًا؛ وأن يُعتبر النبيّ المرسل من الله واجب الطاعة. وكذلك أن يُقبل ولي الأمر المعيّن من الله وأن يُطاع، وأن تكون حياة [الإنسان] وحركاته فقط في هذا النطاق. وأن لا يُطاع أحدًا خارج هذا النطاق، إلّا أن يكون عبدًا لله[٦٣].

في الحكومة الولائيّة تكون المشروعيّة إلهيّةً أيضًا. «ولاية وحاكميّة الفقيه هي ولاية وحاكميّة الفقه الإسلاميّ وولاية دين الله التي تنتهي

(٦١) قبسات النور، الصفحات ٧٨ إلى ٨٨.
(٦٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦١/٢/٢٤هـ.ش.
(٦٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٥/١٠/١٩هـ.ش.

بولاية الله»(٦٤). من هذه الجهة، تكون مشروعيّة العاملين في النظام الولائيّ ناشئةً من مشروعيّة الوليّ الفقيه:

كلّ الأجهزة، في المجتمع الإسلاميّ، سواء الأجهزة المقنّنة أم الأجهزة التنفيذيّة، أعمّ من السلطات التنفيذيّة والأجهزة القضائيّة؛ تكتسب مشروعيّتها من ارتباطها واتّصالها بالوليّ الفقيه؛ وإلّا، فلا شرعيّة لها بنفسها حتّى المجالس الاشتراعيّة لا يحقّ لها - بغير ذلك - اشتراع القوانين [...] كذلك السلطة التنفيذيّة تكتسب شرعيّتها واعتبارها من إمضاء وتكليف الوليّ الفقيه، بحيث إنّه لو لم يُعطي الوليّ الفقيه موافقته وإجازته فكلّ الأجهزة العاملة في البلاد، سواء المقنّنة أم الإجرائيّة، تكون أعمالها بلا دليل ودون حقّ، وليس لها حقّ الطاعة وجهة إلزام. فهي تكتسب مشروعيّتها من حيث اتّصالها بالوليّ الفقيه. وفي الحقيقة، ولاية الفقيه هي كالروح في بدن النظام الإسلاميّ. وهذا الامتداد الواسع جدًّا والعظيم هو في نطاق ولاية الفقيه الواسع الذي ينتهي إلى ولاية الله(٦٥).

وهكذا مفهوم لولاية الفقيه، الذي يتضمّن كلّ صلاحيّات النبيّ والأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم في الحكم، يعبَّر عنه بالولاية المطلقة للفقيه. يمكن للوليّ الفقيه، في موارد عند اللزوم، أن يوكل بعض صلاحيّاته إلى بعض السلطات في البلاد، إلّا أنّه ينبغي الالتفات إلى أنّ أصل وجذر هذه الولاية تعود إلى ولاية الفقيه.

قد يرغب كثيرون بأن تكون الدولة الإسلاميّة والجمهوريّة الإسلاميّة دولة رجال الدين. بمعنى حكومة طبقة [من الشعب]. وهذا خطأ [...] حكومة رجال الدين معناها أن يكون المتصدّي للأعمال رجل دين؛ مثل حكومة رجال الكنيسة في الفاتيكان [...] ليس الأمر كذلك في جمهوريّتنا الإسلاميّة(٦٦).

لذلك فولاية الفقيه هي بمعنى ولاية الفقه والقوانين الإلهيّة. «حكومة الفقيه يعني حكومة العالم بالكتاب، العالم بعلم الكتاب، العالم بالدين»(٦٧).

---

(٦٤) چهار ساله دوم (الفترة الرئاسيّة الثانية للإمام القائد)، الصفحة ٢٦٦ وما بعدها.
(٦٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢/١١/١٣٦٦هـ.ش.
(٦٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٦/٥/١٣٦٢هـ.ش.
(٦٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/١١/١٣٦٤هـ.ش.

مع هذا التفسير لولاية الفقيه يكون تعبير الذوبان في الولاية خطأً أيضًا.

عبارة «الذوبان في الولاية» يستخدمها في الغالب معارضوكم الذين يرومون تسجيل بعض النقاط وطرح بعض المضامين، وإلّا قليلًا ما سمعت هذه العبارة من شخصيّات محترمة. أنا لا أفهم معنى الذوبان في الولاية. ما معنى الذوبان في الولاية؟ ينبغي الذوبان في الإسلام. الولاية نفسها ذائبة في الإسلام[٦٨] [...] الذوبان في القيادة ذوبان في شخص معين، وهذا لا معنى له إطلاقًا. ومن هي القيادة؟ القيادة أيضًا يجب أن تذوب في الإسلام لتنال الاحترام. احترام القيادة إنّما هو في ظلّ ذوبانها في الإسلام وفي هذه الأهداف. فلو خطى خطوةً واحدةً معوجّةً فسوف يسقط. ما من أحد يذوب في الشخص وفي الجهة، ينبغي الذوبان في تلك الأهداف، ينبغي الذوبان في الإسلام. يجب الذوبان في الأهداف الإسلاميّة السامية التي حدّدها الله تعالى لنا[٦٩].

عدّ الإمام الخميني، المنظِّر لولاية الفقيه وأبرز من عرضها وعمل بها في العصر الحاضر، شرطَين أساسيَّين لولاية الفقيه، عند الحديث عن الشروط والمميّزات الخاصّة لعصمة وعلم المعصومين، وهما الفقاهة والعدالة[٧٠]. كما أنّ الإمام الخامنئي طرح هذين الشرطَين وبيّنهما. هذان الشرطان أساسيّان، وبقيّة الشروط هي من لوازمهما.

ما هو لازم وضروريّ بشكل رئيسيّ، كشروط أساسيّة للمتصدّي لأمور المجتمع، لمدير أمور المجتمع، على مبنى الإسلام الفكريّ، هاتان الصفتان، أي العدالة والفقاهة [...] بالطبع، الفقيه العادل الذي يريد قيادة المجتمع بشكل صحيح ينبغي أن تتوفّر فيه أيضًا القدرة على التدبير وإدارة الأمور. وإذا أراد أن ينقذ المجتمع من الانزلاق في المهاوي عليه أن يكون عارفًا بالعالم، عارفًا بالزمان وعارفًا بالمجتمع. وأن يحوز على الحكمة

---

(٦٨) تتمّة الكلمة:

يوم قال الشهيد الصدر «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام» كان المؤشّر الوحيد لصحّة الطريق هو شخص الإمام، لم يكن ثمّة دستور، ولا جمهوريّة إسلاميّة، ولا نظام، ولا أجهزة. كانت هناك قامة شامخة وعلم سامق في مسرح الاضطراب والصخب والتيّارات والخطوط المختلفة، ألا وهو الإمام. وقد قال الشهيد الصدر ذوبوا فيه، وكان على حقّ، فالذوبان في الإمام كان ذوبانًا في الإسلام. ليس الأمر على نفس الشاكلة اليوم.

(٦٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٨٣/٣/٢٧هـ.ش.

(٧٠) الإمام الخميني، ولاية الفقيه (طهران: مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٩).

[والحنكة] السياسيّة؛ هذا مبنى هاتين الصفتَين، وهذه الصفات إلى جانب تلك الصفتَين هي نحو من لوازمها[٧١].

ليس حكم ولاية الفقيه في ساحة [عرض] الأحكام وحسب، وإنّما حكمها واجب الطاعة في التكاليف السياسيّة،

فذلك الشخص الذي هو واجب الطاعة ووليّ الأمر؛ فتاواه الدينيّة والإسلاميّة في باب الصلاة والزكاة والصيام وبقيّة الواجبات هي [شيء واحد من حيث وجوب الطاعة] كفتاواه السياسيّة وأوامره في ساحة الجهاد، وفي العلاقات السياسيّة والعلاقات داخل البلاد ومختلف المسائل، كلّها واجبة الطاعة[٧٢].

فالوليّ الفقيه إذ يتمتّع بهكذا صلاحيّات هو سبيل حلّ عقد ومشاكل المجتمع.

في الموارد التي تسبّب مشكلة في المجتمع ولا حلّ لها في الدستور تكون بعهدة القائد ومدير البلاد الذي يجترح لها الحلول، خاصّةً بناءً لدستورنا الذي يجعل يد الوليّ الفقيه مبسوطةً، الوليّ الفقيه فوق القانون بل فوق الدستور، وإنّ الدستور يأخذ اعتباره وشرعيّته من إمضاء الوليّ الفقيه وتقريره[٧٣].

## الخاتمة

إنّ أبحاث الكلام السياسيّ عند الإمام الخامنئي تندرج ضمن قالب السنن الفكريّة-السياسيّة الشيعيّة، وخاصّةً عند الاستفادة من الرؤى الفكريّة-السياسيّة للإمام الخميني رضوان الله عليه. وإنّ محور التصاق الدين بالسياسة، والرؤية الجامعة للدين، هي الشاخص الأساسيّ في الكلام السياسيّ عنده حفظه الله. في هكذا رؤية، يتّضح أنّ الدين يجهد لتنظيم الحياة السياسيّة-الاجتماعيّة للناس، ويسعى لأن يهيّئ لهم أرضيّة وسبل نيلهم السعادة الدنيويّة والأخرويّة. فالسعادة الأخرويّة هي الغاية

---

(٧١) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٢/٢/٣٠هـ.ش.
(٧٢) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٥٩/٦/١٤هـ.ش.
(٧٣) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٦٧/٩/١١هـ.ش

النهائيّة للحياة السياسيّة في رأيهما ونظريّتهما. ولأجل الحصول على هذه السعادة، يلزم أن يقوم المصطفون الإلهيّون والأنبياء والأئمّة عليهم السلام بتنظيم وتوجيه الحياة السياسيّة. وفي زمن الغيبة وعدم حضور المعصومين عليهم السلام، فإنّ هذا الأمر الخطير والعظيم قد أوكل إلى نوّابهم العامّين. فالفقهاء العدول، كذلك، يقومون، من خلال إعمال ولايتهم، بتنظيم الحياة السياسيّة في ظلّ صلاحيّات المعصومين ووظائفهم الحكوميّة والسياسيّة التي وصلت إليهم.

# الولاية والتولّي في رؤية الإمام الخميني (قده) والقائد الخامنئي (دام ظلّه)

حسين شيدائيان

ترجمة نوال خليل

«الولاية» هي تجلّي الفيض الإلهيّ في عالم الخلقة وهداية البشريّة، وهي أيضًا منشأ عروج وتكامل البشر. ولقد شُيّد البناء الرفيع لنظام الوجود ودين الإسلام الواهب للحياة على هذا البنيان المرصوص. فالتولّي هو الطريق الوحيد لسعادة ونجاة البشر من الضلالة والضياع. ونحن في هذه المقالة سنبحث باختصار مفهوم الولاية وتجلّياتها في عالم الغيب والشهود، العرفان والسياسة، وعلائم الموالين وآفاتهم انطلاقًا من رؤية الإمام الخميني (قده) والقائد الخامنئي (دام ظلّه).

## مقدّمة

الولاية هي بيت الغزل في العرفان النظريّ في محفل الأنس لأهل المعرفة، وأوج قمّة تكامل الإنسان في القرب الإلهيّ، والفصل المميّز للحقيقة الإنسانيّة. فشعاع الولاية الساطع ينشر نوره في أروقة الموضوعات المختلفة. فبلحاظ معرفة الوجود ونظام الخلق في بحث الإنسان الكامل، يعطّر فضاء العرفان النظريّ؛ وبظهوره في مسألة الإمامة والخلافة، ضمن إطار المعتقدات الدينيّة، يزيّن حضرة علم الكلام. والمرتبة النازلة للولاية ضمن استتباب وتثبيت الحكومة الدينيّة تُحرّر السياسة والحاكميّة من الظُلمة القائمة جرّاء الانفصال عن التعاليم الدينيّة.

بناءً عليه، الولاية هي زلال الكوثر المفيض، الذي ينبع من عالم الغيب ونشأة الملكوت ويجري إلى أراضي تثبيت مؤسّسة الحكومة الدينيّة.

في الفكر والآثار العرفانيّة والسياسيّة العميقة والدقيقة للإمام الخميني (قده) وأبحاث وبيانات القائد الخامنئي (دام ظلّه)، تشاهد الدائرة الواسعة لمفهوم الولاية من قمّة العرفان إلى نطاق السياسة. وفي هذه المقالة، سنتناول باختصار مفهوم تعابير، ومراتب، وحقيقة، وأسرار الولاية، وولاية الرسول أيضًا، والأئمّة، والوليّ الفقيه، والمجتمع المتولّي، في رؤية الإمام والسيّد القائد الخامنئي.

### ١. معرفة المفهوم

إنّ مفهوم الولاية في فكر وآثار الإمام والقائد هو مزيج من المعنى اللغويّ والتعاليم الدينيّة. فالإمام قد أورد الولاية من النصوص العرفانيّة بمعنى القرب، والمحبوبيّة، والتصرّف، والربوبيّة، والنيابة[١]. وعرّف الولاية في كلماته، انطلاقًا من الحديث «ما نودي بشيء بمثل ما نودي بالولاية»[٢]، وحديث غدير خمّ، بمعنى الحاكميّة[٣]. ويذكر السيّد القائد الخامنئي الولاية بمعنى الاتّصال، والارتباط، والمحبّة، والحاكميّة. وبالإشارة إلى واقعة الغدير المهمّة والصانعة للتاريخ، يعتبر أنّ الارتباط الروحيّ والمعنويّ المحكم للمسلمين مع الحكّام الجديرين والصالحين يحقّق معنى ومفهوم الولاية من الناحية السياسيّة والحكوميّة[٤].

---

(١) الإمام الخميني، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية (مؤسّسة نشر آثار الإمام الخميني)، الصفحة ٣٦.

(٢) الشيخ الكليني، الكافي، الجزء ٢، الصفحة ١٨.

(٣) الإمام الخميني، ولايت فقيه (مؤسّسة نشر آثار الإمام الخميني)، الصفحة ٨٣؛ صحيفة امام، الجزء ٢٠، الصفحتان ١١٦ و١١٧.

(٤) راجع، مجموع خطابات القائد حول الولاية في القرآن، سنة ٥٣هـ.ش.؛ نشريت ولايت لحزب جمهوري اسلامي، شهر مهر من سنة ٦٠هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ٢٠/٤/٦٩هـ.ش.؛ وبتاريخ ١٠/٤/٧٠هـ.ش.؛ وكتاب حديث ولايت (سازمان تبليغات إسلامي، ١٣٧٦هـ.ش.)، الجزء ٣، الصفحة ٧٤.

في آثار الإمام والقائد، وبالتناسب مع ما له صلة بالمواضيع العرفانيّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة، بُيِّنت مصطلحات عن بعض أنواع وأقسام ومراتب الولاية التي سيُشار في هذا القسم إليها.

١. الولاية الكلّيّة الإلهيّة: الولاية والخلافة الإلهيّة التي هي أعلى مقام وشأن إلهيّ وباب أبواب الظهور ومفتاح مفاتيح الغيب والشهود، وقد شيّد عليها جذر وأصل ومبدأ الخلقة. تظهر هذه الولاية في نظام الوجود في ولاية الرسول والأنبياء والأئمّة المعصومين[٥].

٢. الولاية التامّة: عبارة عن فناء رسوم العبوديّة، إلّا أنّ هذه الولاية هي أيضًا الربوبيّة التي تكون كنه العبوديّة[٦]؛ أي الوصول إلى مقام الفناء وعدم رؤية شيء من النفس.

٣. الولاية الظاهريّة والباطنيّة: الولاية الباطنيّة تكون بتمام القرب من الحقّ. والولاية الظاهريّة هي إدارة الحكومة والمجتمع. والاثنان مختصّان بالرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام[٧]. الولاية الظاهريّة تختصّ بالوليّ الفقيه[٨] من بعد الأئمّة المعصومين عليهم السلام. ولا شكّ في أنّ إحراز المراتب النازلة للولاية الباطنيّة ليس بعيدًا عن متناول الفقهاء التقاة والورعين، والمهذّبين لأنفسهم من خلال السير والسلوك، تهذيب النفس وقرب الفرائض والنوافل.

(٥) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحتان ٤٥٦ و٣٤٨؛ مصباح الهداية، مصدر سابق، الصفحات ٣٤ إلى ٣٧.

(٦) الإمام الخميني، تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الأنس (مؤسّسة باسدار إسلام، ١٤٠٦هـ)، الصفحتان ١٧٨ و١٧٩.

(٧) المصدر نفسه، الصفحات ١٧٤ إلى ١٧٩.

(٨) ولايت فقيه، مصدر سابق، الصفحتان ٤٠ و٤١.

٤. الولاية التكوينيّة والاعتباريّة: الولاية التكوينيّة من المقامات المعنويّة للأئمّة الأطهار التي بموجبها كافّة ذرّات العالم خاضعة ومطيعة لوليّ الأمر. أمّا الولاية الاعتباريّة فهي التي يكون قد وضعها العقل أو الشرع، من قبيل ولاية الفقيه التي تعتبر من الأمور الاعتباريّة العقلائيّة(٩). واعتبارها الشرعيّ هو من خلال استمرار ولاية رسول الله صلّى الله عليه وآله والجعل الإلهيّ(١٠).

٥. الولاية الإلهيّة والولاية الشيطانيّة (الطاغوتيّة): هذا التعبير قد استلهمه الإمام والقائد من ثقافة القرآن، بحيث يعرّف المؤمنين أنّهم تحت ولاية الله وغير المؤمنين تحت رعاية الشيطان. ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. من المؤكّد أنّ الولاية الإلهيّة هي الولاية الخاصّة ذاتها والولاية الشيطانيّة هي أمر عدميّ. وأكثر العلائم البارزة للمجتمع المؤمن الذي يكون تحت الولاية الإلهيّة، في رؤية الإمام والقائد، عبارة عن:

أ. تقوية الإرادة الإيمانيّة وفق محوريّة التوحيد والتغلّب على الميول والأهواء النفسيّة ضمن الإطار الأخلاقيّ.

ب. النزوع نحو العدالة، والإلفة، والمحبّة، والعلاقات الحميميّة في الإطار الاجتماعيّ.

ت. البراءة من المشركين والمستكبرين، والحفاظ على روحيّة الالتزام الدينيّ والمعنويّ في الساحة السياسيّة للنظام الإسلاميّ.

أمّا العلائم الشيطانيّة فهي عبارة عن: الوثنيّة العصريّة، والتعصّب الجاهليّ والقبليّ، والأهواء النفسيّة، وطلب الدنيا والأنانيّة. ومن وجهة

---

(٩) المصدر نفسه، الصفحات ٤٠ إلى ٤٤.

(١٠) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ١٠، الصفحتان ٣٠٧ و٣٠٨.

نظر هاتين الشخصيّتَين العظيمتَين، إنّ البلاد الإسلاميّة أو الأنظمة الأخرى التي تقع تحت سلطة المستكبرين والأجانب هي تحت ولاية الشيطان[١١].

والضروريّ ذكره هو أنه في اصطلاح أهل المعرفة، الولاية هي بمعنى قيام العبد بالحقّ لأنّه يفنى فيه، وذلك يحصل من خلال محبّة الحقّ له إلى أن يوصله إلى مقام القرب والتمكين[١٢]. أي عن طريق محبّة الحقّ، يفنى العبد في الله وبه يبقى. المسألة الأخرى أنّ الولاية الكلّيّة الإلهيّة، والولاية التامّة، والولاية الباطنيّة، التي قد تناولها الإمام في آثاره، بالتناسب مع المباحث والموضوعات المطروحة، هي في الأصل حقيقة واحدة تمّت تسميتها بألفاظ متعدّدة. وولاية المعصومين عليهم السلام التكوينيّة هي أيضًا من آثار ولايتهم التامّة أو المطلقة. وممّا لا شك فيه أنّ أدنى مراتب الولاية هو سير السالك إلى الله وفناؤه في الحقّ، وأعلى مراتب الولاية التي هي الفيض الإلهيّ هو المقام والمرتبة الوجوديّة للرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام، التي يشار إليها في أسرار الولاية.

## أسرار الولاية وحقيقتها

يعتبر الإمام الخميني، استنادًا إلى الآية الكريمة ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[١٣]، وإلى بعض الأحاديث التي وردت في تفسيرها[١٤]، وأيضًا

(١١) راجع، صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٩، الصفحة ٢٩١؛ الجزء ١٢، الصفحات ٣٥٢ و٣٥٥ و٣٥٧؛ الإمام الخميني، شرح جهل حديث (الأربعون حديثًا) (مؤسّسة نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٥هـ.ش.)، الصفحتان ٣٠٦ و٣٠٧؛ كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٢/٣/١٩هـ.ش.

(١٢) شبستري، شرح كلشن راز، الصفحة ٢٣٥.

(١٣) سورة الروم، الآية ٣٠.

(١٤) راجع، السيّد هاشم البحراني، تفسير البرهان (قم: مؤسّسة البعثة، ١٤١٥هـ)، الجزء ٢، الصفحة

إلى رؤية وتحليل أستاذه في العرفان آية الله الشاه آبادي[١٥]، أنّ حقيقة الولاية أمر فطريّ، ويقول: الولاية شعبة التوحيد. لأنّ حقيقة الولاية فيض مطلق، والفيض المطلق هو ظلّ الوحدة المطلقة، والفطرة بالذات متوجّهة إلى الكمال الأصليّ، ولأنّ الفطرة تريد الفناء في الكمال المطلق والحصول على الكمال الذي هو حقيقة الولاية، هي الفناء في الكمال المطلق، فحقيقة الولاية أيضًا من الأمور الفطريّة[١٦]. كذلك في شرح أحاديث الصراط المستقيم وحساب يوم القيامة، يعرّف حقيقة الصراط بالصورة الباطنيّة للولاية[١٧]. وفي ذيل الآية ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[١٨]، يقولَ الإمامَ إنّ المرادَ من الأمانة الإلهيّة في مشرب أهل العرفان هو «الولاية المطلقة»، بحيث إنّ أيّ موجود غير الإنسان لا يليق بها. ويقول في شرحه لمصاديق الولاية المطلقة: «ولاية أهل بيت العصمة والطهارة، محبّة أهل بيت الرسالة وعرفان مقامهم المقدّس هو أمانة الحقّ»[١٩]. وفي بحث عرفانيّ موجز وعميق ولطيف حول حقيقة الولاية ومدى ارتباط واتّصال التوحيد والنبوّة والولاية، يقول الإمام:

> إنّ حقيقة الخلافة والولاية هو ظهور الألوهيّة، وهي أصل الوجود وكماله. وأيّ موجود يتمتّع بحظّ من الوجود له حظّ من حقيقة الألوهيّة وظهورها التي هي حقيقة الخلافة والولاية واللطيفة الإلهيّة، من جميع الكائنات من عوالم الغيب وإلى منتهى عالم الشهادة قد ثبتت على ناصية الجميع. وتلك اللطيفة الإلهيّة هي حقيقة الوجود المنبسط والنفس الرحمانيّ والحقّ المخلوق به الذي هو بعينه باطن الخلافة الخاتمة والولاية العلويّة المطلقة. ومن هذه الجهة كان الشيخ العارف الشاه آبادي دام ظلّه يقول: إنّ الشهادة بالولاية منطوية في الشهادة بالرسالة، لأنّ الولاية هي باطن الرسالة. ويقول الكاتب إنّه أيضًا في الشهادة بالألوهيّة تنطوي الشهادتَين مجتمعةً، وفي الشهادة بالرسالة أيضًا تنطوي تلك

---

.٢٦٣

(١٥) محمّد عليّ شاه آبادي، رشحات البحار، الصفحات ١٤ و٣٩ و٤١.

(١٦) الإمام الخميني، شرح حديث جنود عقل وجهل (عروج، ١٣٧٧هـ.ش.)، الصفحة ١٠٠.

(١٧) شرح جهل حديث، مصدر سابق، الصفحة ٣٦٠.

(١٨) سورة الأحزاب، الآية ٧٢.

(١٩) شرح جهل حديث، مصدر سابق، الصفحتان ٤٨٠ و٦٣٥.

الشهادتَين، كذلك في الشهادة بالولاية تنطوي تلك الشهادتَين الأخرتَين[٢٠].

## الحقيقة المحمّديّة والولاية العلويّة

بالالتفات إلى ما مرّ، فإنّ أسرار وحقيقة الولاية في نظام الوجود ينبغي أن تبحث في حقيقة وجود الرسول صلّى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام. والدافع وراء كتابة الكتاب القيّم وعظيم الشأن والقدر **مصباح الهداية** بقلم الإمام الخميني العميق والبصير، هو إزاحة الستار عن هذا السرّ الذي به يختم الوجود وكشف الحقيقة المحمّديّة والولاية العلويّة. والبعض من مضامينه وتعابيره العالية تمّت مشاهدتها في سنوات لاحقة في مؤلّفات أو بيانات الإمام الأخرى التي بُيّنت هنا باختصار. ومن خلال التحليل العميق لأحاديث خلقة الرسول صلّى الله عليه وآله بعنوانه أوّل تجلّي إلهيّ في نظام الوجود[٢١] وأفضليّته على آدم والأنبياء وكافّة الموجودات[٢٢]، وأنّ روح رسول الله صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين هم أوّل خلق الله[٢٣]، يكتب قائلا: «الرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليه السلام هم واسطة بين الحقّ والخلق وواسطة الرحمة الرحمانيّة والرحمة الرحمانيّة تفيض أصل الوجود، بل إنّ الرحمة الرحمانيّة هي بذاتها مقام ولايتهم»[٢٤]. وفيما يتعلّق برسالة ونبوّة النبيّ يقول:

> تمام دائرة الوجود من عوالم الغيب والشهود تكوينًا وتشريعًا وجودًا وهدايةً هي فتات مائدة نعمة ذلك السيّد، وذلك العظيم هو واسطة فيض الحقّ والرابطة بين الحقّ والخلق وإن لم يكن مقام روحانيّته وولايته المطلقة، لم يكن أحد من الموجودات لائقًا للاستفادة

---

(٢٠) الإمام الخميني، **آداب الصلاة** (مؤسّسة نشر آثار الإمام الخميني، ١٣٧٥هـ.ش.)، الصفحة ١٣٩.

(٢١) محمّد باقر المجلسي، **بحار الأنوار** (بيروت: مؤسّسة الوفاء)، الجزء ١٥، الصفحة ٢٤.

(٢٢) المصدر نفسه، الجزء ١٥، الصفحة ٤٠٢.

(٢٣) الشيخ الكليني، **أصول الكافي**، الجزء ١، الصفحة ٤٤١.

(٢٤) **مصباح الهداية**، مصدر سابق، الصفحة ١٨٠.

من مقام غيب الأحديّة و لم يعبر فيض الحقّ إلى موجود من الموجودات[٢٥].

من هنا، يعتبر الإمام الوجود ظلّ حقيقة الولاية، وذلك الذي قد تجلّى في العالم يسمّيه الحقيقة المحمّديّة والولاية العلويّة، اللتان في عالم الأمر والغيب متّحدتان معًا، وفي عالم الخلق قد ظهرتا في كسوة النبوّة وأخرى بمظهر الإمامة. ويعتبر أنّ للرسول مقام الولاية الكلّيّة العظمى وهو ولي الله المطلق بالأصالة، والإمام عليّ باطن الخلافة المطلقة الكلّيّة وولي الله المطلق بالتَّبَع. بحيث إنّ إرادتهما فانية في إرادة الحقّ، ومن جهة أخرى إرادتهما ظلّ إرادة الحقّ، والعالم بكافّة أجزائه تحت تصرّفهم[٢٦].
والإمام، من خلال إشارته إلى قول الإمام عليّ عليه السلام حينما أشار إلى صدره المبارك وقال: «إنّ ههنا لعلمًا جمًّا»[٢٧]، يتأسّف إلى استمرار وبقاء جوانب وأبعاد من الولاية مجهولةً ومخفيّةً، وأسرارًا غير مكشوف عنها، ويقول:

تلك العلوم التي كانت في صدره و لم يجد أشخاصًا يكونوا حملةً لذلك العلم، وبلا شكّ ذلك العلم الذي لم يجد له حملة، ذلك علم أسرار الولاية، أسرار التوحيد، وينبغي لكافّة العرفاء أن يتأسّفوا على أنّه لم يفسح لهم المجال ليفصحوا عن تلك الأسرار التي لابدّ أن يكشف عنها[٢٨].

## معيار تقييم الأعمال وقبولها

إنّ ولاية المعصومين عليهم السلام من الأصول الاعتقاديّة الكلّيّة والأساسيّة، ومن ضروريّات الاعتقادات الدينيّة، وشرط أصليّ لتحقّق الايمان وصحّة أعمال المؤمنين. وفي ميزان الحساب الإلهيّ، تُقاس كافّة

---

(٢٥) آداب الصلاة، مصدر سابق، الصفحة ١٣٧.
(٢٦) راجع، الإمام الخميني، مصباح الهداية، ترجمة أحمد الفهري، الصفحات ١٨ و١٢٤ و٢١٢ و١٥٠ و٦٣ و١٧٩ و١٨٩ و١٩٦؛ الإمام الخميني، سرّ الصلاة، الصفحة ١٦؛ شرح جهل حديث، مصدر سابق، الصفحة ٥٥٠؛ صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحة ٢٣٢.
(٢٧) الإمام عليّ بن أبي طالب، نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.
(٢٨) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ١٨، الصفحة ١٥٣.

الأعمال من خلال ميزان ولاية الأئمّة عليهم السلام، وتُمحَّص من خلال معيار الولاية. يقول الإمام الباقر عليه السلام:

> لو أنّ رجلًا قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره و لم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته، ما كان له على الله حقّ في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان[٢٩].

يشير الإمام الخميني، في عدّة أمكنة من كتاب الأربعون حديثًا، إلى هذا المطلب، من أنّ القلوب الخالية من الاعتقاد والإيمان بالولاية، والأعمال التي تنجز من دون مطابقتها للشريعة والولاية، لن تنفع ابدًا في القيامة. لأنّه، طبقًا للحديث، فالاعتقاد بالولاية الكلّيّة للرسول والأئمّة المعصومين عليهم السلام هو نفسه الصراط المستقيم، وفي القيامة الإمام عليّ عليه السلام هو الصراط، والشيعة الذين تمسّكوا في أعمالهم بولايته يعبرون بسلامة وأمن[٣٠].

## ولاية الفقيه

الولاية والحاكميّة في الثقافة القرآنيّة، والتعاليم الدينيّة، وفكر وآثار الإمام والقائد، بتمام نطاقها المفهوميّ متعلّقة ذاتًا بالله تعالى، وتتجلّى في حقيقة وجود الرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام. فالولاية في عالم الملك والنشأة الظاهريّة لعالم الخلق تظهر في حكومة وحاكميّة الأنبياء، والرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. وفي عصر غيبة المعصوم، يمسك الوليّ الفقيه بدفّة هداية وقيادة المجتمع الإسلاميّ. من هنا، يعتقد الإمام أنّ الولاية بمعنى الحكومة، شعبة من الولاية المطلقة للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله، بحيث تُجعل كافّة

---

(٢٩) أصول الكافي، مصدر سابق، الجزء ٢، الصفحة ١٩.

(٣٠) شرح جهل حديث، مصدر سابق، الصفحات ٣٦٠ و٤٤١ و٥٣٢؛ صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحة ١١٥.

صلاحيّاتها بعهدة الوليّ الفقيه، فولاية الفقيه هي استمرار لولاية رسول الله صلّى الله عليه وآله، وولايته إلهيّة وشرعيّة، ومشروعيّة النظام الإسلاميّ رهين لحاكميّة ولاية الفقيه، وأوامره وعزله وتنصيبه للأفراد يجب على أتباعه ومسلمي المجتمع الإسلاميّ اتّباعها والالتزام بها(٣١).

لا بد في هذا البحث من الإجابة عن نقطتَين. الأولى: يعتبر بعض الأشخاص أنّ الصلاحيّات الحكوميّة لرسول الله صلّى الله عليه وآله أبعد من الصلاحيّات الحكوميّة للإمام عليّ عليه السلام، أو أنّ الصلاحيّات الحكوميّة للإمام عليّ عليه السلام وسائر الأئمّة عليهم السلام تفوق صلاحيّات الولي الفقيه. وجواب الإمام هو أنّ الفضائل المعنويّة لا تزيد من الصلاحيّات الحكوميّة. فنفس الصلاحيّات والولاية التي كانت للرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، من حيث تهيئة وتعبئة الجيش، وتعيين الولاة والمحافظين، وجباية الضرائب، وتنفيذ الحدود الإلهيّة، هي نفسها ثابتة لحكومة الفقهاء. وليس من المعقول أن يكون هناك فرق بين الصلاحيّات التي ذُكرت بحقّ الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله والإمام المعصوم عليه السلام أو الفقيه(٣٢).

والثانية: يجعل البعض مقام ولاية الفقيه هو نفسه المقام المعنويّ والتكوينيّ للرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام. ويجيب الإمام على هذه الشبهة بأنّ الولاية الكلّيّة الإلهيّة والمقام المعنويّ للمعصومين لا تقع بأيّ وجه في عرض الولاية بمعنى الحكومة. فبالنسبة للمعصومين، تمثّل المقام المعنويّ والخلافة الكلّيّة الإلهيّة والتكوينيّة التي بموجبها كافّة ذرّات العالم خاضع لها. وهذه القضيّة منفصلة عن وظيفتهم الحكوميّة. كما أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام كان لها مثل هذا المقام

---

(٣١) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٦، الصفحة ٦٨؛ الجزء ١٠، الصفحات ٢٢١ و٣٠٨ و٣٤٨؛ الجزء ٢٠، الصفحة ٤٥٢.

(٣٢) ولايت فقيه، مصدر سابق، الصفحتان ٤٠ و٤١.

مع أنّها عليها السلام لم تكن خليفةً ولا قاضيًا ولا حاكمًا إسلاميًّا. وهو يعتقد أنّ الآيات والروايات الواردة التي تختصّ بالمعصومين لا يشاركهم فيها فقهاء وعلماء الإسلام الكبار. وتولّي الأمور في الغيبة الكبرى هو غير الولاية الكبرى المختصّة بالمعصومين(٣٣).

والإمام، من خلال نقد قرآنيّ وعقلائيّ لأفكار علماء أهل السنّة في اتّباعهم لأيّ حاكم تحت عنوان أولي الأمر، يقول: «أولوا الأمر الذين ورد ذكرهم في القرآن من الواضح أنّه الشخص الذي يلي ويتبع رسول الله»(٣٤).

وبالإشارة إلى الانحرافات في المجتمعات الإسلاميّة يقول: «من خلال إقامة الولاية[؛] يعني وصول الحكومة إلى يد صاحب الحقّ[،] تحلّ كافّة هذه المسائل، وتزول كافّة الانحرافات»(٣٥).

وهو يعتبر أنّ الأشخاص الذين ينكرون ولاية الفقيه، مع الالتفات إلى لوازم ولاية الفقيه الاعتقاديّة ومفهومها الدينيّ، عن علم وعمد، وينهضون عمليًّا بمخالفتها هم في حكم المرتدّ(٣٦). ويعتبر السيّد القائد أنّ ولاية الفقيه هي الضامن لتنفيذ أحكام الإسلام، ويرى أنّ مخالفي الولاية هم أنفسهم مخالفين لولاية الفقيه(٣٧).

## ٢. علائم المجتمع الموالي

محوريّة ومركزيّة الولاية في فكر الإمام والقائد هي بمعنى أنّ كلّ ما يتعلّق بالنظام من البرامج، والمتولّين لشؤونه، والناس في المجتمع الإسلاميّ، هم تحت إشراف وأوامر أو سيرة المعصومين. وأن ينسجم

---

(٣٣) المصدر نفسه، الصفحتان ٤٢ و٤٣؛ صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ١٩، الصفحة ٤٠٣.

(٣٤) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحة ١٢٠.

(٣٥) المصدر نفسه، الصفحة ١١٤.

(٣٦) المصدر نفسه، الجزء ١٠، الصفحة ٢٢٣.

(٣٧) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٦/١/٧٨هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ١٤/٣/١٣٨٠هـ.ش.

وضع السياسات مع أهدافهم عليهم السلام. وأن يجعلوا كافّة أنشطتهم على أساس الدين، أي الرسول والمعصومين عليهم السلام.

وينتقد الإمام، وبشدّة، من خلال تحليل وتفسير دقيق ولطيف لمسألة قبول الأعمال بالتمسّك بالولاية، الادّعاءَ الكاذب والفارغ لبعض الأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم من أتباع الولاية، ويبيّن المعايير الصحيحة لقيمة التولّي وبُعدها الدينيّ[٣٨]. ويقول السيّد القائد، انطلاقًا من ضرورة الاقتداء بسيرة الإمام عليّ عليه السلام الحكوماتيّة والاخلاقيّة: «ينبغي أن نسعى لنجعل أنفسنا أكثر شبهًا وقربًا من ذلك النموذج الكامل، وأن يكون تحرّكنا بحيث نبتعد عن ذلك النموذج الكامل فهذا انحراف وخطأ»[٣٩]. والآن، سنشير إلى عدّة نماذج هي من أبرز علائم التولّي:

## البُعد الأخلاقيّ

يعتقد أنّ انتشار الثقافة الدينيّة، باتّخاذ السيرة الأخلاقيّة للمعصومين مثالًا ونموذجًا، هي من أبرز علائم التولّي في المجتمع، وذلك من خلال اجتناب الرذائل والقبائح الاجتماعيّة والأخلاقيّة، والسعي إلى تكوين مجتمع معافى وتأصيل السنن والقيم الدينيّة.

إنّ اتّباع ولاية المعصومين ضمن نطاق الأخلاق الفرديّة والاجتماعيّة يعني أنّ الفرد يواجه، من خلال الرياضات الشرعيّة المطابقة للتعاليم الإلهيّة وأؤلياء الدين، ميوله ورغباته النفسيّة، ويخلّص نفسه، من خلال التحرّر وعدم التعلّق بالمادّيات، من سجن الطبيعة المظلم. ويسعى لتجنّب تفحّص عيوب الآخرين ويهتمّ بتهذيب نفسه وإزالة الرذائل والتحلّي

(٣٨) شرح جهل حديث، مصدر سابق، الحديث ٣٣.
(٣٩) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٣٠/٣/٧٠هـ.ش.

بالفضائل. ومن خلال تجنّب المحرّمات الإلهيّة والابتعاد عن موارد الشبهة، يحرز المراتب العالية من التقوى والورع. ونتيجة هذا، بناءً على قول المعصومين عليهم السلام، أنّ أكثر أفراد المجتمع الإسلاميّ تقًى وورعًا هم أقرب الناس إلى الولاية، لأنّهم قد اختاروا الإرادة الإلهيّة على الرغبات النفسيّة، وقد طابقوا وظائفهم الأخلاقيّة وفق مباني تعاليم الولاية[٤٠].

## البُعد السياسيّ-الاجتماعيّ

في الفكر السياسيّ الإلهيّ للإمام الخميني (ره)، يتحمّل المجتمع الموالي الحقيقيّ لولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة المعصومين عليهم السلام، انطلاقًا من التكليف الشرعيّ ومن انتمائه الوطنيّ، وبغية إحراز الأهداف العالية للنظام الإسلاميّ وإحياء القيم الإسلاميّة، كافّة الصعاب والضغوطات النفسيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي يمارسها العدوّ، وهو مستعدّ للتضحيّة وإيثار الروح والمال التزامًا بالميثاق والعهد بحفظ الإسلام. ويسعى، من خلال التواجد في الساحات السياسيّة-الاجتماعيّة، والتعرّف على الأوضاع السياسيّة للعالم والمنطقة، وبحفظ الوحدة والاتّحاد، ومساندة المسؤولين الخدّام، والصمود في وجه مؤامرات الاستكبار العالميّ، لأجل سموّ الاقتدار ومتانة نظام السيادة الشعبيّة الدينيّة[٤١]. يعرّف السيّد القائد علامة تولّي المجتمع الدينيّ من الوجهة السياسيّة: «إنّ كافّة عناصره متّصلة ببعضها البعض ومتّصلة بمحور ومركز المجتمع الإسلاميّ أي الوليّ، وعلى صعيد الداخل هم

---

(٤٠) شرح جهل حديث، مصدر سابق، الصفحات ٤٧٥ و٥٧٥ و٥٧٦ و٥٧٧؛ صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحة ٢٢٧؛ كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٣٧٢/٣/١٩هـ.ش.

(٤١) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ١٨، الصفحات ١٥٩ و١٩١ و١٩٢؛ الجزء ١٩، الصفحتان ٦٦ و٦٧.

متّحدون ومتعاضدون»[٤٢].

## البُعد الإداريّ

بعد انتصار الثورة الإسلاميّة المهيب وإلى يومنا هذا، يؤكّد الإمام والقائد دومًا على تطبيق السيرة الإداريّة العلويّة. ويعتبر الإمام أنّ مسألة التمسّك بالولاية في الأطر التنفيذيّة والإداريّة هي من مسائل الحكمة العمليّة التي لا تتحقّق أبدًا من خلال اللفظ والكلام. ويعتبر أنّ المدراء الموالين هم الذين تكون حركتهم السياسيّة وتخطيطهم ووضعهم القوانين وأمورهم التنفيذيّة على أساس ترويج وتحقيق العدالة داخل المجتمع. ويعتبر أنّ قيمة الغدير هي لجهة إقامة العدل. ويعتقد أنّ التمسّك بالولاية هو أنّه في حال تشكّلت الحكومة ينبغي، بمقدار استطاعاتها وقوتّها، أن تُعمل براجحها لناحية العدالة التي قد رسمها الإمام عليّ عليه السلام، وأن تجعل خدمة المحرومين في المجتمع على رأس سياساتها التنفيذيّة:

> الحكومة واقعًا ينبغي لها بكافّة إمكانيّاتها، كما كان عليّ عليه السلام يحترق قلبه لأجل المحرومين، عليها أيضًا بكلّ إمكانيّاتها أن تتحرّق لأجل المحرومين، كأب في حال بقي أطفاله جياع، كيف يسعى بقلب مغموم من أجل إشباعهم، والحكومة التابعة لأمير المؤمنين عليها أن تكون كذلك[٤٣].

والمسألة المهمّة الأخرى التي يعتبرها الإمام من أبرز علامات تولّي مدراء النظام الإسلاميّ هي الاحتراز من الأمور الشكليّة والترف، والإنفاق بشكل صحيح من بيت مال المسلمين. وهو يعتبر أنّ أوامر وتعاليم الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر والآخرين من ولاة الحكومة العلويّة هو بلاغ حكوميّ وإداريّ لكلّ مدراء التاريخ والمستقبل، ويوصي المسؤولين أن يأخذوا بعين الاعتبار الأهداف العامّة

---

(٤٢) حديث ولايت، مصدر سابق، الجزء ٣، الصفحة ٧٤.

(٤٣) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ١٨، الصفحات ١٥٢ و١٥٩.

للنظام الإسلاميّ، وذلك في مجالات تحديد وصرف ميزانيّات بيت المال، وجذب الطاقات البشريّة، وتشكيل الأجهزة الإداريّة، والاستفادة من إمكانات وطاقات الحكومة والأموال العامّة. وأن توظّف كافّة إمكانات بيت المال لجهة معالجة المشاكل الاجتماعيّة وليس المنفعة الشخصيّة[٤٤]. ويعتبر السيّد القائد النظام الإدرايّ الموالي هو الذي يطابق أهدافه وبرامجه وفقًا لأهداف الغدير.

ويعتبر من دلائل عظمة الغدير اهتمام الإسلام بإدارة المجتمع، ويعتقد أنّ الشخص الذي يتعهّد المجتمع الإسلاميّ ينبغي أن يحقّق إشعاعًا من الولاية الإلهيّة وأن يجعل العدالة الإسلاميّة ورعاية القيم الإسلاميّة أساس البرامج. وهو يعتبر تطهير الأجهزة الحكوميّة، وتبلور الأخلاق، والعدالة والقيم الدينيّة في محيط المسؤولين، والتنفيذ الدقيق للمهام، والاختيار الصحيح للمساعدين والاستشاريّين، ورعاية بيت المال، هو المعنى الصحيح للتمسّك بالولاية. ويعتبر أنّ الإمام عليّ عليه السلام هو النموذج الأكمل للإدارة والقيادة[٤٥]. ويقول في هذا المجال:

> يجب أن نعمل لكي يكون نظامنا وبلدنا ومجتمعنا علويّ، ولا يكفي اسم الإسلام واسم الولاية، وفيما يتعلّق بالأشخاص الذين هم مسؤولو الأجهزة العسكريّة أو في المؤسّسات والأجهزة المختلفة، كلامهم وعضدهم ونهجهم ينبغي أن يكون كلام وعضد وأسلوب سيرة أمير المؤمنين عليه السلام[٤٦].

وتتبلور حقيقة الولاية في النظام الإسلاميّ، في فكر الإمام، من خلال السعي في الوقت ذاته في كافّة المجالات السياسيّة، والإداريّة، والأخلاقيّة، والاجتماعيّة. وهو يقول، فيما يتعلّق بالأخلاق، والمعنويّات، والوحدة،

(٤٤) المصدر نفسه، الجزء ١٩، الصفحتان ٣٧٤ و٣٧٥.

(٤٥) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ٢٠/٤/٦٩هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ٢٤/٢/٧٩هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ١٠/١١/٨٣هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ٣٠/٣/٧٣هـ.ش.؛ وكلام له ١٨/١٠/٨٥هـ.ش.

(٤٦) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٠/١١/٦٩هـ.ش.

والجهاد، وارتباط الناس بالمسؤولين والقيادة، والخدمة الصادقة للعاملين والمدراء في المرحلة الحسّاسة للدفاع المقدّس:

أن يكون هؤلاء على هذا الحال، حينها سينكشف ستار من مقام الولاية في هذا البلد. اسعوا وفقًا لهذا، بأن تسعى كافّة الجمعيّات والأعضاء والمؤسّسات الإسلاميّة من أجل أن تحافظ على الالتزام بمبادئ وعقيدة عليّ عليه السلام[٤٧].

## ٣. آفّات الانفصال عن الولاية

إنّ البناء الثابت للولاية مهدّد دومًا بأن تصيبه الآفّات. ويجدر بالمؤمنين والموالين أن يحرسوا هذا الكنز والنعمة الإلهيّة الكبرى من خلال مراقبة أعمالهم وسلوكهم.

في هذا الفصل، وبالاستفادة من شرح أحاديث الإمام الأخلاقيّة، سنشير إلى أهمّ وأبرز الآفّات المهدّدة للولاية.

### الآفّات الأخلاقيّة

عرّف علماء الأخلاق، استنادً إلى كلام المعصومين عليهم السلام، الكثير من الرذائل التي تهدّد الهويّة والحقيقة الإنسانيّة، ولكن من بين هذه الرذائل يوجد بعض الأمراض والآفّات التي تهدّد دائرة الولاية والتي منها الحسد. وهذه الرذيلة كشعلة مستعرة تحرق فروع شجرة الإيمان، وتستأصل بناء الفضائل المعنويّة. وبتحليل عقليّ، فإنّ الحسود يعترض على المشيئة والإرادة الإلهيّة في تفاوت القدرات والاستعدادات. ومن رؤية علم النفس، فإنّ هكذا فرد هو غاضب على الإرادة الإلهيّة، وبالنتيجة، ينقطع ارتباطه بالله وبالمعصومين عليهم السلام، ويخرج من نطاق ولايتهم. والآفّة الأخرى التي تنتشر، وللأسف، بوفرة هي غيبة المؤمنين والإساءة اليهم، والتي تمّ النهي عنها بشدّة في الثقافة والتعاليم

(٤٧) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ١٨، الصفحة ١٥٩.

الدينيّة، واعتُبرت من الذنوب الكبيرة، لأنّ المستغيب يهتك حرمة المؤمنين الذين لديهم قدر ومنزلة عند الله تبارك وتعالى، وشخص كهذا يعرّض إيمانه للزوال، ويخرج عن الولاية الإلهيّة، ويجعل نفسه تحت ولاية ورعاية وضلالة الشيطان.

### الآفّات العباديّة

الصلاة هي عصارة أعمال العباد وعباداتهم، ومعراج المؤمن، وقرّة عين رسول الله صلّى الله عليه وآله، ووسيلة رحمة الحقّ. والأشخاص الذين يتساهلون ولا يراعون حدود الصلاة، وفضيلة إقامتها في أوّل الوقت، وحضور القلب، وسائر الآداب، هم خارجون عن دين رسول الله ولا تشملهم شفاعة المعصومين.

### الآفّات السياسيّة-الاجتماعيّة

يرى الإمام أنّ عدم الاقتداء بالسيرة الجامعة للإمام عليّ عليه السلام، والتوّجه إلى النماذج غير المعصومة، مصداق جليّ لخيانة الأمانة الإلهيّة(٤٨)، وأنّه سوف يؤدّي في نهاية المطاف إلى الخروج من الولاية الإلهيّة. الآفّة السياسيّة الأخرى التي انتشرت، وللأسف، في السبعينات بين أوساط المثقّفين، هي إهانة المقدّسات الدينيّة، وكان الإمام يتعامل بحساسيّة خاصّة فيما يتعلّق بحفظ حرمة المقدّسات. ففي بداية أيّام الثورة، حذّر الثوريّين الشباب بشأن إهانة مراجع التقليد قائلا: «فيما لو تصدر أقلّ كلمة بحقّ أحد مراجع الإسلام، أقلّ كلمة إهانة يوجّهها شخص إلى مرجع من مراجع الإسلام، تنقطع الولاية بينه وبين الله تعالى وتبارك»(٤٩). لأنّ الفقهاء هم الأبناء المعنويّون لرسول الله صلّى الله عليه

---

(٤٨) شرح جهل حديث، مصدر سابق، الصفحات ١٠٨ و١٠٩ و٣٠٦ و٤٠٨.
(٤٩) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحتان ١٦١ و١٩٨.

وآله، وخلفاء المعصوم في عصر الغيبة، والذين يهينون المراجع هم في الواقع قد أهانوا بشكل غير مباشر الرسول والأئمّة عليهم الصلوات والسلام.

## الثورة الإسلاميّة حصيلة التولي

إنّ اقتداء الإمام بالسيرة النضاليّة والحكوماتيّة للرسول صلّى الله عليه وآله والإمام عليّ عليه السلام، وأيضًا بأهداف نهضة الإمام الحسين عليه السلام في قيادة الثورة ضدّ ظلم الشاه الظالم، وهداية الجماهير المليونيّة أثناء النضال والكفاح، وأيضًا اتّباع الناس لأوامر وتعاليم الإمام والتأسّي بالأئمّة المعصومين، بصبرهم واستقامتهم وتضحيتهم ومحاربتهم للعدوّ، كلّ هذا جعل من غرسة الثورة الإسلاميّة في إيران قويّةً ومثمرةً. كما يعتبر السيّد القائد، بتحليله لواقعة الغدير الخالدة في تجلّي حاكميّة الإسلام وتثبيت الولاية بمعنى الحكومة، أنّ ولاية الإمام الخميني هي قبس من عين الغدير المتوهّج. بحيث يمكن إعادة إعمار إيران من الناحية المادّيّة والمعنويّة. فهو يرى أنّ تولّي الناس وإطاعتهم لأوامر الإمام هو العنصر الأساس لظهور وتسريع وانتصار الثورة الإسلاميّة، كما أنّ الوحدة والاتّحاد، والارتباط بالقيادة، وإبطال المؤامرات المختلفة لأعداء الداخل والخارج، وتكامل الثورة الإسلاميّة، هو من الثمار الطيّبة لشجرة تولّي شعب إيران؛ لأنّ النظام الإسلاميّ المحكم قد برز وفق مباني الولاية، كما أنّ العنايات الإلهيّة، وشموخ النظام واعتزازه في الساحة العالميّة، والانتصار في حرب الدفاع المقدّس طيلة ثماني سنوات، والرائحة العطرة للمعنويّات والأخلاق في المجتمع، هي إنجازات ثمينة لتولّي الناس ومسؤولي النظام الإسلاميّ في اتّباع خطّ الأنبياء خطّ الإمام الخميني

(قده)، ومن خلال حفظ النظام يمكن أيضًا متابعة طيّ هذا الطريق[٥٠].

## الحرس الثوريّ والتولّي

إنّ الحرس الثوريّ هم حافظو وحرّاس الإنجاز العظيم القدر للتولّي. من هنا، يجدر أن يتحلّوا بفضائل التولّي. وأوّل خطوة هي في التعرّف إلى الولاية. يعني أن يعلموا من الناحية العقائديّة أنّ كلّ شيء خاضع للقدرة الإلهيّة، وأن يروا كلّ الأشياء والحقائق شأنًا من شؤون الله، وأن تسري هذه القضيّة في كافّة وجودهم، بحيث إنّ الطريق الوحيد للوصول إلى دائرة الولاية الإلهيّة، وتجلّي نور الولاية العلويّة، والتخلّص من ظلمات الحجب النفسيّة والشيطانيّة، هو فقط في الابتعاد عن المعاصي، والقيام بالرياضات الشرعيّة وإطاعة الله. ويرى الإمام والقائد أنّ بلاد إيران ونظام الجمهوريّة الإسلاميّ يرتبط بالأئمّة المعصومين عليهم السلام[٥١]، وأنّ القوّات المسلّحة، خاصّةً الحرس، هم مشاعل خطّ الحسين المضرّج بالدم الأحمر، ويعدّون من جنود إمام الزمان عجّل الله فرجه الذي هو واسطة الفيض الإلهيّ وخاتم الولاية الكلّيّة. بناءً عليه، من خلال الاعتقاد القلبيّ والايمان بالولاية، وعن طريق المراقبة، وإصلاح النفس، وقرب النوافل والفرائض، يربطون أنفسهم معنويًّا بذلك الولي الكامل، ويجب أن يعلموا أنّ كافّة أعمالهم ومهمّاتهم تنتهي إلى محضره الشريف، وهو، عجّل الله فرجه، ينظر إلى أعمال الجميع خاصّةً الحرس. وهذا الاعتقاد والروحيّة لا يكونان متاحان إلّا من خلال حفظ الدوافع الإلهيّة والمعنويّة وتقوية البنية المعرفيّة، والأخلاقيّة، والروحيّة، للحرس الثوريّ.

وفي دائرة النظام الإسلاميّ، يُطرح الحرس بعنوان العضد القويّ

---

(٥٠) كلام للإمام الخامنئي، بتاريخ ١٢/٤/٦٨هـ.ش.؛ وكلام له بتاريخ ٢٧/١/٧٧هـ.ش.؛ وكلام له ١٠/١١/٨٣هـ.ش.

(٥١) صحيفة امام، مصدر سابق، الجزء ٢٠، الصفحتان ١٦١ و١٩٨.

والمقتدر للوليّ الفقيه، والذي ينبغي أن يكون [كذلك] من خلال المعرفة التامّة للموقعيّة الرفيعة للولي الفقيه، ونهج وإرشادات الإمام والقائد، وإطاعة القادة والمسؤولين المنصّبين من قبل القائد، ومراعاة سلسلة الرتب، وتنفيذ المهامّ والسياسات لناحية تحقيق الإجراءات والتدابير المعلنة والمحدّدة من قبل القائد. ومن الواضح أنّ البصيرة السياسيّة؛ أي معرفة العدوّ من الصديق بدقّة، ومعرفة الأحداث السياسيّة والمجريات العالميّة، والقدرة على التحليل وتقوية البنية المعنويّة والاعتقاديّة، إنّما تتحصّل على ضوء التولّي. من هنا، إنّ من الضروريّ، من خلال الاستناد إلى الأصل الدينيّ الثابت «التولّي والتبرّي»، واتّباع الآية ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، أن يوجّهوا مسير حياتهم ومهامهم وفق علائم التولّي، وأن ينأوا أكثر بأنفسهم عن التيّارات الفكريّة والسياسيّة لأعداء الولاية، وأن يقدّموا في المجتمع الإسلاميّ نموذجًا عن التولّي لسائر الفئات.

## خاتمة الكلام

إنّ الولاية أساس ظهور الوجود، وعالم الغيب والشهود هما مظهر الحقيقة المحمديّة والولاية العلويّة الجامعتَين لكافّة الكمالات الإلهيّة. في العرفان النظريّ الشيعيّ الأصيل، وفكر ونصوص الإمام العرفانيّة، إنّ التوحيد ممتزج بالربوبيّة والنبوّة والولاية. وأساسًا، إنّ السير إلى الله، والوصول إلى مقام التوحيد، ومعرفة الله، غير متيسّر لأحد بدون نور ولاية الرسول صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين عليهم السلام الذين هم التجلّي التامّ والأتمّ للأسماء والصفات الإلهيّة. الأئمّة المعصومون قد بلغوا بظهور الولاية إلى الكمال والتمام. وأعلى حياة للإنسان التي تختصّ بها الكرامة الإنسانيّة وتختصّ بها دائرة الخلافة الإلهيّة تتأمّن من خلال كوثر الوحي والإمامة، والاهتمام بالغدير الذي هو تجلّي الإمامة

هو لناحية أنّ تلك الواقعة المهمّة هي سلسلة الولاية الحركيّة(٥٢).

في فكر الإمام والقائد، إنّ قوس صعود الولاية هو ذات الله تبارك وتعالى وإرادته ومشيئته، وبعد تجلّي الولاية المحمّديّة صلّى الله عليه وآله والأئمّة المعصومين، يمتدّ قوس نزولها في الحكومة والسياسة وتطبيق الأحكام والقوانين الإلهيّة. أي إنّ عالم الغيب والملكوت يمثّلان الدرجة والمرتبة العالية، والسياسة وحكومة الصالحين والعلماء النزيهين والعدول هي الدرجة النازلة للولاية. من هنا، إنّ امتزاج العرفان والسياسة يموج في محيط فكر الإمام اللامتناهي، وفيما بعد، شوهد المعنى والمفهوم الجامع لتبلور الولاية في السياسة والحكومة في فكر القائد. والمسألة المهمّة أنّ الحرس الثوريّ الإسلاميّ، وبهدف التعرّف الصحيح والدقيق لمدى اختلاف دائرة العرفان الشيعيّ الأصيل في موضوع الولاية في كافّة أبعادها ومجالاتها، عن الرؤى الباطلة للعرفاء المتظاهرين والصوفيّين والولايات المنحرفة، ينبغي لهم أكثر من هذا أن يتعرّفوا على المتون الأخلاقيّة، والعرفانيّة، والسياسيّة للإمام والقائد. وعلى هذا الأساس، عليهم أن ينتقدوا ويحلّلوا رؤى الفرق والنحل السياسيّة الدينيّة البعيدة عن فكر هذين العظيمَين، إذ إنّ البعض، وبإيحاء من الأيادي الخفيّة للخارج، يصرّحون أنّ حدود الولاية تنفصل عن السياسة والحكومة. وعليهم أن يحرّروا أنفسهم من الأفخاخ الخفيّة والدعايات الباطلة للسالكين الدراويش، وأن يحترسوا من المساعي الحثيثة للذين خالفوا الولاية أيّام النضال والثورة وقيادة الإمام، وكذلك خلال كفاح الدفاع المقدّس نأوا بأنفسهم عن معارك الدم والنيران. فيما يعتبرون أنفسهم اليوم رافعي راية حماة الولاية، وأن يبطلوا مؤامراتهم الثقافيّة، وأن يكشفوا النقاب عن وجوههم المزيّفة للجيل الجديد.

---

(٥٢) خطاب للشيخ جوادي آملي في مؤتمر الغدير، في دي ماه ٨٦هـ.ش.

وخلاصة الكلام؛ إنّه ينبغي أن يُخطَّط وأن تُطبّق السياسات الثقافيّة والتعليميّة للحرس وأبناء الإمام والقائد المعنويّين، بنحو يتربّى الحرس من الناحية الاعتقاديّة، والأخلاقيّة، والعسكريّة، والسياسة وفق المباني الفكريّة للإمام والقائد الذين هم على معرفة بمقام الولاية، وذلك حتّى يقوى التولّي عند الحرس، وبذلك يحرسوا الثورة والنظام الموالي بجدارة إن شاء الله.

# المدرسة الفكريّة السياسيّة للإمام الخميني(قده)
# في فكر الإمام الخامنئي(دام ظلّه)

عليرضا تاجريان

يمثّل الفكر السياسيّ عند الإمام الخميني قدّس سرّه ظاهرةً من أبرز الأفكار الإسلاميّة وأكثرها تقدّمًا، التي تمّ التنظير لها في عالمنا المعاصر، بل وامتلكت بُعدا تطبيقيًّا أيضًا.

ويرى الإمام الخامنئي أنّ الحضور الدائم للأمّة، وببركة مدرسة الإمام الخميني قدّس سرّه، قد أفشل خطط الأعداء وهي مستمرّة في تقدّمها في المجالات العلميّة والتكنولوجيّة. ويعتبر أنّ أحد أسرار نجاح الإمام الخميني هو مدرسته الفكريّة السياسيّة:

> حبّ الناس والتفاني في الإمام، ليستا مجرّد نوع علاقة قلبيّة وشعوريّة وعاطفيّة. ومع أنّ المحبّة تخفق في القلوب شعوريًّا وعاطفيًّا، إلّا أنّ تفاني الناس في الإمام، هو بمعنى قبول مدرسته الفكريّة بصفتها الطريق الواضح والاتّجاه الصحيح لحركة الشعب العامّة والمطلقة[1].

كما يعتبر الإمام الخامنئي أنّ مدرسة الإمام الخميني قدّس سرّه مجموعة كاملة ذات أبعاد متعدّدة، وهي اليوم منشأ التأثيرات والتحوّلات الكبرى لشعوب العالم.

---

(١) كلام للإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الثانية والعشرين لرحيل الإمام الخميني (قده)، بتاريخ ١٤/٣/١٣٩٠هـ.ش.

## ١ . أبعاد المدرسة الفكريّة السياسيّة للإمام الخميني قدّس سرّه

يعتبر الإمام الخامنئي مدرسة الإمام الخميني قدّس سرّه مستمَدّةً من الإسلام الأصيل والقرآن، وهي واضحة وجليّة في سلوك وعمل ذلك الرجل العظيم.

من وجهة نظره، تشكّل المعنويّة والعقلانيّة بُعدَين رئيسَين لمدرسة الإمام الخميني وطبيعته:

مدرسة الإمام عبارة عن حزمة كاملة. ومجموعة ذات أبعاد متعدّدة يجب أن تُرى وتُلاحظ معًا. البعدان المعنويّ والعقلانيّ هما البعدان الرئيسان للمدرسة الفكريّة لإمامنا الكبير.

البعد المعنويّ أي بمعنى أنّ الإمام لم يواصل طريقه بالاتّكاء المحض على العوامل الماديّة والمظاهر الماديّة فقط، بل كان من أهل العلاقة مع الله، وأهل السلوك المعنويّ، وأهل التوجّه والتذكّر والخشوع والذكر، وكان يؤمن بالمدد الإلهيّ، وكان أمله بالله المتعالِ أملًا لا ينقطع.

وفي البُعد العقلانيّ كان قد لوحظ استخدام العقل والتدبير والفكر والحساب في مدرسته.

ثمّ هناك بُعد ثالث هو العدالة، وهو مستمدّ أيضًا من الإسلام كالبُعدَين السابقَين. فعقلانيّة الإمام هي من الإسلام أيضًا، والمعنويّة هي معنويّة الإسلام والقرآن، وهذا البُعد – أي العدالة – قد أخذ من نصّ القرآن ونصّ الدين أيضًا.

وينبغي أن يُنظر إليهم معًا. وإنّ الاعتماد على واحدة من هذه الأبعاد، وتجاهل الأبعاد الأخرى، يجرّ المجتمع إلى طريق الخطأ، ويؤدّي به إلى الانحراف.

هذه المجموعة، وهذه الحزمة الكاملة، هما الإرث الفكريّ والروحيّ للإمام.

الإمام العظيم في سلوكه أيضًا، كان مشرفًا على العقلانيّة، وكذلك مشرفًا على المعنويّة، وكذلك كان يهتمّ بتمام وجوده ببعد العدالة[٢].

---

(٢) المصدر نفسه.

### ٢. العقلانيّة، الإرث الثمين لمدرسة الإمام الفكريّة

العقلانيّة من السمات البارزة والشفّافة لشخصيّة الإمام الخميني قدّس سرّه. وتجلّي آثارها الجميلة واضح في سلوك الإمام العظيم.

يعتبر الإمام الخامنئي أنّ المثال الأكثر وضوحًا لعقلانيّة الإمام هو اختيار السيادة الشعبيّة الدينيّة (الديمقراطيّة بمفهومها الغربيّ) للنظام السياسيّ في البلد والاتّكاء على آراء الناس. يقول:

> لقرون عديدة، تسلّطت على بلادنا حكومات فرديّة وكان الاستبداد والديكتاتوريّة في عهد الشاه أصعب وأمَرّ وأكثر مأساويةً من استبداد الآخرين. في بلد حافل بهذا السجلّ، عثر إمامنا العظيم على هذا الحيّز وأوجد هذه الفرصة بأن بدّل قضيّة حضور الشعب والانتخابات الشعبيّة إلى حقيقة واقعة ممنهجة[٣].

منذ زمن الثورة الإسلاميّة في إيران، لم يشترك الشعب فقط في الاستفتاء على نوع النظام والتصويت على الدستور بشكل فاعل، بل كان له دخل في اختيار أعلى المسؤولين في الدولة، وهو تدخّل واعٍ أظهر نفسه في إدارة أمور البلد.

هذا الدور البارز للشعب في البلد ناشئ من ثقة السيّد الإمام بالناس.

### ٣. معنويّة الإمام الخميني في الممارسة والسلوك

المعنويّة من الأبعاد القيّمة لشخصيّة الإمام الخميني والتي لها مظاهر رفيعة في حياته وطبيعته.

يعتبر الإمام الخامنئي الإخلاصَ من أهمّ معالم شخصيّة الإمام الخميني قدّس سرّه المعنويّة:

> تجسّدت المعنويّة بالدرجة الأولى في نفس إخلاص الإمام. فكان الإمام يعمل في سبيل الله. ومن البداية ما كان يشعر به أنّه تكليف إلهيّ كان يقوم به. لم يتوانَ عن التضحية في هذا السبيل.

---

(٣) المصدر نفسه.

منذ بداية المواجهات في العام ١٣٤١هـ.ش. كان يمارس الإمام هذه الدور وتقدّم إلى الأمام بناءً على التكليف.

بيَّنَ هذا الدرس للشعب والمسؤولين مرارًا وتكرارًا، وكرّر مقولة أنّ ما هو مهمّ هو التكليف. ونحن نقوم بتكليفنا وما يترتّب على أعمالنا من نتائج هي بيد الله. ولذلك، كان المظهر المهمّ للمعنويّة في سلوك الإمام هو إخلاصه.

لم يقدم على أيّ خطوة وعلى أيّ عمل وعلى أيّ كلام من شأنه مدح وتمجيد هذا وذاك. ما قام به في سبيل الله، بقي خالدًا بمشيئة الله سبحانه وتعالى وببركته.

وهذه هي ميزة الإخلاص. وكان يكرّر الإمام هذه النصيحة للمسؤولين. كان يأمرنا بأن نكون من أهل التوكّل على الله وأهل الاعتماد والثقة بالله وأهل حسن الظنّ بالله وأن نعمل لله.

كان هو نفسه من أهل التوكّل على الله، ومن أهل التضرّع، ومن أهل التوسّل، ومن أهل الاعتماد على الله ومن أهل العبادة.

بعد نهاية شهر رمضان، عندما كان يرى الإنسان الإمام كان يشعر بنورانيّته على نحو ملموس.

كان يستفيد من فرص الحياة للتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى، ولتنقية قلبه وروحه الطاهرة.

كان يأمر الآخرين ويقول لهم أيضًا: إنّنا في محضر الله. والوجود هو محضر الله. الوجود هو محلّ ظهور التجلّيات الإلهيّة. وكان يقودنا جميعًا إلى هذا الطريق.

كان نفسه من أهل رعاية الأخلاق، وكان يقود الآخرين أيضًا إلى الأخلاق.

وجزء مهمّ من المعنويّة في الإسلام هي الأخلاق، والابتعاد عن الذنوب، والابتعاد عن التشهير، وتجنّب سوء الظنّ، والابتعاد عن الغيبة، والابتعاد عن غلّ القلوب، والابتعاد عن تفرقة القلوب عن بعضها البعض.

كان الإمام العظيم يراعي هذه الأمور بنفسه، وكان يوصي وينصح الناس بها أيضًا وكذلك المسؤولين.

كان الإمام يوصينا بأن لا نغترّ وأن لا نعتبر أنفسنا أرفع من الآخرين وأن لا نعتبر أنفسنا فوق النقد، وإنّنا منزّهين عن الخطإ.

لقد أسمع جميع المسؤولين من الدرجة الأولى في البلد مقولة أن نكون مستعدّين وحاضرين، وفيما لو انتقدونا، أن لا نقول نحن أرفع من هذا وأرفع من أن يوجّه إلينا نقد. وهكذا كان الإمام.

قال الإمام، سواءً في كتاباته الخاصة - لاسيّما في أواخر عمره الشريف - أو في تصريحاته، بأنّني أخطأت في القضيّة الفلانيّة. فهذا يتطلّب رفعةً كبيرةً، وروحُ إنسان ما يجب أن تكون رفيعةً لتستطيع أن تقوم بهذه الخطوة، وأن ينسب الخطأ إلى نفسه.

وكانت هذه معنويّة الإمام، وأخلاق الإمام، وهذا بُعد من الأبعاد المهمّة لدرس الإمام لنا[4].

## ٤. العدالة، البعد الأبرز في مدرسة الإمام الخميني قدّس سرّه

لم تكن العدالة في نهج الإمام الخميني قدّس سرّه في حدود الكلام والتنظير فقط، بل أثمرت ثورةً إسلاميّةً على أمل إقامة العدالة.

يعتبر قائد الثورة الإسلاميّة أنّ روحيّة العدالة عند الإمام الخميني قدّس سرّه مستمدّة من معنويّته وعقلانيّته. ويَعدّ اهتمام الإمام الخميني قدّس سرّه بالشرائح المحرومة للمجتمع من الميزات البارزة لعدالة ذلك القائد الكبير.

يظهر بُعد العدالة جليًّا في المدرسة الفكريّة للإمام. على الرغم من انبثاق العدالة، بمعنى ما، من تلك العقلانيّة والروحانيّة أيضًا، ولكنّ بُعد العدالة في نظر الإمام العظيم كان بارزًا، بحيث جعله شاخصًا نصب أعيننا. فقد أصرّ الإمام، منذ بداية انتصار الثورة، على الاعتماد على الطبقات المستضعفة، وكرّر وأوصى بذلك. تعبير «الحُفاة» و«ساكني الأكواخ» كانت من ضمن العبارات التي تكرّرت مرّات ومرّات في كلام الإمام. فقد أصرّ على المسؤولين وحثّهم على الاهتمام بالطبقات المستضعفة. أصرّ على المسؤولين اجتناب الأرستقراطيّة. هذه واحدة من توصيات الإمام الخميني العظيم. إنّ آفة المسؤوليّة في نظام يعتمد على آراء الناس وعلى إيمانهم هي أن يفكّر المسؤولون برفاهيّتهم الشخصيّة ويفكّرون بالتكديس لأنفسهم، ويطرقون الأبواب هنا وهناك

---

(٤) المصدر نفسه.

رغبةً في الحياة الأرستقراطيّة. هذه الآفة كبيرة جدًا. والإمام نأى بنفسه بعيدًا عن هذه الآفة[٥].

## ٥. ضرورة تجنّب الانحراف عن المدرسة الفكريّة للإمام

يؤكّد قائد الثورة الإسلاميّة الإمام الخامنئي على ضرورة الالتفات، وبالتزامن، إلى جميع أبعاد خصائص الإمام الخميني، من خلال توضيحه لخصائص شخصيّة الإمام في الأبعاد الثلاثة المعنويّة والعقلانيّة والعدالة. ويعتبر أنّ أيّ نهج أو منحًى أحاديّ الجانب للمدرسة الفكريّة للإمام هو انحراف عن خطّ الإمام.

من نماذج عقلانيّة ووعي الإمام هي عناده وثباته في مواجهة الأعداء وعدم الثقة بهم. يقول قائد الثورة الإسلاميّة في معرض توضيحه لهذا الأمر:

تلك العقلانيّة الموجودة (القائمة) في المدرسة الفكريّة لإمامنا، لا تستلزم أن نغفل عن خدَع الأعداء وكيده وخططه المخفيّة، وأن نثق به ونتنازل له. وبقدر ما يتنازل الإنسان إزاء العدوّ فإنّه سيفقد الدعامة المعنويّة الكبيرة في داخل البلد وداخل الأمّة.

وذكر في نقطة أخرى:

إذا دسنا على الأخلاق باسم العدالة والثوريّة نكون قد خسرنا وانحرفنا عن خطّ الإمام ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾. القرآن يأمرنا بالعدل، «اعدلوا» حتّى في حالة الخلاف يجب أن تعدلوا ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. إيّاكم أن تظنّوا أنّ التقوى هي أن يدوس الإنسان على خصمه، كلّا، إنّ العدالة متلائمة مع التقوى. فلنكن جميعنا متيقّظين ولنكن واعين ولا ينبغي أيضًا أن يغطّي هذا البعد على الأبعاد الأخرى[٦].

---

(٥) المصدر نفسه.

(٦) كلام للإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الثانية والعشرين لرحيل الإمام الخميني (قده)، بتاريخ ١٤/٣/١٣٩٠هـ.ش.

## ٦. مؤشّرات المدرسة الفكريّة السياسيّة للإمام الخميني

### أ. ارتباط السياسة بالمعنويّة

يعدّد قائد الثورة الإسلاميّة مؤشّرات المدرسة السياسيّة لمؤسّس الثورة العظيم وأوّلها مؤشّر «ارتباط السياسة بالمعنويّة» في مدرسة الإمام السياسيّة.

يقول الإمام الخامنئي في هذا الصدد:

للمدرسة الفكريّة السياسيّة للإمام مؤشّرات وسأوضح هنا عدد من العناوين البارزة لهذه المدرسة. أحد هذه العناوين هو تشابك المعنويّة مع السياسة في مدرسته السياسيّة. في المدرسة السياسيّة للإمام، المعنويّة غير منفصلة عن السياسة وكذلك السياسة والعرفان، والسياسة والأخلاق. كان الإمام تجسيدًا لمدرسته السياسيّة، فقد جمع ما بين المعنويّة والسياسة، وكان يعمل على الدوام لتحقيق هذا الأمر. حتّى في المواجهات السياسيّة كانت المعنويّة المحور الرئيس في سلوك وتصرّفات الإمام. تدور جميع تصرّفات وجميع مواقف الإمام حول محور الله والمعنويّة.

الكلام الجديد في المدرسة السياسيّة لإمامنا الكبير هو ترافق السياسة مع المعنويّة، والقوّة مع الأخلاق، فعلى جميع أركان خطط أيّ سلطة سياسيّة أن تراعي الأصول والمبادئ الأخلاقيّة. وهذا هو أحد المؤشّرات الأولى الرئيسيّة لمدرسة الإمام السياسيّة[٧].

### ب. الاعتقاد الراسخ والصادق بدور الشعب

المؤشر الثاني للمدرسة السياسيّة للإمام برأي الإمام الخامنئي هو الاعتقاد الراسخ والصادق بدور الشعب.

المؤشر الثاني هو الاعتقاد الراسخ والصادق بدور الشعب، وكذلك بكرامة الإنسان وبتقرير إرادة الإنسان. في المدرسة السياسيّة للإمام، الهويّة الإنسانيّة هي ذات قيمة وذات كرامة وهي قويّة وفاعلة. فنتيجة قيمة وامتلاك الكرامة تظهر فيما لآراء الناس من

(٧) كلام للإمام الخامنئي في الذكرى السنويّة الخامسة عشر لرحيل الإمام الخميني (قده)، بتاريخ ١٣٨٣/٣/١٤هـ.ش.

دور رئيس في إدارة مصير البشر والمجتمع. لهذا، السيادة الشعبيّة في المدرسة السياسيّة للإمام العظيم - التي أخذت من نصّ الإسلام - هي سيادة شعبيّة حقيقيّة وليست كالسيادة الشعبيّة الأمريكيّة وأمثالها. شعارات وغشّ وأغوائيّة لأذهان الناس.

في المدرسة السياسيّة للإمام، رأي الناس بالمعنى الواقعيّ للكلمة مؤثّر وحيويّ ومصيريّ. ومن جهة أخرى، كان يعتقد الإمام أنّه بالاعتماد على قوّة رأي الشعب وإرادته الصلبة، يمكن أن يقف في وجه جميع القوى العالميّة الظالمة والعدوانيّة.

في المدرسة السياسيّة للإمام، الديمقراطيّة منبثقة من نصّ الدين؛ منبثقة من ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾؛ ومنبثقة من ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾. ونحن لم نقترض هذا من أحد(٨).

## ت. النظرة الدوليّة والعالميّة

يذكر قائد الثورة الإسلاميّة ميزةً أخرى للمدرسة الفكريّة للإمام، وهي الرؤية الدوليّة والعالميّة:

المؤشّر الثالث من المؤشّرات للمدرسة السياسيّة للإمام هي النظرة الدوليّة والعالميّة لهذه المدرسة. المستهدف في الكلام والأفكار السياسيّة للإمام هي البشريّة، وليس فقط الشعب الايرانيّ. وقد سمع الشعب الايرانيّ هذه الرسالة بأذنَيه ووقف على رجلَيه وقاتل لأجلها واستطاع أن يصنع العزّة والاستقلال لنفسه. ولكنّ المستهدف من هذه الرسالة كانت البشريّة جمعاء. المدرسة الفكريّة السياسيّة الإسلاميّة تطلق الفكر الصحيح والكلام الجديد الخاصّ به في فضاء الذهن البشريّ فيتنقل في جميع أمكنته مثل نسيم الربيع وعطر الورود.

يضيف الإمام الخامنئي ويقول:

إنّ المستهدف من كلام وأفكار الإمام السياسيّة لم يكن الشعب الايرانيّ بل كان يجعل رسالته موجّهةً إلى البشريّة جمعاء. فالحفاظ على الثقافة والأعراف الإنسانيّة وكذلك العدالة الاجتماعيّة، من أهمّ الخطوط الرئيسيّة لمدرسة الإمام الخميني. أدّت هذه العوامل مجتمعةً إلى نجاح الإمام في تحقيق أهدافه وأن تستقرّ محبّته في القلوب.

---

(٨) المصدر نفسه.

ذكّر الإمام الخميني الشعب بهذه النقطة؛ إنّ الإسلام يجذب القلوب ويجمعها (يؤلّف بينها) ويوجد قوّةً عظيمةً ولا تقهر[٩].

## ث. الحفاظ على القيم

يعتبر رفيق الإمام القريب أنّ الحفاظ على القيم هي من الخصائص الأخرى للمدرسة السياسيّة لذلك الرجل العظيم:

مؤشّر آخر مهمّ لمدرسته السياسيّة هو الحفاظ على القيم، حيث بيّن معالمها في شرح مسألة ولاية الفقيه. أهمّ دور لولاية الفقيه هي الحفاظ على حركة النظام العامّة ومراقبتها باتّجاه الأهداف الطموحة والسامية. وفَهِمَ الإمام هذا الدور واستنبطه من نصّ الفقه السياسيّ الإسلاميّ ومن نصّ الدين [...] ضوابط القيادة وولاية الفقيه هي ضوابط دينيّة وفقًا للمدرسة السياسيّة لإمامنا العظيم، وليست مثل ضوابط الدول الرأسماليّة، حيث التبعيّة للجناح الفلانيّ القويّ والغنيّ. في المدرسة السياسيّة الإسلاميّة الضوابط ليست هذه، فالضابطة هي الضابطة المعنويّة والضابطة هي عبارة عن العلم والتقوى والحكمة وحسن التدبير.

فالعلم يجلب المعرفة والتقوى تخلق الشجاعة، وتؤمّن الحكمة وحسن التدبير مصالح البلد والشعب، وهي ضوابط رئيسيّة وأساسيّة في مدرسة الإمام السياسيّة.

## ج. العدالة الاجتماعيّة

يعتبر الإمام الخامنئي «العدالة الاجتماعيّة» من الخصائص الأخرى لمدرسة الإمام السياسية:

النقطة الأخيرة التي أستعرضها بعنوان مؤشّر من مؤشّرات المدرسة السياسيّة للإمام هي مسألة العدالة الاجتماعيّة. العدالة الاجتماعيّة هي واحدة من أهمّ العناوين في المدرسة الفكريّة السياسيّة لإمامنا العظيم. يجب أن تكون العدالة الاجتماعيّة وردم الفجوات

(٩) المصدر نفسه.

بين الطبقات الاجتماعيّة هدفًا شاخصًا أمام أعيننا في جميع البرامج الحكوميّة – في السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة.

فأن ندّعي أنّنا أغنينا البلد – يعني رفعنا من مستوى الناتج الوطنيّ الإجماليّ – ولكنّ الثروة تتكدّس في زاوية ما لصالح عدد قليل من الناس وتبقى أيدي الكثير من الناس فارغةً، فهذا لا يتلاءم مع المدرسة الفكريّة السياسيّة للإمام. تقليص الفجوات الاقتصاديّة بين الناس وإزالة التمييز في الاستفادة من الثروات الوطنيّة المختلفة بين الطبقات الشعبيّة هي من أهمّ وأصعب مسؤوليّاتنا. ينبغي على جميع المخطّطين والمشرّعين والمديرين التنفيذيّين وجميع العاملين في الأجهزة المختلفة أن يأخذوا هذا الأمر بعين الاعتبار ويعتبروه واحدًا من أهمّ مؤشّرات حركتهم[١٠].

(١٠) المصدر نفسه.